



جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

الحجاج في شعر أحمد الوائلي

رسالة قدمها الطالب

صلاح جباري شناوة

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية / بجامعة المثنى وهي جزء من متطلبات نيل

شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها / اللغة

إشراف

الأستاذ الدكتور

عايد جدوع حنون

٢٠١٦م

١٤٣٨هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ ^{قل}

الإهداء

إلى أبي و أمي

براً و عرفاناً .

إلى من تركوا الأهل والولد، وساروا في طريق الموت، إلى شهداء الحشد الشعبي

وفاءً وتقديراً .

إلى أولادي وزوجتي

حُبّاً .

شكر وعرفان

الشكر والحمد والثناء لله تبارك وتعالى بما هو أهل له أولاً.

من البر والإحسان أن أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان لشيخي وأستاذي الاستاذ الدكتور عايد جدوع حنون الذي كان لي نعم الهادي الأمين، والذي لم يدخر جهداً ولا نصيحة لإلحاقها ليذلل بها صعاب البحث، فله شكري الجزيل، ولا أنسى أن أتقدم بشكري وامتناني لأساتذتي في قسم اللغة العربية، الدكتور محمد فليح الجبوري، والدكتور علي فرحان جواد والدكتور صاحب منشد، والدكتور عامر صلال، والدكتور ستار جبار، والاستاذ كاظم داخل والدكتور باسم خيرى، وكل اساتذة قسم اللغة العربية، وأقدم شكري وامتناني للدكتور مؤيد عبيد آل صوينت أستاذ الدراسات التداولية في الجامعة المستنصرية، لما قدمه من نصائح وتوجيهات أسهمت في تقويم هذا العمل، شكري وامتناني لصديقي وأخي الدكتور جعفر طالب، والدكتور عبد الرحمن علوان الشامي، شكري وتقديري لصديقي الأستاذ منذر صاحب مكتبة المدينة، شكري وتقديري لأصدقائي وزملائي في دراستي وأخوتي، علاء سامي الكنانى، ومرضى أحمد الطائي، وصادق ذريع، والشكر لله تبارك وتعالى أولاً وآخرأ.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣-١
التمهيد	١٨ - ٤
الفصل الأول : الحجاج اللغوي	١٩
المبحث الأول: الروابط الحجاجية	٢٠
مفهوم الروابط الحجاجية	٢٠
وظيفة الروابط الحجاجية	٢١
أقسام الروابط الحجاجية	٢٢
الروابط التي تدرج حُججاً قوية	٣٠-٢٢
الروابط المدرجة للنتائج	٣٩-٣٠
روابط التعارض أو التعاند الحجاجي	٤١ - ٣٩
الحُجج المتساندة أو المُتساوقة	٤٦-٤١
المبحث الثاني العوامل الحجاجية	٤٧
العوامل الحجاجية التركيبية	٤٨
أسلوب الاستثناء	٤٩ - ٤٨
أسلوب النفي	٥٢ - ٤٩
أسلوب القصر	٥٨ - ٥٢
التقديم والتأخير	٦١ - ٥٨
العامل الحجاجي في أسلوب الشرط	٦٣-٦٢
العوامل الحجاجية المعجمية	٦٦ - ٦٣
المبحث الثالث السلاالم الحجاجية	٦٧

الموضوع	الصفحة
مفهوم السلام الحجاجية	٦٩-٦٧
القوة الحجاجية	٧٠- ٦٩
قوانين السلم الحجاجي	٧٧-٧١
مظاهر السلم الحجاجي في شعر الوائلي	٨٥-٧٧
الفصل الثاني الحجاج التداولي	٨٦
المبحث الاول الأفعال الكلامية المباشرة	٨٧
توطئة: نشأة الدراسات التداولية	٩٣- ٨٨
نظرية أفعال الكلام	٩٤
الحكميات	٩٧- ٩٥
الانفاذيات	١٠٠- ٩٧
الوعديات	١٠١-١٠٠
السلوكيات	١٠٢-١٠١
التبينيّات	١٠٤-١٠٢
المبحث الثاني الأفعال الكلامية غير المباشرة	١٠٥
المحتوى القضوي	١٠٧-١٠٥
فعل الكلام وفعل الحجاج وقوة فعل الكلام	١١٠-١٠٨
تصنيف سيرل للأفعال اللغوية	١١٠
الاثباتيات	١١٢-١١٠
التوجيهات	١١٤-١١٢
التعهدات	١١٦- ١١٤
التعبيريات	١١٨-١١٦
التصريحيات	١١٨
المبحث الثالث الاستلزام الحواري	١١٧
خرق قاعدة الكم	١٢٥- ١٢١
خرق قاعدة كيف	١٢٧-١٢٥
الموضوع	الصفحة

١٢٩-١٢٧	خرق قاعدة المناسبة
١٣٠-١٢٩	خرق قاعدة الطريقة
١٣٣-١٣١	الفصل الثالث الحجاج البياني
١٣٥- ١٣٤	المبحث الأول التشبيه
١٣٧- ١٣٥	التشبيه المرسل
١٣٩ - ١٣٧	التشبيه المؤكد
١٤١-١٣٩	التشبيه المفصل
١٤٢-١٤١	التشبيه المجمل
١٤٥ - ١٤٣	التشبيه البليغ
١٤٦ - ١٤٥	التشبيه الضمني
١٤٩- ١٤٦	التشبيه التمثيلي
١٥٠	المبحث الثاني الاستعارة الحجاجية
١٥٤- ١٥١	الاستعارة التصريحية
١٥٦ - ١٥٤	الاستعارة المكنية
١٥٧-١٥٦	الاستعارة التمثيلية
١٥٨-١٥٧	الاستعارة الوفاقية
١٦٠-١٥٩	الاستعارة العنادية
١٦١- ١٦٠	الاستعارة المرشحة
١٦٢ - ١٦١	الاستعارة المجردة
١٦٤-١٦٢	الاستعارة المطلقة
١٦٥	المبحث الثالث الكناية والتعريض
١٦٧-١٦٦	الحجاج المتضمن في الكناية
١٦٩ - ١٦٨	الكناية عن الصفة
١٧٠-١٦٩	الكناية عن الموصوف
١٧١ - ١٧٠	الكناية عن النسبة
١٧٢-١٧١	التعريض
١٧٣-١٧٢	الإشارة

الموضوع	الصفحة
الرمز	١٧٣-١٧٢٤
التلميح	١٧٤-١٧٦
الخاتمة	١٧٧-١٨١
روافد البحث	١٨٢-١٩٥
ملخص باللغة الانجليزية	١٩٦-١٩٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله عدد خلقه، وصلى الله على نور الأنوار الرسول النَّبيِّ الْمُختار محمد، وعلى آله الأبرار، وصحبه الأخيار وسلم تسليماً، وبعد.

فإنَّ الإنسان يسعى جاهداً ليصل إلى مكنونات الكلام، وكشف ما غمض منه فتعددت السُّبل التي اتخذها في بحثه الدُّوب عن المعاني الكامنة فيه، فوضع لذلك المناهج، وصاغ النظريات التي توصله إلى المعاني، فكانت هذه المناهج والنظريات تتطور، ويتكئ بعضها على بعض، فيشهد ميدان البحث اللغوي ظهور نظرية بين الفينة والأخرى، قد تفند ما قبلها وتقوم على أنقاضها، وقد تبدأ بدايةً غير مسبوقة، ومنهج الحجاج من جملة تلك المناهج التي تصدت لمعرفة المعاني المقروءة، والمكتوبة والمنطوقة، واستطاع الحجاج أن يزاحم المناهج اللغوية، ويثبت لنفسه موطئ قدم بين تلك المناهج؛ لما يمتاز به من رؤية شاملة للخطاب تأخذ جوانب متعددة، وتعتمد القصد الذي يكشف مكنونات الخطاب بعد ربطه بسياق إنشائه، زد على ذلك أنَّ الحجاج بذاته متعدد فلا يقتصر على الفلسفة، والمنطق، والقانون، والاعلام فحسب، بل تعدى ذلك ليشمل الخطاب الأدبي، واليومي، فأصبح الحجاج منهجاً لسانياً تداولياً يمكن تطبيقه على النصوص، وهو من الموضوعات الجديدة في ساحة البحث الأكاديمي اللساني.

ولست أزعم أنَّ دراستي رائدة أو كان لها قصب السبق في هذا المضمار، بل سُبقت بدراسات في هذا المجال، لكن ذلك لا يعني أنَّها تكرر لما قدمه الباحثون في هذا المجال فلكل طريقته في عرض موضوعه، ولا أنسى أن أشير هنا إلى أنَّ دراسة الأستاذ الدكتور عايد جدوع كانت من الدراسات الرائدة في الحجاج والتي كان عنوانها (الحجاج في كلام الإمام الحسين عليه السلام)، وكانت نعم الأساس المتين الذي نهضت عليه دراستي، و كان له كل الفضل في اختيار موضوع الدراسة وتوجيهي إليه، فكان هذا دافعاً لدراسة الموضوع على وفق رؤية تجمع بين التداولية والبلاغة، وكان لتطبيق هذا المنهج على الشعر صعوباته التي طالما رافقت عمل البحث إلى نهايته، وكان لهذه الصعوبة حسناتها إذ وجهت البحث إلى المزوجة بين القديم والحديث؛ للخروج برؤية تداولية حجاجية تسهم في فهم الخطاب الشعري، وهذا ما دفع الباحث إلى تقسيم البحث على تمهيد، و ثلاثة فصول، أمَّا التمهيد فقد انقسم على قسمين كان القسم الأول منه تعريفاً بالشيخ أحمد الوائلي، أمَّا القسم الثاني فكان تعريفاً بمصطلح الحجاج لغة واصطلاحاً وتعريفاً بنظرية

ديكرو للحجاج التي سار عليها البحث، أمّا الفصل الأول فقد بينت فيه ما للخطاب الحجاجي من بناء في الشكل والأدوات، وقسمته على ثلاثة مباحث، المبحث الأول كان عنوانه الروابط الحجاجية، وقد فصلت القول فيه عن الروابط مبيناً وظيفتها ودلالاتها وأثرها في الخطاب، وجاء المبحث الثاني مُعرِّفاً بالعوامل الحجاجية، ومبيناً ما لها من وظيفة حجاجية وهي توجيه الخطاب نحو قصد المتكلم، أمّا المبحث الثالث فبيّنت فيه ما للخطاب الحجاجي من استراتيجية في مراعاة المخاطب، والظروف المحيطة بالخطاب إذ تتجلى هذه المراعاة بالتدرج في إيراد الحجج، و كان عنوانه السلال الحجاجية.

أمّا الفصل الثاني فكان مُنصباً على بيان ما للحجاج من ارتباط بفعل الكلام فكان عنوان هذا الفصل الحجاج التداولي الذي قُسم على ثلاثة مباحث هي: الفعل الكلامي المباشر، و الفعل الكلامي غير المباشر، والاستلزام الحواري، و أظهر المبحث الأول من هذا الفصل ما تميز به الفعل المباشر من قدرة على الإنجاز تمثلت بالصيغ الحرفية المباشرة التي كان المعنى فيها مساوياً للمنطوق، أمّا المبحث الثاني الذي تمثل بالفعل اللغوي غير المباشر فكشف عن القصد الكامن في الخطاب الذي يؤديه المتكلم بصورة غير مباشرة معتمداً على المحتوى القضوي للخطاب، أي ما يفهمه المتلقي من الخطاب على وفق معطيات السياق، وفي المبحث الثالث سلط البحث الضوء على المعنى المستفاد من السياق الذي يمثل شفرة تحللها الكفايات الثقافية، واللغوية لطرفي التخاطب مستندة إلى السياق، وهو ما يعرف في الخطاب التداولي بالاستلزام الحواري، أمّا الفصل الثالث فاضطلع بمهمة كشف الارتباط بين البلاغة والحجاج، فوسمته بالحجاج البياني، إذ تصدره مدخل لكشف العلاقة بين البلاغة والحجاج، ثم تلا ذلك ثلاثة مباحث وهي بمثابة تطبيق لمظاهر الحجاج في ثلاثة أساليب بيانية هي التشبيه، والاستعارة، والكناية، إذ حاول البحث إظهار القصد الكامن في هذه الأساليب، ولم اعتمد المتكلم هذا الأسلوب، أو ذاك فجاء تحليل الخطاب على وفق رؤية حجاجية تداولية، تظهر فيها محاولة الالتفات إلى بعض الخصائص الحجاجية المتضمنة في الظواهر البيانية، وكشف خصائص كل أسلوب من هذه الأساليب ومدى فاعلية الحجاج فيها، ثم تلا ذلك خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

أمّا المصادر التي اعتمدها البحث فكثيرة ومتنوعة.

وما تجدر الإشارة إليه أنّ ديوان الوائلي الذي يمثل موضوع الدراسة طُبع أكثر من مرة وهناك اختلافات بين طبعاته تنوعت بين الزيادة والنقص، فديوان إيقاع الفكر طبع في دار الصفوة، بيروت في عام ٢٠١٠، لكنّ هذا الديوان تنقصه بعض القصائد، زيادة على ذلك أنّ هذه الطبعة

احتوت على أخطاء طباعية، أما الطبعة الأخيرة لديوانه فقد صدرت في سنة ٢٠١٢ بشرح وتدقيق سمير شيخ الأرض، وقد ضمت كل قصائد الوائلي بحسب ما ذكره الناشر، وبعد الاطلاع على الديوانين وإجراء مقابلة بينهما أثرت اعتماد ديوان الوائلي بشرح وتدقيق سمير شيخ الأرض بطبعته الأولى لسنة ٢٠١٢، فقد ضم هذا الديوان كل قصائد الوائلي زيادة على دقة الطبع وقلة الأخطاء.

وفيما يخص المنهج الذي اتبعته فهو المنهج الحجاجي، وأشار هنا إلى أنَّ هذا المنهج لا يمكن أن يعالج الخطاب الشعري من دون الاتكاء على المناهج الأخر، فلاستقراء الظواهر الحجاجية لابدَّ من اعتماد المنهج الاستقرائي الوصفي للظواهر، واستكمالاً للفائدة العلمية، وما اقتضته طبيعة البحث أدخلت المنهج الإحصائي مع المناهج الأخر، فكل الظواهر التي سُجِّلَتْ خاضعة لإحصاء كامل في كل الديوان.

ولا يسعني في النهاية إلاَّ أن أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي وشيخي الدكتور عايد جدوع حنون، وإلى كل أساتذتي في قسم اللغة العربية في جامعة المثنى، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل عملي هذا بأحسن قبول، والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

الباحث

التمهيد

- أولاً : الشَّيْخُ أَحْمَدُ الْوَائِلِيُّ اسْمُهُ وَ وَلادَتُهُ
- نَسَبُهُ .
- نشأته ودراسته .
- مؤلفاته .
- وفاته .
- ثانياً : نظرية الحجاج اللغوي .
- الحجاج في اللغة .
- الحجاج في الاصطلاح .
- نظرية الحجاج اللغوي .
- الحجاج في الشعر .

أولاً: أَحْمَدُ الْوَائِلِيِّ اسْمُهُ وَوِلَادَتُهُ :

هو أحمد ابن الشيخ حسون ابن الشيخ سعيد ابن الشيخ حمود الليثي، الوائلي النجفي .
وُلِدَ في النجف الأشرف يوم الجمعة ١٧ ربيع الأول (١٣٤٧هـ) الموافق (١٩٢٨ م)^(١).

نَسَبُهُ :

أما الليثي فنسبة إلى ليث بن كنانة، وبنو ليث من القبائل العربية المعروفة في وسط العراق، وجنوبه، وتحديداً في ناحية الحَمَار في ذي قار جنوب العراق، ويعرفون هناك باسم آل حطيحط^(٢).

أما لقب الوائلي، فان قبيلة الليثيين ينتهي نسبها إلى ليث بن كنانة، ويجتمعون مع وائل بالجد الخامس^(٣).

نزحت أسرة الوائلي من الغراف موطنهم الأصلي، وحطوا رحالهم في النجف، وكان ذلك على إثر معركة عشائرية، وبعدما استقروا في النجف كانوا يُسمَوْنَ بآل حرج نسبة إلى اسم الجد الأعلى^(٤).

نشأته ودراسته :

للبيئة أثر واضح في تنشئة الفرد، فهي التي تحدد وجهته المستقبلية، وهي التي تصقل مواهبه، وتنميها، وما تتميز به النجف من سمات جعلت منها بيئة خاصة تكاد تكون فريدة من نوعها، وأهم هذه السمات أنها مدينة محافظة؛ لأنها مركز ديني، وعلمي^(٥).

نشأ أحمد الوائلي في تلك الأجواء نشأة فاضلة على يد أبيه الشيخ حسون الوائلي، وفي السابعة من عمره درس لدى الكتاتيب، وحفظ القرآن الكريم في مسجد الشيخ علي نواية وكان شيخه آنذاك الشيخ عبد الكريم قفطان.

(١) يُنظر: أحمد الوائلي سيرته ودوره في الحياة الفكرية والاجتماعية في العراق، غانم نجيب عباس : ٥٧ (اطروحة دكتوراه).

(٢) ينظر: أمير المناير :صادق جعفر الروازق : ٨٩.

(٣) ينظر: أحمد الوائلي سيرته ودوره في الحياة الفكرية والاجتماعية في العراق: ٦٢.

(٤) ينظر: نفسه : ٦٣.

(٥) ينظر: ديوان مصطفى جمال الدين : ١٧.

بعدها توجه نحو الدرس الحوزي، والأكاديمي فجمع بين اتجاهين علميين يُكْمِلُ أحدهما الآخر فأنتهى المرحلة الابتدائية في مدرسة الملك غازي، ثم دخل متوسطة منتدى النشر ثم كلية منتدى النشر، ومن أقرانه في تلك المرحلة صادق القاموسي، وأحمد المظفر، ومحمد حسن آل ياسين^(١). التحق بكلية الفقه بين عامي (١٩٥٨-١٩٥٩)، وتخرج منها بين عامي (١٩٦١-١٩٦٢) ومُنِحَ شهادة (البكالوريوس) في اللغة العربية، والعلوم الإسلامية ومن أقرانه في تلك المرحلة السيد محمد صادق الصدر، والسيد عدنان البكاء، والشيخ محمد بحر العلوم والسيد مصطفى جمال الدين^(٢). أكملَ الوائلي دراسته العليا في معهد الدراسات الإسلامية التابع لجامعة بغداد، فحصل على شهادة الماجستير عن رسالته الموسومة بـ (أحكامُ السجون بين الشريعة والقانون) في (١٩٦٩/٢/٢)^(٣). وواصل دراسته في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وحصل على شهادة الدكتوراه عن أطروحته الموسومة بـ (استغلال الأجير وموقف الإسلام منه) عام ١٩٧٢^(٤) و ((درس الاقتصاد في معهد الدراسات العليا التابع لجامعة الدول العربية خلال فترة وجوده في القاهرة أيام إعداده لأطروحة الدكتوراه، ومن أساتذته في الاقتصاد الدكتور علي لطفي رئيس الوزراء المصري فيما بعد))^(٥). وحظي الوائلي باهتمام الفئة المثقفة في مصر، وكانت له علاقة طيبة بمجموعة من الأساتذة، والمثقفين، من بينهم: أحمد الحوفي، وعبد الحكيم بلبع، وتَمَامَ حَسَّان، وعلي الخفيف، وبدوي طبانة، ومصطفى زيد الذي أشرفَ على أطروحته للدكتوراه^(٦).

مؤلفاته :

ترك أحمدُ الوائلي تراثاً فكرياً، وثقافياً، تتوع بين الأدب، والعقيدة، والفقه، ومعالجة قضايا الأمة الإسلامية، ومن هذه المؤلفات .

((- استغلال الأجير وموقف الإسلام منه) اطروحة دكتوراه) .

- هوية التشيع .

- ديوان شعر بجزأين .

- إيقاع الفكر (ديوان شعر)، يضم ديوانه السابق مع زيادة في عدد القصائد.

(٦) ينظر: أمير المنابر : ٩٥-٩٦.

(١) ينظر: أحمد الوائلي سيرته ودوره في الحياة الفكرية والاجتماعية في العراق: ٧٦.

(٢) ينظر: نفسه: ٧٧.

(٣) ينظر: نفسه: ٧٧.

(٤) أمير المنابر: ٩٦.

(٥) ينظر: نفسه: ٩٦.

- ديوان الشعر الواله في النبي وآله .
 - نحو تفسير علمي للقران .
 - نظريات في علم الحيوان في الشريعة الإسلامية .
 - الأوليات في حياة أمير المؤمنين .
 - دفاعي عن العقيدة ((^(١))
 - فضلاً عن ذلك نشر بحوثاً، ودراسات منها:
 - التنوع الحضاري لمدينة النجف الأشرف .
 - بين المعاصرة والتراث، وهو مقال تصدر العدد السادس لمجلة الموسم ١٩٩٠^(٢).
- وَفَاتُهُ :**

بعد السنوات العجاف التي قضاها الوائلي بعيداً عن العراق، التي زادت على عشرين سنة، عادَ إلى الوطن بعد التحول السياسي الذي شهده العراق، لكنه لم يعيش فرحة العودة إلى الوطن، إذ فاجأته أزمة مرضية على إثر مرض عضال رافقه شطراً طويلاً من حياته فتوفي على إثرها بعد دخوله إلى العراق، وكان ذلك في يوم الاثنين الموافق ١٤/٧/٢٠٠٣، وحُمِلَ إلى مثواه الأخير في تشييع مهيبٍ قُدِرَ بآلاف المشيعين، ودُفِنَ في مدينة النجف الأشرف^(٣).

(٦) الأداء البياني في شعر الشيخ أحمد الوائلي :كاظم عبد الله عبد النبي عنوز (رسالة ماجستير): ٨.

(٢) ينظر: أمير المنابر : ١٤١-١٤٢.

(٣) ينظر: نفسه : ٨٨.

ثانياً: نظرية الحجاج اللغوي .

الحجاج في اللغة :

يدل الأصل اللغوي لمادة (حجج) في المعجمات العربية على معانٍ متعدّدة منها: القصد و المخاصمة، والدليل، والبرهان، والجدل، والمناظرة.

وجاءت لفظة الحجاج في المعجمات العربية دالةً على صيغة المصدر من الفعل حَجَجَ قال الخليل (ت ١٧٠هـ): ((والفعل حَاجَبُهُ فَحَجَبْتُهُ، وَاحْتَجَبْتُ عَلَيْهِ بِكَذَا، وَجَمَعَ الْحُجَّةَ: حُجَجٌ، وَالْحِجَاجُ الْمَصْدَرُ))^(١).

وقد وردت مادة حج وتصريفاتها بمعانٍ متعدّدة، ومنها (الجدل) قال الجوهري (ت ٣٩٣هـ): ((هو رجلٌ مُحْجَاجٌ، أَي جَدِلٌ))^(٢)، وتأتي الحجة بمعنى البرهان ((والْحُجَّةُ: الْبُرْهَانُ))^(٣).

(١) كتاب العين : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: تح: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي: مادة: (حَجَجَ): ١٠/٣ .

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: تح: أحمد عبد الغفور عطار: مادة: (حجج): ٣٠٤/١.

(٣) لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ): مادة: (حجج): ٢٢٨/٢.

الحجاج في الاصطلاح :

ليس من السهل تحديد مصطلح الحجاج بشكله الواسع بتعريف واحد جامع، وشامل فهو مصطلح فضفاض، يأخذ شكل الاتجاه الذي ينتمي إليه؛ لذلك نجد تعريفه يختلف من باحثٍ إلى آخر؛ والسبب في ذلك أنَّ كلَّ باحثٍ يحدد وجهة الحجاج، وتعريفه من المرجعية التي ينتمي إليها الخطاب الحجاجي، وقد أشار الحبيب أعراب إلى ذلك بقوله : ((كل حجاج يستمد معناه، وحدوده، ووظائفه من مرجعية خطابية محددة، ومن خصوصية الحقل التواصلية الذي يندمج في استراتيجياته الفردية، والجماعية، ولاغربة والحالة هذه أنَّ هناك حجاجاً خطابياً لسانياً، وحجاجاً خطابياً بلاغياً، وآخر قضائياً، أو سياسياً، أو فلسفياً))^(١) وتطلعنا المصادر التي تتخذ من الحجاج موضوعاً لها على تعريفات متعددة تتفق في بعض الجوانب في تعريفها للحجاج، وتختلف في جوانبٍ أخرى، ومن هذه التعريفات :

- ((حدُّ الحجاج بأنَّه كلُّ منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقُّ له الاعتراضُ عليها))^(٢).
- ((توجيه خطاب إلى متلق ما لأجل تعديل رأيه، أو سلوكه، أو هما معاً، وهو لا يقوم إلا بالكلام المتألف من معجم اللغة الطبيعية))^(٣).
- ((صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب، والمدرجة في اللسان ضمن المحتويات الدلالية، والخاصية الأساسية للعلاقات الحجاجية أنَّ تكون درجية، أو قابلة للقياس بالدرجات، أي أنَّ تكون واصله بين السلاسل))^(٤).
- ((إنَّ الحجاجَ جنسٌ خاصٌّ من الخطاب يُبنى على قضية، أو فرضيةٍ خلافيةٍ يعرضُ فيها المتكلم دعواه مدعومةً بالتبريرات، عبر سلسلةٍ من الأقوال المترابطةٍ ترابطاً منطقيّاً قاصداً إلى إقناع

(١) الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري: الحبيب أعراب بحث ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته: د. حافظ إسماعيل علوي: ٣ / ٣١.

(٢) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: د. طه عبد الرحمن: ٢٢٦.

(٣) مدخل إلى الحجاج افلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان: د. محمد الولي: عالم الفكر: ٤٠: ع ٢: لسنة ٢٠١١: ١١.

(٤) التداولية والحجاج مداخل ونصوص: صابر الحباشة: ٢١.

الآخر بصدق دعواه، والتأثير في موقفه، أو سلوكه اتجاه تلك القضية))^(١).

- ((الحجاج نشاط لغوي يتوسل بطرق الاستدلال غير الصورية، والغرض منه إقناع المخاطب لإصابة الحق، أو تحقيقه))^(٢).

-((الحجاج هو بذل الجهد لغاية الإقناع، إنَّه طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد إلى استمالة المتلقين إلى القضايا التي تعرض عليهم، أو إلى زيادة درجة تلك الاستمالة، وعلى هذا الأساس من الطبيعي أن يكون مجال الحجاج هو المحتمل، والممكن، والتقريبي والخلافي، والمتوقع، وغير المؤكد... وأن يبنى على التفاعل والاختلاف في الرأي، وأن يظل مفتوحاً أمام النقاش والتقويم... وأن يحضر في كل أنماط الخطاب التي تنزع منزعاً تأثيرياً لا يقين فيه ولا إلزام))^(٣).

-((الحجاج نشاط كلامي واجتماعي وعقلي، الغرض منه إقناع ناقد معقول بمقبولية وجهة نظر عن طريق تقديم كوكبة من القضايا المبررة، أو المفندة للقضية المعبر عنها في وجهة النظر))^(٤). وتعريفات الحجاج كثيرة، وذكرت هذه التعريفات على سبيل المثال لا الحصر .

وكثيراً ما يتبادر إلى الذهن ارتباط مفهوم الحجاج بالبرهان، والاستدلال كما في تعريف المعجمات فقد قرئت الحجاج بالبرهان والحجة والاحتجاج، وهو ليس كذلك؛ لأنَّ صناعة البرهان تعتمد على مقدمات دقيقة يقينية الغاية منها إلزام المتلقي بالتصديق والإذعان لما يطرح عليه^(٥)، ف((البرهان ينتمي في الأصل إلى مجال الاستدلالات الاستنباطية المنطقية والرياضية بينما ينتمي الحجاج إلى مجال الخطاب الطبيعي))^(٦) فالخطاب الطبيعي التداولي ليس خطاباً منطقياً رياضياً، وربما تكون هذه هي السمة التي يمتاز بها الحجاج المنطقي من الحجاج اللغوي.

فالحجاج المنطقي ملزم للمتلقي بما يقدمه من براهين تستلزم الصدق والاقتناع من المتلقي فقد يقدم المحاجج خطاباً برهانياً واحداً يجعل المتلقي يقتنع بما يُلقى إليه من خطاب، كقول الطبيب في وصف حالة مريض: (حرارته مرتفعة إنَّه يعاني من التهاب)، فارتفاع درجة الحرارة هو نتيجة طبيعية لوجود التهاب في أحد أعضاء الجسم، وهو ما يتطلب الاقتناع والإذعان من السامع؛ لأنَّه خطابٌ برهاني استدلالي ناتج عن تجربة، أمَّا الحجاج اللغوي فإنَّه قابل للنقض غير ملزم للمتلقي،

(٥) النص والخطاب والاتصال: د. محمد العبد : ١٨٩.

(٦) الحجاج والمواطنة : د. توبي لحسن : ٨٠.

(١) مقدمة كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: د. حافظ إسماعيل علوي : ٤/١.

(٢) نظرية نسقية في الحجاج المقاربة الذريعية الجدلية: فرانز فان إيمرن : روب غروتندورست: ترجمة عبد المجيد جحفة : ١١.

(٣) ينظر: بنية النص القرآني: د. إبتسام المدني : ٣٣٨.

(٤) الحجاج والبرهان: رشيد الراضي بحث ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ١ / ١٨٥.

ويختلف الحجاج اللغوي عن البرهان والاستدلال بأنه مفهوم قائم بنفسه يهدف إلى توجيه المتلقي الوجهة المقصودة، وهو ينتمي إلى الخطاب الطبيعي^(١)، ويمثل القصد السمة الأبرز في الخطاب الحجاجي إذ ((إنَّ من السمات الأساسية التي يجب أخذها بعين الاعتبار في الاستدلال الحجاجي ذي الطبيعة الخطابية والتي يتميز بها عن الاستدلال البرهاني سمة القصدية؛ لأنَّ معنى قول ما في سياق تواصل معين لا يمكن وصفه دون الإحالة على بعض قصود التلفظ))^(٢).

ويتألف الخطاب الحجاجي من حجة أو مجموعة حجج، ورابط، ونتيجة، وقد تكون هذه النتائج ظاهرة أو مضمرة في الخطاب^(٣)، والحجاج الذي سيتبناه البحث هو الحجاج المتضمن في بنية الخطاب وهو ((تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها))^(٤) أي إنَّ الخطاب يحمل في داخله حُججاً، ونتائج تكون ظاهرة، أو مضمرة الغاية منها إقناع المتلقي بقبول ما يعرض عليه، وليس ملزماً للمتلقي وعلى وفق هذا يكون لكل خطاب خاصيته التي تميزه من غيره تبعاً لظروف التلفظ التي تُنتج ذلك الخطاب.

ويلحظ ممَّا تقدَّم من التعريفات اللغوية، والاصطلاحية للحجاج أنَّها تتشرك في القصد فالقصد هو المحور الذي يدور حوله الخطاب، وهو الذي يوجه المتكلم إلى إنتاج الخطاب من أجل إحداث تأثير في المتلقي لرفض قضية ما أو قبولها .

نَظَرِيَّةُ الحِجَاجِ اللِّغَوِيِّ :

انطلقت نظرية الحجاج عند (شايم بيرلمان، والبريشت تيتكا) من رؤية بلاغية، و كانت رؤية (جين بليز غرايس) للحجاج تصنفه على أنَّه نشاطٌ منطقيٌّ ينتمي إلى المنطق الطبيعي^(٥) لكن نظرية الحجاج في اللغة جاءت من زاوية مغايرة للأفكار التي سبقتها، فقد انطلقت من فكرة مؤداها أنَّنا نتكلَّمُ عامَّةً بقصد التأثير، ورائد هذه النظرية ومؤسسها هو الفرنسي (أرفالد ديكر) وتلميذه (جون كلود انسكومبر) يرى أصحاب هذه النظرية أنَّ اللغة تحملُ بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة

(٥) ينظر : الحجاج في كلام الامام الحسين (عليه السلام) : د. عايد جدوع حنون : ١٦ (أطروحة دكتوراه).

(٢) الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله : د. رضوان الرقيبي : عالم الفكر : ع ٢ : ٤٠ : لسنة ٢٠١١ : ٨٠ - ٨١.

(١) ينظر : الحجاج في كلام الامام الحسين (عليه السلام) : ١٦ .

(٢) اللغة والحجاج : د. أبو بكر العزاوي : ١٦ .

(٣) ينظر : بلاغة الاقناع في المناظرة : د. عبد اللطيف عادل : ٩٠ .

حجاجية، وهذه الوظيفة ظاهرة في بنية الأقوال وفي المعنى والظواهر اللغوية الصوتية، والصرفية، والمعجمية، والتركيبية والدلالية^(١)، ويدلُّ على ذلك الدراسات التي قام بها (ديكرو) وتلميذه (انسكومبر)، وإصدارهما لكتاب الحجاج في اللغة في سنة (١٩٧٣)، إذ بيَّنَ الباحثان في كتابهما أنَّ الحجاج كامن من حيث بنيته في اللغة نفسها كما يدل على ذلك عنوان كتابهما^(٢)، وقد استند الباحثان في تعريفهما للحجاج إلى البنية اللغوية للخطاب نفسه، من دون الرجوع إلى أشياء غير لغوية تُفسرُ لذلك كان تعريفهما للحجاج منطلقاً من الخطاب بوصفه تركيباً لغوياً يؤدي إلى نتيجة معينة احتمالية الحدوث لا إلزام فيها؛ لأنها حجة قابلة للنقض.

وقد يدلي المتكلم بحجة واحدة أو بمجموعة حجج تتناسب مع الموقف محاولاً بذلك دفع المتلقي إلى الاستجابة له؛ ليحقق غايته من الخطاب، فالاستجابة المتمثلة بالافتتاح هي غاية الخطاب الحجاجي، ويعرف الحجاج عندهما بأنه ((تقديم المتكلم قولاً ق ١، أو مجموعة أقوال يفضي إلى التسليم بقول آخر ق ٢، أو مجموعة أقوال أخرى، إنَّ ق ١ يمثل حجة ينبغي أن تؤدي إلى ظهور ق ٢ ويكون ق ٢ هذا قولاً صريحاً، أو ضمناً))^(٣) فالمقصود بـ "ق ١" هو الحجة، أما "ق ٢" فهي نتيجة، والنتيجة إما أن يُصرَّح بها أو تكون متضمنة في الخطاب يفهمها المتلقي من تأويله للخطاب، ولبيان ذلك نضرب هذا المثال :

(هذا القميص يناسبك، لكن ثمنه مرتفع) يمكن أن نسمي الجزء الأول من الخطاب (هذا القميص يناسبك) (الحجة ١) ونسمي الجزء الثاني منه (ثمنه مرتفع) (الحجة ٢) والخطاب لم يفض إلى نتيجة ظاهرة، بل جعلها مضمرة في الخطاب، والنتيجة هي (لا تشتري هذا القميص) فالمثال السابق يتكون من حجتين ونتيجة، والمتكلم يسوق هذه الحجج لتخدم نتيجة معينة يقصدها، ويشير مصطلح الحجة إلى أنَّه ((عنصر دلالي يقدمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر، والحجة قد ترد في هذا الإطار على شكل قول، أو فقرة أو نص، أو قد تكون مشهداً طبيعياً، أو سلوكاً غير لفظي إلى غير ذلك))^(٤)، ولهذه الحجج اللغوية سمات تميزها منها :

- أنَّها سياقية: فالعنصر الدلالي الذي يقدمه المتكلم بوصفه حجةً يكتسب دلالاته من السياق^(٥)، وبحسب هذا الوصف للحجة، فإنَّ السياق هو الذي يحدد إذا ما كانت هذه حجة أو نتيجة .

(٤) ينظر : اللغة والحجاج : ١٤ .

(٥) ينظر : الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية : د. عبدالله صولة : ٣٣ .

(١) نفسه : ٣٣ .

(٤) اللغة والحجاج : ١٨ .

(٥) ينظر : نفسه : ١٩ .

-((أنها نسبية: فلكل حُجَّة قوة حجاجية معينة، فقد يقدم المتكلم حُجَّة ما لصالح نتيجة معينة ويقدم خصمه حُجَّة مضادة أقوى بكثير منها))^(١)، مع أنَّ هذه النظرية لاتعد المتلقي خصما ولكن أية محاولة بين شخصين تعتمد على قدرة كلٍّ منهما على إقناع الآخر، وهذا بالنتيجة يؤدي إلى محاولة كل منهما إقناع الآخر بأنَّ حجته أقوى، كقول أحدهم لصديقه المريض : لنذهب إلى أحمدَ إنَّه طبيب جيد، فيرد المريض:(لكنَّه جشع) فالحجة التي قدمها المريض هي الأقوى، والنتيجة هي اقتناع الطرف الأول بأنَّ صديقه المريض على حق ، إذ لامعنى لمهارة الطبيب من دون إنسانيته .

-((أنها قابلة للإبطال : ... فإنَّ الحجاج اللغوي نسبي، ومرن، وتدرجي، وسياقي بخلاف البرهان المنطقي والرياضي الذي هو مطلق وحتمي))^(٢) إنَّ ما يصطلح عليه حجة لغوية قد يكون حجة في خطاب ما، وقد لا يكون؛ لأنَّ الأقوال تكتسب طبيعتها الحجاجية من السياقات التي ترد فيها^(٣)، وتسمى العلاقة التي تربط بين الحجة والنتيجة علاقة حجاجية ، وهي علاقة غير محكومة بالاستلزام المنطقي^(٤) .

بدأت نظرية الحجاج في اللغة بداية بنوية، متخذةً من اللغة مجالها الذي تبتدئ منه وتنتهي إليه، فهي تُقاسمُ بذلك نظرية (فرديناند دي سوسير) في دراسته للغة بذاتها ومن أجل ذاتها لكن هذه النظرية في دراستها لربط الحجة بالنتيجة لم تكتفِ بالروابط الحجاجية لإنجاز عملية الربط، فتبنت مفهوم الموضع الذي يُعرَّف أنَّه ((قواعد عامة تجعلُ من الممكن إنجاز حجاجات خاصة، وهي تنتمي للمعاني المشتركة أي أنَّها تحظى بقبول جماعي في مجتمعٍ وحقبةٍ معينتين))^(٥)، فالمواضع الحجاجية هي التي تجيز الانتقال من الحجة إلى النتيجة .

إنَّ الفصل بين الحجة والنتيجة، والاستعانة بالمواضع، وهي أشياء غير لغوية عرَّضَ نظرية الحجاج في اللغة إلى انتقادات كثيرة أرادت أن تخرجها من محيطها اللساني، لكن هذه الانتقادات تلاشت بعد الدراسات والبحوث التي قدمتها تلميذة (ديكرو) (ماريون كاريل) التي أنجزت بمعية أستاذها (ديكرو) بحثاً أثبتت فيه أنَّ لوجود للاستقلال بين الحجة والنتيجة، بل إنَّ النتيجة مطبوعة في الحجة، والحجة في النتيجة فهي عندها علاقة اختصار، وهذا ما اصطلحت عليه بالملتحمات

(١) نفسه : ١٩ .

(٢) نفسه : ١٩ .

(٣) ينظر : بلاغة الاقناع في المناظرة : ٩٨ .

(٤) ينظر : اللغة والحجاج : ٢٠ .

(٥) نفسه : ٩٩ ، وينظر : الحجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) : ٣٩ .

الدلالية، وقد أعادت هذه النظرية الحجاج إلى الخط البنيوي اللساني بعد أن كاد يخرج منه^(١).

الحجاج في الشعر :

مما لاشك فيه أنَّ غايةَ الخطاب الحجاجي هي الاقتناع^(*)، وهي عمليةٌ تلي عمليةَ الإقناع، ويقتضي الخطاب الذي يوجه إلى متلقٍ معين، وفي مقامٍ معين أنَّ يكونَ من حيث الوظيفة المقامية والإبلاغية مناسباً وملائماً للسياق الذي يقال فيه، ومن أهمِّ الأعمدة التي تجعل ذلك الخطاب ناجحاً هي صدق الحجج، والنتائج التي يحملها ذلك الخطاب ومطابقتها للواقع، وسيكون الحجاج في الخطاب الشعري هو محور هذا الموضوع؛ لذا سيكون الحديث عن الحجاج في الخطاب الشعري من عدة محاور.

المحور الأول:

الخطاب الشعري قائمٌ على الخيال بوصفه المكون الأساسي في بنيته.

عبر أرسطو عن هذا الأمر، وجعل هدف الشعر التعبير عن الحقيقة العامة، أو الحقيقة الكلية^(٢)، وعلى وفق هذا يمكن القول إنَّ الخطاب الذي يحمل في طياته الخيال لا يشكل عائقاً أمام الإقناع المتضمن فيه.

إنَّ الخيال بوصفه خاصية في الشعر متأصلة فيه جعل بعض الباحثين في هذا الشأن يبعدون الخطاب الشعري عن الواقع؛ لما يحمله من لغةٍ يُهيمنُ عليها الخيال، لكن أرسطو خالف هذا الرأي فقال: ((أما فيما يتعلق بالمتطلبات الفنية للشعر فإنَّ المستحيلَ المقنع أفضلُ من الأمرِ الممكنِ غيرِ المقنع))^(٣)، والشعر برغم ما به من الخيال إلا أنَّه قادر على امتلاك عواطف المستمعين، وتحريكهم نحو قضية ما مثل إثارة حماسة الناس نحو الحرب أو إثارة عاطفة الحُزن، فالخيال لم يكن عائقاً أمام الشعر ليؤدي وظيفته التأثيرية وهذا يدل على أنَّ في الشعر من وسائل الإقناع ما لانجده في غيره من الخطابات، وفي ذلك قال حازم القرطاجني(ت٦٨٤هـ): ((التَّخِيل هو قوام المعاني الشعرية، والإقناع هو قوام المعاني الخطابية، واستعمال الإقناعات في الأقاويل الشعرية

(١) ينظر: مفهوم الموضوع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو: رشيد الراضي: عالم الفكر: م٢٠٤٠/٢٤ لسنة ٢٠١١: ٢٢٦.

(*) مما تجدر الإشارة إليه التفريق بين مصطلحي الإقناع والاقتناع، فالإقناع هو: عملية تحويل أو تطويع آراء الآخرين نحو رأي مستهدف، أما الاقتناع فهو: عملية التأثير والاستجابة للإقناع، فهو عملية تلي الإقناع. ينظر: تعلم فن الإقناع والتأثير في الآخرين: أحمد الكردي: الموقع على الشبكة الالكترونية:

<http://kenanaonline.com/users/ahmedkordy/posts/127046>

(١) ينظر: فن الشعر: أرسطو: ترجمة: د. ابراهيم حمادة: ١١٤.

(٣) نفسه: ٢٢٠.

سائغ، إذا كان ذلك على جهة الإلماع في الموضع بعد الموضع، كما أن التّخايل سائغ استعمالها في الأقاويل الخطابية في الموضع بعد الموضع، وإنما سائغ لكليهما أن يستعمل يسيراً فيما تتقوم به الأخرى؛ لأنّ الغرض في الصناعتين واحد، وهو إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحلّ القبول لتتأثر لمقتضاه، فكانت الصناعتان [متواخيتين]^(*) لأجل اتفاق المقصد والغرض فيهما؛ فلذلك سائغ للشاعر أن يخطب لكن في الأقل من كلامه، وللخطيب أن يشعر لكن في الأقل من كلامه^(١).

المحور الثاني : الخطاب الشعري بوصفه خطاباً فنياً له قدرة على التغيير.

يصنف الخطاب الشعري في زُمرِ الخطابات الفنية إذ ((تُصنّفُ الخطابات من حيث بنيتها داخل ما يسمى (الخطاب الفني) الإبداعي، الأدبي إلى قصة، ورواية، وقصيدة شعر وغيرها))^(٢)، والشعر بوصفه خطاباً فنياً يحمل في طياته خيالاً جامعاً، فهو يحمل الحقائق أيضاً، وهذا يعني أنّه قادرٌ على التأثير في المتلقي، ويقاس تأثير الخطاب الشعري بما يحمله من لغة تستطيع أن تقرض نفسها في مقام التلفظ، وتستطيع أن تغير الواقع فالتأثير، والإقناع في الخطاب الشعري منوطٌ بما يحمله من لغة قادرة على التأثير مع مراعاته لظروف التلفظ ((خلافاً لما يعتقده كثيرٌ من الدارسين والمحلّلين فإنّ الشعر أيضاً يحفل بالعديد من البنيات الحجاجية، على الرغم من الصبغة التخيلية التي هيمنت على التعريفات التي قدمت له))^(٣) فالشعر إذن خطاب موجه إلى متلقٍ ما، ولا بد أن يكون هذا الخطاب حاملاً لما يدفع إلى الاقتناع، سواء أكان ذلك الدافع ظاهراً، أم مضمراً، أم إيحائياً فاللغة قادرة على إحداث تغيير، بل هي الأساس فيه، والشعر يمثل صورة من صور اللغة وتمثلاتها في الواقع، وتقوم عملية الإقناع على مبدأ إرادة المتكلم التأثير في المخاطب و القصد منها إحداث فعل، أو تركه، أو تبني فكرة ما، أو التخلي عنها، ويكون هذا الخطاب ناجحاً إذا تحققت هذه الإرادة^(٤).

المحور الثالث : الشعر بوصفه خطاباً يؤسس لغاية معينة .

الشعر من ضروب الخطاب الموجه إلى متلقٍ ما، سواءً كان هذا المتلقي فرداً أم جماعة ولا بد أن تكون لهذا الخطاب غاية، هذه الغاية هي التي تدفع المتكلم إلى صياغة وإنتاج خطاب يتلاءم

(*) هكذا وردت في النص، والصواب (متواخيتين) .

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء :أبو الحسن حازم القرطاجني :تح:محمد الحبيب بن الخوجة :٣٦١.

(٢) الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط:د. أحمد المتوكل:٢٥.

(٣) مناهج الدراسات الأدبية الحديثة من التاريخية إلى الحجاج :د. حسن مسكين :١٨٠.

(٤) ينظر : الحجاج في الخطابة النبوية :د.عبدالجليل العشراوي:٣٨.

والموقف المقصود، إذ ينشغل مؤسس الخطاب بالمتلقي، فيستحضره في كل مراحل خطابه، محاولاً قدر استطاعته أن يغير من قناعة متلقيه، فليست الغاية من الخطاب هي رفع الغموض، وبيان الحقيقة فحسب، بل يكون هدفه الأول هو إقناع المتلقي بها^(١) ووسيلته اللغة الطبيعية التي تحمل في طياتها فحوى الخطاب ومقاصده وكان الشعر، وما زال خطاباً إقناعياً، يُؤثر ويبدل مواقف كثيرة، ممّا جعل بعض الباحثين يذهبون إلى أنّ الخطاب لا يؤسس لذاته، إذ لا بدّ أن تكون هناك غاية نفعية كامنة خلف بنية الخطاب أرادها وقصدها المتكلم والإقناع منها^(٢)، وإذا تأملنا بعض الأمثلة التي ذكرتها المدونة التراثية سنكتشف مدى التأثير الذي سببه بيت، أو قصيدة من الشعر، ومن أمثلة ذلك ما جاء في كتاب العمدة في محاسن الشعر، وآدابه حينما دخل كعب بن زهير على رسول الله (ﷺ) معتذراً بقصيدته التي مطلعها: [البحر البسيط]

((بَانتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَثْبُوتٌ مُتَمِّمٌ إِيْرَهَا لَمْ يُغْدَ مَكْبُوتٌ

يقول فيها بعد تغزله وذكر شدة خوفه ووجهه:

أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولٌ
مَهْلًا هَذَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْقُرْآنِ فِيهَا مَوَاعِظٌ وَتَفْصِيلٌ
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ أَذْنِبْ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ

فلم ينكر عليه النبي (ﷺ) قوله، وما كان ليوعده على باطل، بل تجاوز عنه ووهب له برده^(٣). لقد آثر كعب بن زهير أن يعتذر بخطاب شعري، بدل أن يستعمل النثر، مع أنّ المقام هو مقام خوف، وأي خوف إنّه القتل ! وكان محقاً في ذلك، لأنّه أراد استثارة العاطفة والوجدان في اعتذاره، والشعر أقرب إلى عاطفة وقلب المتلقي لما فيه من خصائص، وقد أخذ هذا الخطاب أثره الحجاجي، وعمل عمله الإقناعي، وحصل كعب على ما أراد، وهذا يدل على أنّ الخطاب الشعري وجدّ قبولاً أكثر من الخطاب النثري، ويمكن أن يُنظر إلى هذا الخطاب وعمله على أنّه فعل من أفعال الكلام بحسب ما أشار له أوستن ((وإنّما اللغة وسيلتنا للتأثير في العالم، وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف كلية))^(٤)، وهذا يدل على أنّ وظيفة الشعر لا تقتصر على الوظيفة الشعرية بل تتعدى إلى ما هو أكثر من ذلك، فهي لم تكن في وقت من الأوقات واحدة، بل تعددت

(٤) ينظر: الحجاج في الشعر العربي بنيتة واساليبه: د. سامية الدريدي : ٦٧.

(٥) ينظر: الحجاج في الشعر العربي بنيتة واساليبه : ٦٧.

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣ هـ): تح: محيي الدين عبد الحميد: ٢٤/١.

(٤) نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام: أوستن: ترجمة عبد القدر قيني : ٦.

وتتنوعت، وستظل متعددة و كل نص شعري تكون له إلى جانب الوظيفة الشعرية وظائف أخرى مثل الوظيفة الانفعالية والوظيفة التوجيهية والإقناعية^(١)؛ لأنَّ الخطاب الإقناعي يقاس بحسب درجته في التأثير فالخطاب الناجح هو الخطاب المؤثر، الذي يؤدي إلى تقبل المتلقي له وعمله به.

ومن أمثلة ذلك ما أورده الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) فقال: ((ولبغض البنات هجر أبو حمزة الضبيّ خيمة امرأته، وكان يقيّل ويببئ عند جيران له، حين ولدت امرأته بنتاً، فمر يوماً بخبائها وإذا هي ترقصها، وتقول: [الرجز]

ما لأبي حمزة لا يأتينا يظلّ في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا تالله ما ذلك في أيدينا
وإنما نأخذ ما أعطينا ونحن كالأرض لزارعينا
نُنبِت ما قد زَرَعُوهُ فينا

قال: فغدا الشيخُ حتّى ولج البيت فقبل رأس امرأته وابنتها^(٢).

يتضح مما تقدم أنّ الحجاج بما يحمله من قوة على إقناع المتلقي ليس طارئاً في الشعر بل هو خاصية متجذرة فيه .

(١) ينظر: الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه : ٦٨.

(٢) البيان والتبيين عمرو بن بحر الجاحظ : تح عبد السلام هارون: ١/١٨٦.

الفصل الأول: الحجاج اللغوي

- المبحث الأول: الروابط الحجاجية .
- المبحث الثاني: العوامل الحجاجية .

المُبْحَثُ الثَّالِثُ : السَّلاَئِمُ الحِجَاجِيَّةُ .

المُبْحَثُ الأوَّلُ : الرِّوَابُطُ الحِجَاجِيَّةُ المفهوم ، والوظيفة.

مفهوم الروابط الحجاجية :

من السمات التي تُمَيِّزُ الخطاب الحجاجي أَنَّهُ يحتوي على أدوات لغوية (مورفيمات) تُسمَّى روابط حجاجية، وتمثل هذه الروابط علامة بارزة، ودليلاً قاطعاً على أَنَّ الحجاجَ مؤشِّرٌ له في بنية اللغة نفسها^(١)، وقد عدَّها (ديكرو) وسمّاً حجاجياً في الخطاب^(٢) وهذا لايعني بالضرورة أَنَّ كلَّ خطابٍ لايعتوي هذه الروابط ليس خطاباً حجاجياً، وإنَّما يكون لهذه الروابط وقع خاص؛ لأنَّها تعطي الخطاب الحجاجي قوة أكبر.

وتُعرَّفُ الروابط الحجاجية بأنَّها ((مكونات لغوية تربط قولين أو أكثر، داخلين في استراتيجية حجاجية واحدة بحيث تسمح بالربط بين المتغيرات الحجاجية بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة

(١) ينظر : اللغة والحجاج : ٥٥.

(٢) ينظر : الحجاج والمواطنة : ٨٥.

من الحجج ((^(١)).

وهذه الأدوات اللغوية تعمل على ربط أجزاء الخطاب الحجاجي، فمنها ما يربط بين حجة ونتيجة ومنها ما يربط بين مجموعة من الحجج، ولكل رابط منها وقعه، ودلالته التي تميزه من غيره من الروابط، بل لكل رابط منها عمله الذي يختص به دون سواه، وليس هذا فحسب بل ((إن وظيفة الروابط الحجاجية غير مقصورة في ربط الحجج بالنتائج، وإنما تتعدى هذا النطاق الضيق، لتضطلع بوظيفة مركزية تتمثل في توجيه القول نحو وجهته الحجاجية ((^(٢) ومن هذه الروابط في لغتنا العربية :بل، حتى، لكن، إذن، إذ، لاسيما، لأن، الواو، الفاء اللام،...^(٣)، وقد يُوجد السياق أدوات تكون روابط حجاجية مثل حروف التعليل، وأدوات التوكيد^(٤)، وقد تحدثت كتب الحجاج عن هذه الروابط فذكرت بعضاً منها، ولم تأت على ذكرها جميعاً؛ لأن هذه الروابط هي الأكثر تداولاً في الخطاب، وهذه الروابط هي التي تبين المعنى الضمني، والمضمر^(٥). فإذا قابلنا بين المثالين (زيدٌ تلميذٌ ذكيٌّ حتى إنه اجتاز الامتحان بتفوق) و (زيدٌ تلميذٌ ذكيٌّ فقد اجتاز الامتحان بتفوق) سنجد أن كلا الخطابين يتضمنان روابطاً حجاجية لكنهما يتفاوتان في قوة الحجة، وسبب التفاوت في قوة الحجة يعود إلى نوع الرابط الحجاجي - وسيأتي تفصيل ذلك لاحقاً - .

وظيفة الروابط الحجاجية :

تبقى الأفكار حبيسة ذهن الإنسان ما لم تخرج من ذلك الوعاء، وتُشتر في شكل جمل تعبر عن معانٍ مختلفة تتلاءم مع العالم، وهذه الجمل لا تُؤدى بشكل عشوائي، إنما تنتظم في نسق معين، وتتشكل كما يتشكل البناء فلكل كلمة مكانها الخاص، ولكل جملة ارتباط خاص بما سبقها وما يليها، ولا بد لهذا التناسق الدقيق أن ينتظم في علاقة انسجام، واتصال تجعل الكلام مرتبطاً كالشيء الواحد، وقد عبّر القدماء عن انسجام الكلام، وحسن تأليفه وتماسك أجزائه بأنه كلام أخذ بعضه برقاب بعض^(٦)، وتأخذ الروابط اللغوية على عاتقها ربط أجزاء الكلام ليتم ذلك الانسجام، ويتحقق الشرط الأهم الذي يجعل الخطاب منسجماً، وليس هذا فحسب، فوظيفة الروابط لا تنتهي عند هذا الحد بل تتعداه إلى ما هو أبعد، ومن جملة هذه الوظائف :

(٣) بلاغة الاقناع في المناظرة : ١٠٠.

(٤) الحجاج والمواطنة : ٨٩.

(٥) ينظر : نفسه : ٥٥.

(٦) ينظر : استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : عبد الهادي بن ظافر الشهري : ٤٧٧.

(٧) ينظر : اللغة والحجاج : ٥٦.

(٦) ينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ) : تح : أحمد الحوفي و بدوي

طباعة : ١٣٠/٢.

١-الوظيفة الخطابية : هي الوظيفة الأبرز بين وظائف الروابط الحجاجية، بها يتم الربط بين أجزاء الخطاب، فيتحقق الانسجام، والاتساق بين أجزائه^(١).

٢-الوظيفة التوجيهية: إذا كان المتكلم في عملية التخاطب يختار بعض الروابط دون بعض فهذا يدل على الدور التوجيهي الذي يختص به هذا الرابط عن غيره، ويكون هذا التوجيه أقوى إذا اقترن بعامل حجاجي، إذ تتحدد وجهة الخطاب الحجاجي، ومقصده من الروابط والعوامل التي يحتويها، وإن كان العامل هو صاحب الحظ الأوفر في التوجيه، لكن يبقى للرابط أثره البارز في توجيه الخطاب الحجاجي^(٢).

٣- الوظيفة التأويلية: هي من الوظائف غير المباشرة للروابط، لكنّها تتضح من الطبيعة الاستنتاجية التي يضيفها الرابط على الخطاب، فما يُحيل عليه الرابط يعد جزءاً من عملية التأويل لدى المتلقي، وكذلك الاستنتاج هو جزء من عملية التأويل، ولهذا يكون التوجيه صحيحاً متى ما كان التأويل صحيحاً^(٣).

٤- الوظيفة التعليلية:

تقوم وظيفة التعليل في اللغة العربية على ربط النتيجة بالسبب، ولا يتحقق ذلك إلا بالروابط المختصة بالتعليل، والخطاب المتضمن للعلّة يكون أثره الحجاجي أقوى على المتلقي، قال التهانوي (ت ١١٥٨هـ): ((فإنّ النفوس أبعث على قبول الأحكام المعلّلة من غيرها))^(٤)؛ لذلك نجد بعض الخطابات تعتمد هذه الوظيفة-أي وظيفة التعليل- لما لها من أثر في المُخاطَب.

أقسام الروابط الحجاجية:

قسّم الدكتور أبو بكر العزاوي هذه الروابط بحسب عملها في الخطاب الحجاجي على ما يأتي :

- الروابط التي تُدرجُ حُجَجاً قَوِيَّةً : وهي (حتى، بل، لكن، لاسيما)، هذه الروابط تربط بين حجتين، أو مجموعة حجج، والحجج التي تأتي بعد هذه الروابط أقوى من الحجج التي تأتي قبلها^(٥).

- الروابط المدرجة للنتائج: أشار أبو بكر العزاوي إلى بعضها، وهي: (إذن، لهذا، بالتالي) وهناك

(١) ينظر :الحجاج في الخطاب القانوني :عز الدين الناجح:٣٧٣-٣٧٤.

(٢) ينظر : نفسه:٣٧٨.

(٣) ينظر : الحجاج في الخطاب القانوني:٣٧٥.

(٤) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد علي التهانوي:تح:د. علي دحروج:١/٢٢٥.

(٥) ينظر : اللغة والحجاج :٣٠٠.

روابط آخر مدرجة للنتائج لم يُشر إليها منها: (الفاء، إذ، لأن، اللام، إذا) ^(١)

- روابط التعارض الحجاجي : (بل، لكن، مع ذلك)، وتسمى حججاً متعاندة ^(٢).

- روابط التساوق الحجاجي: (حتى، ولا سيما)، وتسمى حججاً متساندة ^(٣)، ومن الروابط التي تدرج حُججاً متساندة: (الواو، وبل، وأم) لم يُشر إليها العزاوي، أما الرابط (أم) فلم يذكره الباحثون بحسب ما وجدت في كتب الحجاج، وكان لأستاذي المشرف فضل التنبيه على هذا الرابط، وقد وجدت شواهد عدة في شعر الوائلي لهذا الرابط .

أولاً : الروابط التي تدرج حججاً قوية.

حتى :

هي من الحروف التي يتحدد معناها من السياق، فهي عاطفة رابطة، و جارة وناصبة للفعل المضارع مرةً، وللتعليل، والشرط، أما التي تأتي رابطاً حجاجياً فإنها تدخل على الأفعال والأسماء على حدٍ سواء، ومنها (حتى) التي تجر ما بعدها، فهي حجاجية، ولكن عملها مشروط بأن ((يكون ما بعدها داخلاً فيما قبلها، فإذا قلنا: صمنا الايام حتى يوم الفطر فإن حتى ستكون غير حجاجية؛ لأن يوم الفطر لا يندرج ضمن الايام التي صمناها)) ^(٤) وما جاءت به نظرية الحجاج اللغوي - التي تجعل ما بعد حتى الجارة يدل على قوة الحجة - نجده أيضاً عند المتقدمين، قال ابن السراج (ت ٣١٦هـ): ((حتى منتهى لابتداء الغاية بمنزلة إلى، إلا أنها تقع على ضربين إحداها: أن يكون ما بعدها جزءاً مما قبلها، وينتهي الأمر به... فأما الضرب الأول، وهو ما ينتهي به الأمر فإنه لا يجوز أن يكون الاسم بعد حتى إلا من جماعة، كاستثناء لا يجوز أن يكون بعد واحد، ولا اثنين؛ لأنه جزء من جماعة، وإنما يذكر لتحقيق، أو تعظيم، أو قوة، أو ضعف، وذلك قولك ضربت القوم حتى زيد، فزيد من القوم، وانتهى الضرب به فهو مضروب مفعول، ولا يخلو أن يكون أحقر من ضربت، أو أعظمهم شأنًا)) ^(٥)، وما عبّر عنه ابن السراج بأنه دال على جماعة اصطلاح عليه أبو بكر العزاوي السور الكلي أو شبه الكلي، وذهب إلى أن الرابط (حتى) لا يستعمل إلا مع الأسوار الكلية أو شبه الكلية ^(٦)، وهذه الأسوار قد تكون ظاهرة في الخطاب كقولهم: (خسر جميع

(٣) ينظر : الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه : هاجر مدقن: ١٦١-١٦٢.

(٢) ينظر : اللغة والحجاج : ٣٠.

(٣) ينظر : نفسه: ٣٠.

(٦) اللغة والحجاج : ٧٢.

(١) الاصول في النحو: أبو بكر محمد بن سهل ابن السراج :تح: عبد الحسين الفتلي: ١/٤٢٤.

(٦) ينظر : اللغة والحجاج: ٨١.

المتسابقين حتى الأبطال)، والألفاظ التي تدل على الأسوار (كل، وجميع، وأغلب وجل...) فالرابط (حتى) في المثالين قد أدرج حججاً قوية؛ لأنه أُحيطَ بسور الكلية.

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ أبوبكر العزاوي أهمل ذكر (ال) التي تمثل سوراً كلياً في اللغة العربية وهي التي للاستغراق، فعند انتفاء وجود قرينة تدل على البعضية تُحمَلُ (ال) على الاستغراق الذي يُرادُّ به الكلية سواء وجدت قرينة الكلية أم لا^(١)، ومثال ذلك: (مات الناس حتى الانبياء)، فموت الناس دالٌّ على الكلية والشمول؛ لأنَّ (ال) حين دخلت على كلمة الناس شملتهم جميعاً.

أما ماذهب إليه ابن السراج في ذكر الاسم بعد حتى يكون للتعظيم، أو التحقير، أو القوة أو الضعف، فهو الرأي نفسه الذي تبنته نظرية الحجاج اللغوي، فهي ترى أنَّ ((الخاصية الأساسية للحجة التي تردُّ بعد حتى تتمثلُ في أنَّ هذه الحجة تعدُّ أقوى حجة يمكن أن نقدمها لصالح النتيجة المقصودة))^(٢)، وبالعودة الى مثال ابن السراج، فإنَّ زياداً داخلً في الضرب ونتيجة الخطاب الحجاجي تحمل وجهين: أمَّا أن يكونَ زيْدٌ هو الأقوى فتكون النتيجة لصالح المتكلم، وتدل على قوته، وشجاعته، وأمَّا أن يكونَ زيْدٌ هو الأضعف فتكون النتيجة دالةً على ظلم المتكلم وعدوانه؛ لأنَّه ضَرَبَ القوي والضعيف.

وحاصل ما ذُكِرَ أنَّ أكثر السياقات التي تردُّ بها (حتى) في الغالب تكون لغاية حجاجية سواء كانت دالةً على العطف^(٣)، أم التعليل، أم الغاية، أم الشرط، وإنما يحدد السياق الدور الذي تؤديه حتى وغاياتها الحجاجية .

وقد ورد الرابط (حتى) في شعر الوائلي في ستة وستين موضعاً^(٤) مما يدل على كثرة اعتماده عليه لما يتمتع به من خصائص لغوية وحجاجية، ومن ذلك قوله: [البحر الطويل]
فإنَّ الحمى من دُونِ نابٍ فريسةٌ مُهَيَّاةٌ حَتَّى الجَبَانُ بِهَا يُغَرَى^(٥)
هذا البيت من قصيدة طويلة، والخطاب هنا موجّهٌ إلى مجاهدي (حزب الله) في جنوب لبنان وقد

(١) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: تح: طه عبد الرؤف سعيد: ٢٦٢/١.

(٢) اللغة والحجاج: ٨٨.

(٣) ينظر: اللغة والحجاج: ٧٢.

(٤) ينظر: ديوان الوائلي: شرح وتقيق: سمير شيخ الأرض: ٤٩، ٥٤، ٥٦، ٧٢، ٧٤، ٨٣، ٨٧، ٩٢، ١٠٤، ١٠٨، ١١٠، ١٤٤، ١٤٦، ١٥٤، ١٦٩، ١٧٩، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٨، ٢٠٥، ٢١٢، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٩، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٦، ٢٥٥، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٨٤، ٣٠١، ٣١١، ٣١٦، ٣١٩، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٦٥، ٣٧٧، ٣٩٦، ٤٠٢، ٤٠٦، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٩، ٤٢١، ٤٣٤، ٤٤٠، ٤٥٢، ٤٦٠، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٩٦، ٥٠٠، ٥٠١، ٥١١، ٥١٨.

(٥) نفسه: ٢٦٣.

كنى عنهم بالناب للدلالة على القوة، وكنى عن الدين بالحمى، والدليل على ذلك قوله قبل هذا البيت:

فيا أيُّ هذا الليلُ لو أنَّ ليلنــــا الذي ما حوى إلا التهجدَ والذكرى
إلى جانبِ المحاربِ فيه كواسرٌ وجيلٌ من الأنبياءِ نعتُهُ ذخراً

مثلت (حتى) في هذا الخطاب رابطاً حاججياً، وقبل أن تكون كذلك فهي رابطة عاطفة في هذا الموضوع، وتكون حتى عاطفة إذا وُجدَ أحدُ الشرطين في الخطاب :الأول: أنَّ يكونَ مابعدُها جزءاً ممَّا قبلها، أو ما يتنزل منزلةَ البعض منه، والثاني: أن ما بعد (حتى) لا بدُّ أن يكون عظيمًا، أو حقيرًا، أو قويًا، أو ضعيفًا، بالضدِّ ممَّا قبلها^(١)، وقد جاء عملها هنا مطابقاً للشرط الثاني. و(حتى) في هذا البيت رَبطتُ بين حجتين، وعلى وفق هذا يكون ترتيب الحجج في البيت على النحو الآتي:

ح ١^(*): (فإنَّ الحمى من دونِ نابٍ فريسةٌ مهيأةٌ)

ح ٢ : (الجبانُ بها يُغرى)، واستناداً إلى ما ذكره المرادي، وهو إنَّ ما بعد (حتى) يدلُّ على ضعفٍ، أوقوة فقد طبقت هنا الشرط الثاني، فهي تدلُّ على أنَّ ما بعدها ضعيفٌ حقيرٌ وهي الحجة الأقوى، إذ إنَّها تقع بعد الرابط (حتى)، والسياق يشير الى ذلك، فالحمى عند العرب يتعلق بشرف وكرامة من يملكه ويضعُ اليدَ عليه، قال الأزهري: ((يَقَالُ حَمَى فلانٌ الأرضَ يَحْمِيها حمى إذا مَنَعها من أن تُقَرَّبَ))^(٢)، ولا يخفى ما حققته (حتى) من دلالةٍ في توجيه الخطاب نحو الحجة الثانية؛ لأنَّها الحجة الأقوى التي فعلت فعل التنبيه للمتلقي فكلُّ شيءٍ من غير حامٍ ومدافع عنه مُعرَّضٌ للاعتداء من أضعفِ الأعداء، وكذلك الدين فإنَّه من دون قوة تحميه وتذود عنه مستباحٌ لامحالة، وهاتان الحجتان تخدمان نتيجة مضمرة تفهم من السياق، وهي: أنَّ هذا الدين ليس عبادة فقط، بل لا بُدَّ أن يكون له من يدفع عنه أذى الأعداء، وأن تكون له يدٌ يصلو بها ضد من يتربصون به الأذى .

يتضح ممَّا تقدم أنَّ من خصائص (حتى) الربط بين أجزاء القضية الحاججية، إذ إنَّ الخطاب الحاججي وإنَّ تكوَّن من حجتين أو أكثر، أو من حجة ونتيجة فإنَّ القضية الحاججية واحدة لا يمكن فصلها، وقد ((اختصت الروابط بالربط بين القضيتين البسيطتين لتصبحا قضيةً كبرى))^(٣) والربط

(٣) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: بدر الدين المرادي (ت ٧٤٩هـ): تح: د. فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل: ٥٤٨.

(*) ح ١ : رمزٌ يدلُّ على الحجة الأولى ح ٢: رمزٌ يدلُّ على الحجة الثانية .

(٢) تهذيب اللغة: مادة (حمى): ١٧٧/٥.

(١) العوامل الحاججية في اللغة العربية: د. عز الدين الناجح: ٢٣.

(حتى)، وكل الروابط هي حروف، والحروف لاتستقل بدلالة إنَّما تتضح دلالتها من السياق الذي تدرج فيه، قال ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ): ((حَتَّى حرفٌ ... والحرفُ لا يستقلُّ بنفسه، ولا ينفصل ممَّا بعده))^(١)، وأرى أنَّ الدور الذي تؤديه حتى في الخطاب الحجاجي ليس الربط وحده، بل أنَّها تضيف دلالة أقرب إلى التنبيه، أو محاولة لفت انتباه السامع إلى شيء أكثر أهمية مما سمعه في الحجة الأولى؛ لذلك يُعزى للرباط (حتى) دور ترتيب الحجج داخل الخطاب من الأضعف إلى الأقوى لـ ((أنَّ المعبر في حتى ترتيب أجزاء ما قبلها ذهنًا من الأضعف إلى الأقوى))^(٢) وهذا ما أدته (حتى) في الخطاب .

لكنَّ : من الروابط التي تدرج حججاً قوية، أي إنَّ ما بعدها من حجج تكون أقوى ممَّا قبلها وهي عند النحويين من الحروف التي تدلُّ على الاستدراك، والمقصود بالاستدراك ((أن تنسب حكماً لاسمها يخالف المحكوم عليه قبلها كأنك لما أخبرت عن الأول، بخبر خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك؛ فتداركت خبره إن سلباً وإن إيجابياً، ولذلك لا يكون إلاّ بعد كلام ملفوظ به أو مقدر))^(٣)، وقد سبق المراد في ما ذكره من معنى (لكنَّ) ما جاء به نظرية الحجاج اللغوي، إذ تكون (لكن) رابطاً حجاجياً إذا خالف ما بعدها ما قبلها، وأريد بها الاستدراك كقولنا: (الشمس مشرقة لكن الهواء بارد)، وإذا لم يخالف ما بعدها حكم ما قبلها تكون للتوكيد ويراد بها الإبطال كقولنا: (مازید نائم لكنه مستيقظ)^(٤)، وهي رابطٌ حجاجي أيضاً، وهذا الأمر عبر عنه السيوطي (ت ٩١١هـ) بقوله: ((ولكن للاستدراك، وَمَعْنَاهُ أَنْ يثبت حكماً لمحكوم عَلَيْهِ يُخالف الحكم الَّذِي للمحكوم عَلَيْهِ قبلها، وَلِذَلِكَ لا بدَّ أَنْ يتقدما كَلَامٌ ملفوظ به، أو مُقَدَّر ولا بدَّ أَنْ يكون نقیضاً لما بعده أو ضداً لَهُ))^(٥)، وعلى وفق نظرية الحجاج فإنَّ الحجة الثانية التي تقع بعد (لكن) تخالف الحجة التي قبلها، أو تكون الأقوى فتعمل على توجيه الخطاب، فالمتكلم يقدم خطاباً يتكون من حجتين (ح ١) و (ح ٢) يربط بينهما الرابط (لكنَّ) فتعمل (لكنَّ) على استقلال نتيجة كلِّ حجة من هذه الحجج، وتكون نتيجة الحجة الثانية مغايرة، ومعارضة لنتيجة الحجة الأولى^(٦)، كقول القائل

(٢) شرح المفصل: موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي: تح: د. إميل بديع يعقوب: ٢٤١/٥.

(٣) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: ١٤٣-١٤٢/٣.

(٤) الجنى الداني في حروف المعاني: ٦١٥.

(٥) ينظر: معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي: ٢٨٢/١.

(٥) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي: تح: د. عبد العال سالم مكرم: ١٤٩/٢.

(٢) ينظر: اللغة والحجاج: ٥٨.

(*) (ن) رمز للنتيجة، (لا-ن) رمز لنتيجة معارضة للنتيجة الأولى.

لمن يريد أن يشتري منزلاً (هو منزلٌ بعيدٌ عن المدينة ، لكنَّهُ مليءٌ بالأشجار، والزهور) فيكون ترتيب الحجج في هذا الخطاب على النحو الآتي :

- ح ١ (منزل بعيدٌ عن المدينة)

فتكون نتيجتها (تحتاج الى سيارة لأنَّهُ بعيد عن المدينة)

- ح ٢ (مليء بالأشجار والأزهار)

وتكون نتيجة الحجة الثانية (إنَّهُ جميل، وهادئ، وبعيد عن صخب المدينة أنصحك بشرائه).

ما يلحظ من هذه الحجج أن نتيجة الحجة الثانية تعارض نتيجة الحجة الأولى، فإذا كانت (ح ١) تتجه نحو نتيجة (ن) (*) فإنَّ (ح ٢) تتجه نحو نتيجة (لا-ن)، والحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى؛ لذلك فهي من يوجه الخطاب الحجاجي نحو النتيجة المقصودة، مع وجود قضية واحدة محورية هي قضية شراء المنزل.

وقد شكل الرابط (لكنَّ) ظاهرة مميزة في شعر الوائلي؛ لكثرت فيه، فقد ورد في سبعين موضعاً^(١) ومن شواهد هذا الرابط في شعر الوائلي قوله: [البحرالکامل]

صَبَّتْ بِكَ الْأَعْرَاقُ مُخْتَلَفَ الدِّمَا لَكُنْهَا مَا غَيَّرَتْ أَحْسَاباً^(٢)

قد تتغير ثقافة مجتمع ما بفعل اتجاه ثقافي مضاد يفرض نفسه بديلاً لثقافة المجتمع، فقد يفرض الاتجاه الثقافي الجديد نفسه بالقوة كما فعل الفرنسيون في دول المغرب العربي، وما يؤول إليه الأمر بعد الصراع بين الثقافتين هو انسلاخ عن الثقافة الأم، وظهور ثقافة مشوهة. استوحى الوائلي هذا المعنى، وهو يخاطب بغداد التي اختلف الغزاة عليها من بوهيين وسلاجقة، ومغول، ومع ما أحدثه هؤلاء الغزاة من خراب، ودمار ظلت بغداد محافظةً على صورتها المشرقة، وهويتها العربية الإسلامية .

الوائلي يوجه خطابه إلى بغداد، والبيت يتضمن حجتين، وقد جاء ترتيبهما على النحو الآتي:

- ح ١: (صَبَّتْ بِكَ الْأَعْرَاقُ مُخْتَلَفَ الدِّمَا) (ن) المضمرة هي (دخلها كثيرٌ من الناسِ عرباً، وغير عرب)

- ح ٢: (ما غَيَّرَتْ أَحْسَاباً) (ن) المضمرة (لا-ن) (بقاء بغداد نابضةً بالحياة محتفظة

(٣) ينظر: ديوان الوائلي: ٤٥، ٥٩، ٦١، ٦٥، ٧٣، ٨٢، ٨٧، ٩٦، ١٠٥، ١١١، ١٤٦، ١٤٨، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٥،

١٨٨، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٨، ٢١٣، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٧٩، ٣٠٦، ٣١٧، ٣٢١،

٣٢٣، ٣٢٥، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٥، ٣٧٧، ٣٧٨،

٣٨١، ٣٨٢، ٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٦، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٢١، ٤٣٥، ٤٤٢، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٨، ٤٨١، ٤٧٨، ٤٩٢،

٤٩٥، ٥٠٠، ٥٠١، ٥١٠، ٥١١.

(٤) نفسه: ٣٧٠.

بهويتها العربية، والإسلامية).

يُلَحَظُ أَنَّ الرابط الحجاجي (لكنَّ) عَمَلَ على ربط حجتين مختلفتين؛ لما يمتاز به من تعبير عن التعارض، والتنافي بين ما قبله وما بعده^(١)، وقد عَمَدَ الوائلي إلى بعض الصيغ الدلالية لتعظيم، وتضخيم الحُجَّةِ الأولى باستعماله لصيغة الجمع فقال: (الأعراف) وهو أسلوب حجاجي الهدف منه إظهار قوة الحُجَّةِ الثانية، وتمكينها من توجيه الخطاب على حساب الحجة الأولى على الرغم من قوتها^(*)، و أظهر الرابط (لكنَّ) بما يحمله من معنى الاستدراك اختلافاً في قوة كل حجة منهما؛ لأنَّ الحجة التي بعد (لكن) أقوى من التي قبلها في توجيهها للخطاب، مع احتفاظ السياق بالقضية المحورية، وهي حفاظ بغداد على الهوية العربية والإسلامية.

بَل :

حرفٌ عطفٌ يفيدُ الإضراب، ومعنى الإضراب ((جعل الحكم الأول، موجباً كان أو غير موجب كالمسكوت عنه بالنسبة إلى المعطوف عليه))^(٢)، وهو على نوعين يسمى الأول : الإضراب الانتقالي، ويُقصدُ به الانتقال من غرضٍ إلى غرضٍ مع إرادة الحفاظ على دلالة القول الأول^(٣) كقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّْا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوتِرُ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٥]، فالجملة التي بعد (بل) لاتبطل الجملة التي قبلها، بل يُرادُ من ذلك الانتقال من غرضٍ إلى آخر.

(١) ينظر: اللغة والحجاج: ٦٠.

(*) ممَّا تجدر الإشارةُ إليه أَنَّ لهذا الأسلوب نظائر في الشعر العربي، فمنه ما جاء في قصيدة المتنبي التي يقول في أحد أبياتها: [البحر الطويل]

أَتَوَكَّ يَجْرُونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ سَرَوْا بِجِيَادٍ مَا لَهُنَّ قَوَائِمُ

ضَحَّمَ المتنبي من قدرة الأعداء بصيغ دلالية، فقال (أَتَوَكَّ) ولم يقل (جاؤك) فلفظة (أَتَوَكَّ) توحى بأنَّهم توعّدوا بالمجيء، ونفذوا وعدهم، ومن يتوعد بالمجيء في القتال لابد أن يتهيأ بالعدة والعدد، وقال (يجرون) ولم يقل (يسحبون) ليدل على مدى ثقل الحديد والدروع التي أجهدتهم، وقال (جِيَادٌ مَالِهِن قَوَائِمُ) ليدل على أنهم ألبسوها دروعاً تغطي قوائمها حتى بدت الخيل من دون قوائم، وهذا الوصف والترهيب هو تعبير حجاجي الغاية منه أَنَّ الروم مهما تعاضمت قوتهم، فإنَّ سيف الدولة أكثر قوةً، وشجاعةً، ودهاءً في الحرب، والدليل على ذلك هو قوله في بيت آخر من القصيدة نفسها:

نَثَرْتُهُمْ فَوْقَ الْأَحْيَادِ نَثْرَةً كَمَا نَثَرْتُ فَوْقَ الْعُرُوسِ الدَّرَاهِمُ

فهذا البيت غير دلالة البيت السابق، وحولها إلى ركام، لأنَّه أبطل قوة الأعداء بعدتهم وعددهم ، كما أنه مثل الحُجَّةِ التي وجهت الخطاب إلى انتصار سيف الدولة على الروم .

(٢) شرح الرضي على الكافية: تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر ٤١٧/٤ - ٤١٨.

(٣) ينظر: معاني النحو: ٢٢٣/٣.

أما النوع الآخر، فهو الإضراب الإبطلائي: وهو أن تكون الجملة التي بعد (بل) مبطلّة للكلام الذي جاء قبلها^(١)، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَكَثُرُوا لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠]، والذي يرجحه الباحث أنَّ الرابط (بل) هو رابط حجاجي سواء جاء على جهة الانتقال أم الإبطال-وسياقي تفصيل ذلك- وما يهم هنا إذا كان المراد من الرابط الانتقال، فمن خصائص هذا الرابط أنَّ الحجة التي تأتي بعده أقوى من الحجة التي تأتي قبله، وقد وظف الوائلي هذا الرابط بوصفه رابطاً يُدرج حُججاً قوية في سبعة مواضع في شعره^(٢)، ومن ذلك قوله: [البحر الطويل]

هو المجدُّ يا دُنيا (سناء) فَغَرَدِي فَأَنْتِ أَرِيحُ الْخُلْدِ بَلْ أَنْتِ أَطِيبُ^(٣)

هذا البيت من قصيدة قالها بمناسبة استشهاد البطلة اللبنانية (سناء محيدلي) وهي مجاهدة قامت بعملية فدائية في الجنوب اللبناني ضدَّ الجيش الصهيوني.

تضمن عجز البيت حجتين ارتبطا بالرابط الحجاجي (بل) الذي يدرج حُججاً قوية، أي إن ما بعده من حجة أقوى ممَّا قبله، وعلى وفق ذلك يكون ترتيب الحجج كما يأتي :

ح ١- (أَنْتِ أَرِيحُ الْخُلْدِ) الأريح هو العطر الذي تستعذبه النفوس^(٤)، استوحى الوائلي هذا المشهد من كفايته الدينية، والثقافية ليعمل على توظيفه في طيات خطابه، فهذه الصورة مستوحاة من الحديث الشريف ((ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمي، اللون لون الدم، والريح ريح المسك))^(٥) ويُلحظ أنَّ اختيار الألفاظ كان مقصوداً؛ لأنَّه جاء به ليظهر صورة المرأة الجميلة، والريقة التي استعذبت الموت، وتركت حياة الترف الفانية لتعيش الحياة الأبدية الخالدة بشهادتها.

ح ٢- (أَنْتِ أَطِيبُ) تتضمن بعض الصيغ اللغوية قرائن تدل على قوة الحجة بعد الرابط فليس الرابط وحده من يدل على ذلك، ومن هذه القرائن صيغة (أفعل التفضيل) الواردة في الحجة الثانية، إذ عملت هذه الصيغة زيادة على الرابط (بل) على تقوية الحجة الثانية، مع ما للحجة الأولى من القوة، لكن عمل الرابط مع صيغة أفعل التفضيل تضافراً دلالياً لجعلاً من الحجة الثانية حجةً أقوى في توجيه الخطاب، ويُلحظ أنَّ الرابط الحجاجي (بل) حقق انسجاماً بين الحجتين برغم التفاوت في

(٢) معاني النحو: ٢٢٣/٣.

(٣) ينظر: ديوان الوائلي، ١١٢، ٢٥٤، ٣٣١، ٣٦٠، ٣٨٩، ٣٩٨، ٤١٤.

(٤) نفسه: ٣٨٩.

(٤) ينظر كتاب العين: مادة: (أرج): ١٧٤/٦، و الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: مادة (أرج): ٢٩٨/١.

(٥) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: المتنقي الهندي: تح: بكري حياني وصفوة السقا: ٢٩٠/٤.

قوة كلِّ حُجَّة.

ثانياً: الروابط المدرجة للنتائج .

إذن :

((حرف معناه الجواب والجزاء، فلا يصحُّ إلا جملة هي جواب شرط مذكور كقولهم: إن تَأْتِي (إذن آت) ^(١)، والأكثر فيها إذا كانت للجواب أن تقع جواباً لأن، أو لو الشرطيتين ظاهرتين كانتا، أم مضمرتين ^(٢)، وهو في نظرية الحجاج من الروابط التي تربط الحجة بالنتيجة، أو تربط مجموعة حجج بالنتيجة، وقد ورد هذا الرابط في شعر الوائلي في موضعين فقط ^(٣)، أحدهما قوله: [البحر الطويل]

فَإِذَا أَيْهَذَا اللَّيْلِ لَوْ أَنَّ لَيْلَنَا — الَّذِي مَا حَوَى إِلَّا التَّهَجُّدَ وَالذِّكْرَا
إِلَى جَانِبِ الْمِحْرَابِ فِيهِ كَوَاسِرُ وَجِيلٌ مِنَ الْأَنْيَابِ نَعْتَدُهُ ذُخْرَا
إِذْنُ لَتَحَامَتْنَا الْوَحُوشُ وَنَهَشَهَا فَمَا عَاثَ فِينَا طَارِقٌ بَلْ وَلَا مَرَا ^(٤)

اندلعت الحرب الأهلية في لبنان، وبدأت تسري فيه كالنار في الهشيم، ثم وجد اللبنانيون أنفسهم أمام احتلال صهيوني لأراضيهم، فجعلهم هذا الأمر أمام خيارين إما الدفاع عن أرضهم، وأخذ زمام المبادرة، أو الاستسلام لهذا الغزو، فاختار اللبنانيون الخيار الأصعب وهو المقاومة، وجهاد المحتل، وقد تكلم هذا الأمر بطرد الصهاينة طرداً تاماً من لبنان على يد المجاهدين في (حزب الله) وهذا ما أراد الوائلي بيانه في خطابه هذا.

وتضمن الخطاب صيغاً وأساليب نحوية تتمخض عنها صيغٌ دلالية يُراد منها معانٍ حجاجية مقصودة واضحة، ومن جملة تلك الصيغ استعمال صيغة النداء للمعرف ب(ال) في قوله: (أي هذا الليل)، فمن الفوائد الدلالية لنداء المعرفة ب(ال) تقريب المُنادى، أو تخصيصه بشيء، وقد استعمل الوائلي لفظة الليل مرتين الأولى كناية عن (الصهاينة) فأنزلهم منزلة المستخف بخصمه؛ لأنهم ينظرون إلى شعب لبنان على أنه شيء لا يُعبأ به، وليس له القدرة على مواجهتهم، فناداهم بهذا النداء أي جعل المُنَادَى مقترناً ب(ال)، كأنه يقصدهم ويحذرهم، أمّا الثانية فقد نسبها إلى نفسه فقال: (لينا) ليدلّ به على أنَّ ليل المجاهدين لا يقتصر على العبادة، بل اقترنت العبادة بالشجاعة،

(١) شرح التسهيل: ابن مالك (ت ٦٧٢هـ): تنح: د. عبد الرحمن السيد د. محمد بدوي المختون: ١٩/٤.

(٢) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين ابن هشام الأنصاري: تنح: د. مازن المبارك و محمد علي حمد

الله: ٢٥/١.

(٣) ينظر: ديوان الوائلي: ٤١٢، ٢٦٣.

(٤) نفسه: ٢٦٣.

ومن الوجهة الحجاجية فقد جاء الرابط (إذن) ليربط جملة الجواب أو النتيجة، مع الحجج التي سبقته وتبعاً لهذا تكون الحجج الواردة في النص على وفق ما يأتي:

-ح١ (لو أن ليلنا ما حوى إلا التهجدَ والذكر)

-ح٢ (لو لم يكن إلى جانبِ المحراب فيه كواسر)

-ح٣ (لو لم يكن لنا جيلٌ من الانبياء نعتدُهُ ذخراً)

هذه الحجج التي جاءت في صورة أفترضات - تشبه الاستفهام عن شيء ما- ارتبطت بالنتيجة بالرابط (إذن)، الذي من خصائصه أنه يربط الجملة التي قبله بالجملة التي بعده دلاليّاً؛ لأنَّ ((إذن حَرَفُ جَوَابٍ هِيَ رَابِطَةُ الْجُمْلَةِ بِالتِّي قَبْلَهَا))^(١)، وهذا يعطي للرابط الحجاجي بعداً دلاليّاً، إذ لا يمكن أن تعرض هذه الحجج من دون إجابةٍ عنها، ولا يمكن أن يوجد جواب دون رابطٍ يربطه بالحجة؛ لكي يستقيم المعنى لذلك قيل عنها: ((إذن حرف جواب وجزء لكلام قبلها ملفوظ أو مقدر))^(٢) لذا جاءت النتيجة في قوله :

- ن (إذن لتحامتنا الوحوشُ ونهشها فما عاثَ فينا طارقٌ بل ولا مرّاً)

وجاءت هذه النتيجة مؤكدة باللام الواقعة في جواب لو، ودخولها جاء لتأكيد ارتباط الحجج بالنتيجة، والعناصر البنائية الموجودة في الخطاب تدل على قوة الارتباط بين أجزائه وتدل على تدرج مقصود بين الحجج، والنتيجة التي تؤول إليها .

الفاء :

من الروابط التي تربط الحجج بالنتائج، وهي على نوعين: الرابطة لفعل الشرط بجوابه وهي تحمل دلالة السبب، فقد خُصت الفاء بربط الجواب بالشرط؛ لما فيها من معنى السببية ولمناسبتها للجزاء معاً^(٣)، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١] والفاء الواقعة في جواب الشرط لا يمكن إغفال السبب فيها، فاتّباع الرسول (ﷺ) سبب يؤدي إلى نتيجة هي حب الله تعالى لهم.

(١) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: الطاهر بن عاشور: ١٩٧/٢٧.

(٢) نفسه: ١١٤/١٨.

(٣) ينظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: ٣٦٨/٢.

أما الثانية فهي التي تدل على السبب كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: ٦٣] فالفاء ربط بين نزول الماء، وما ينتج عنه من اخضرار الأرض.

أخذ هذا الرابط حيزاً كبيراً في شعر الوائلي فقد وظفه في ستة وستين موضعاً في شعره^(١) ومن ذلك قوله: [البحر الخفيف]

عُفْوَانِ الشُّعُوبِ رَاحَ فَصَارَتْ بَعْدَمَا دُجِّنَتْ كَيَاناً هَزِيلًا^(٢)

هذا البيت من قصيدة طويلة عنوانها لغة السياط، تتحدث عن ظلم الحكومات العربية لشعوبها، وهذا الخطاب الحجاجي يتضمن حجة ونتيجة، وقد عمل الرابط عمله الحجاجي في ربطه السبب بالنتيجة، ويمكن تقسيم البيت على النحو الآتي :

ح- (عُفْوَانِ الشُّعُوبِ رَاحَ بَعْدَمَا دُجِّنَتْ) تدل كلمة (دُجِّنَتْ) في البيت على معنى اعتاد الشيء، وأَلْفَهُ ((والداجنُ: المعتاد. والدُّجُونُ: الألفان))^(٣)، والقصد الكامن خلف هذه الحجة هو أَنَّ الشعوب اعتادت على ظلم الطغاة، فاصبح الظلم جزءاً من حياتهم فاعتادوا عليه بل لم يبذلوا أيَّ جهدٍ في محاربته ودفعه عن أنفسهم .

هنا يأتي دور الرابط الحجاجي (الفاء) الذي يربط الحجة بالنتيجة ربطاً تحليلياً قائماً على علاقة السبب بالنتيجة.

ن - (فصارت كياناً هزيلة)

نلاحظ أَنَّ الفاء أعطى الخطاب قوة حجاجية أكبر في تحوله من السبب إلى النتيجة وقد عمل الرابط الحجاجي (الفاء) على تقوية الوشائج الدلالية بين الحجة، والنتيجة فضلاً عن ذلك فإنَّ دخوله على الفعل (صار) الذي يدلُّ على التحوُّل أضفى على الخطاب دلالة حجاجية أقوى فبعد أن كانوا

(١) ينظر: ديوان الوائلي : ٤٦، ٤٩، ٥٢، ٥٤، ٥٨، ٥٩، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٧، ٧٠، ٧٤، ٧٥، ٧٨، ٧٩،

٨٠، ٨٤، ٨٦، ٩٠، ٩١، ٩٢، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٩، ١١٠، ١١٣، ١١٤، ١١٦، ١١٧، ١٢١، ١٤٣، ١٦٠، ١٧٤،

١٨٣، ١٨٧، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢١٠، ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٧٠، ٢٥٧، ٢٧٩، ٢٨٨، ٢٩٧،

٣٢٥، ٣٦٣، ٣٦٨، ٣٧٦، ٣٩٨، ٤٢٠، ٤٢٥، ٤٢٧، ٤٣٩، ٤٦٦، ٤٧٢، ٤٨٨.

(٢) ديوان الوائلي: ٢٠٠.

(٣) كتاب العين: مادة: (دجن): ٨٣/٦.

شعوباً أصبحوا كيئناً خالياً من المحتوى، لا يدفع الظلم عن نفسه لأنَّهُ تحول إلى صورة إنسان خالٍ بعد أن أَلَفَ الظلم، واعتاد عليه .

لأنَّ:

من الروابط التي تدل على التعليل، ويربط الحُجة بالنتيجة، وهو من الروابط التي تعمل في الحُجج، والنتائج الظاهرة، ((وَنُعَدُّ لَأَنَّ من ألفاظ التعليل، بل هي من أهمها فقد يبدأ بها خطاب الحجاج، وتستعمل لتبرير فعلٍ، كما تستعمل لتبرير عدمه))^(١)، وهذا الرابط يتكون من جزأين هما: اللام، وهو حرف جر يفيدُ التعليل، وأنَّ، وهي حرف توكيد، وبذلك يكون هذا الرابط دالاً على تأكيد التعليل.

وأعمل الوائليَّ هذا الرابط في سبعة عشر موضعاً في شعره^(٢) ومن ذلك قوله: [البحر البسيط]

وارتاحَ للوضعِ حتى لا أنينَ به واستعذبَ الدُّلَّ فهو السائغُ العذبُ
هَشَّتْ يَدَاهُ إِلَى قَيْدٍ وَرَاقَ لَهُ لَأَنَّه لَامِعٌ فِي شَكْلِهِ ذَهَبٌ^(٣)

هذان البيتان من قصيدة نظمها الوائليَّ عندما أضاف الصهاينة جريمة جديدة إلى سجل جرائمهم، إذ أقدموا على استهداف الأطفال العُزَّل في مدينة (قانا) الواقعة في جنوب لبنان في سنة (١٩٩٦) فنتج عن هذا العدوان مجزرة بشعة، واكتفى الحكام العرب - الذين أصاب آذانهم الوقر - بالشجب، وبيانات الرفض للعدوان، فسجل الوائليَّ هذا الموقف المتخاذل من حكام العرب في هذه القصيدة التي أسماها (قانا وفتح الدم).

والتركيب الحجاجي للخطاب يكشف أنَّه يتضمن ثلاث حُجج، ونتيجة، ومما يلحظ فيه أنَّه خطاب رمزي قائم على التلميح؛ لأنَّه اعتمد الأسلوب الاستعاري المجازي، وعدل عن الاستعمال الحقيقي للخطاب، و يوصف هذا من الوجهة التداولية بأنَّه إخبارٌ بأسلوب الفعل الانجازي غير المباشر، وهو متضمن لحُجج ثلاث هي:

ح ١ - (ارتاحَ للوضع)

ح ٢ - (استعذبَ الدُّلَّ)

ح ٣ - (هَشَّتْ يَدَاهُ إِلَى قَيْدٍ)

(١) آليات الحجاج وأدواته: عبد الهادي بن ظافر الشهري: بحث ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته : ٨٠/١.

(٢) ينظر: ديوان الوائلي: : ٦٣، ٦٩، ٩٢، ١٢٢، ١٢٣، ١٨٥، ٢٠٤، ٢٣٣، ٢٣٥، ٣٣٤، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٤، ٤١٣، ٤٢٠، ٤٨٤.

(٣) ديوان الوائلي: ٤١٣.

هذه الحُجج هي التي تخفي قصد الوائلي في خطابه الذي أرادَ به أن هؤلاء الحكام يخضعون لإرادة خارجية، وهذه الإرادة هي التي تدير شؤونهم، وهي التي جعلتهم يتسمنون هذه المناصب، و ثمن التمتع بهذه السلطة هو السكوت، وتجاهل معاناة الأمة، وهذا ما جعل الوائلي يعبر عن جمال السلطة بأنه قيد ذهبي جميل، فجاءت النتيجة :

ن- (لأنَّه لامعٌ في شكله ذهبٌ) فقد حقق الرابط الحجاجي وظيفتين في الخطاب، الأولى: هي ربط الحُجج بالنتيجة، والثانية: تأكيد هذه النتيجة بأنَّ، وبهذا الرابط يمكن قلب تسلسل الخطاب فتكون الحُجج المتقدمة هي النتائج، وتكون النتيجة هي الحجة، أو السبب في تلك النتائج، فالارتياح للوضع، واستعذاب الذل، ونعومة اليد، التي عبر عنها بقوله: (هشت) -لأنَّ الهش يشير إلى ((كلَّ شيءٍ فيه رَخاوةٌ، هَشَّ يَهَشُّ هَشَاشَةً فهو هَش... الهشُّ: جَذْبُكَ غُصْنَ الشَّجَرَةِ إِلَيْكَ،^(١) - هي معاني مقصودة يراد بها الرغبة والأخذ، و هي نتائج لسبب واحد هو حب السلطة، والاستئثار بها وهذا تحقق بفضل الرابط (لأنَّ) .

إذ :

من الروابط التي تربط الحُجة بالنتيجة، وهو ظرف زمان يدلُّ على الماضي^(٢)، وقد يدل على التعليل، قال المرادي: ((تكون للتعليل، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي الْعَذَابِ﴾ [الزخرف: ٣٩] قال تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَمَسَّ قُلُوبَهُمْ﴾ [الأحقاف: ١١])^(٣) وقد ورد هذا الرابط في شعر الوائلي دالاً على التعليل في خمسة وثلاثين موضعاً^(٤)، ومن ذلك قوله قوله: [البحر الخفيف]

ياوليداً كانت له الكعبَةُ الغـراء مهدياً وبيتها المعمورُ
حصنَتْ بالوليدِ سيفاً فكانت جفنةً وهو سيفها المشهورُ

(١) كتاب العين: ٣/٣٤٣-٣٤٤.

(٢) ينظر: معاني النحو: ١٧٧/٢.

(٣) الجنى الداني في حروف المعاني: ١٨٨-١٨٩.

(٤) ينظر: ديوان الوائلي: ٥٦، ٦٣، ٦٧، ٧٤، ١٠٣، ١٠٤، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٩، ١٨٣، ١٨٧، ١٩٠، ١٩٥، ٢١٢،

٢١٩، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٨٤، ٣٠٢، ٣٢٢، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٤٣، ٣٥٢، ٣٨٤، ٣٨٧، ٣٩٢، ٤١٠، ٤٣٨، ٤٤٧،

٥١٨، ٤٨٥، ٤٩٠، ٥١٨.

(٥) نفسه: ٧٤.

غَيْرَ أَنَّ الْأَصْنَامَ إِذْ كَسَّرَتْهَا يَدُهُ زَمَّ حَقْدَهَا الْمَوْتُورُ^(١)

هذه الأبيات من قصيدة طويلة نظمها الوائلي في ذكرى ولادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فهو وليد الكعبة المشرفة^(٢)، وهي منقبة لا يدانيه فيها أحد، وهو من كَسَّرَ الأصنام ولعلَّ تكسير الأصنام في هذا البيت رمز، وقد يكون كنايةً عن قتله لرؤوس الكفر من قريش وسائر العرب، وهذا التوجيه هو الأقرب - فيما أرى - لوجود قرينة تدل عليه وهي قوله: (زَمَّ حَقْدَهَا الموتورُ) إذ تدل لفظة (زَمَّ) على التقدم قال الأزهري: ((الزَّمُّ: التَّقَدُّمُ وَقَدْ زَمَّ يَزِمُّ: إِذَا تَقَدَّمَ))^(٣)، أمَّا لفظة الموتور فتدل على من قُتِلَ له ابن، أو أخ أو قريب فيريد أن يُدرك ثأره ممن وتره^(٤)، وهذا يدل على أَنَّ الأحقاد هي التي تقود هؤلاء المبغضين طلباً للثأر من أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ لأنَّه قتل أرحامهم، لا لحقدٍ منه عليهم، ولكن نصرة لدين الله وإعلاء لكلمته وطاعة لرسوله (ﷺ).

ويتضح من الأبيات أَنَّ الرابط الحجاجي (إذ) ربط الحجة بالنتيجة، وهو ربطٌ تعليلي. وقبل بيان دور الرابط في الخطاب الحجاجي لابدَّ من التنويه بالغاية الثانية^(٥) من الخطاب التي تختفي بين طياته، وهي القصد الكامن في الخطاب الذي يشبه توجيه التوبيخ واللوم إلى الأمة، فشخص مثل أمير المؤمنين (عليه السلام) مثَّلَ مَعِينَ العطاء المستمر للإسلام، وكان على الأمة أن تقدر هذا الشخص حق قدره، لكنَّ ما حدث غير ذلك، فقد واجه أمير المؤمنين حقداً، وبغضاً تُرجمَ على أرض الواقع بحروبٍ دامية، ومصادرةٍ لحقوقه وهذا هو المغزى من الخطاب، أمَّا الرابط (إذ) فقد عمل على ربط هذه الحجج التي مثلت مناقب لأمر المؤمنين (عليه السلام) بالنتيجة، وقد جاء ترتيب الحجج في البيت على النحو الآتي:

ح ١ - (وليد الكعبة)

ح ٢ - (سيف الكعبة والإسلام)

ح ٣ - (مُكسِّر الأصنام)

يتضح أَنَّ وظيفة الرابط لم تقتصر على الربط فقط، بل إنَّه وجه الخطاب إلى ما آلت إليه

(٦) ينظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر: أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي: تح: محمد محي الدين عبد الحميد: ٣٥٨/٢.

(١) تهذيب اللغة: مادة: (زَمَّ): ١٢١/١٣.

(٢) ينظر: لسان العرب: مادة: (وتر): ٢٧٤/٥.

(٣) ينظر: دراسات في الحجاج قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم: د. سامية الدريدي: ٦٠.

الأمر فكل هذه المناقب، وغيرها لم تكن سبباً أو مانعاً، يمنع الحاقدين من حرب أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ لأنها أحقادٌ تحركها الجاهلية العمياء، فكانت النتيجة .
ن: (انبعاث الحقد على أمير المؤمنين) .

لامُ التعليل :

هي حرف غير مختص، فهي تدخل على الأسماء، والأفعال على حدٍ سواء، وأكثر ما يُرادُ بها التعليل، وهي من الروابط التي تربط الحجة بالنتيجة ربطاً قائماً على التعليل، قال السهيلي (ت ٥٨١هـ): ((أن لام كي هي لام العلة، فلا يقع قبلها إلا فعل يكون علة لما بعدها))^(١) ومن مصاديق ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤] ولكونها رابطاً حاجبياً فإنها تعمل على ربط الكلام السابق بالكلام اللاحق ربطاً تعليلياً قائماً على الاتصال، وليس الاستئناف^(٢)، وقد شكلت لام التعليل ظاهرة مميزة في شعر الوائلي فقد وردت في تسعة وثلاثين موضعاً^(٣) ومنها قوله: [البحر الخفيف]

أَيُّهَا الْمُشْرِعُونَ كُلَّ سِلَاحٍ لِيُرَوْحُوا بِبَعْضِهِمْ تَقْتِيلًا^(٤)

هذا البيت من قصيدة طويلة، انتقد فيها الوائلي الحكومات العربية، واستنمارها لقوتها وامكاناتها في قمع شعوبها، وإخضاعها.
تضمن هذا الخطاب حجة ونتيجة .

أما ح ١ فقولُه: (مشرعون كل سلاح) وقد جاء هذا التركيب بصيغة اسم الفاعل للدلالة على الحدث والاستمرار، وقد عملت (اللام) هنا على ربط أجزاء الخطاب ليكون وحدة دلالية واحدة متكونة من جزأين هما: الحجة، والنتيجة، ويضفي هذا الرابط قوة إقناعية أكبر على الخطاب بربطه بين الحجة (السبب)، وما ينتج عنه من نتائج .
أما النتيجة فهي قوله: (يروحوا ببعضهم تقتيلاً).

(١) نتائج الفكر في النحو: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي: تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض: ١٠٦.

(٢) ينظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: ٥٩/٧.

(٣) ينظر: ديوان الوائلي: ٤٨، ٥٠، ٥٢، ٥٥، ٥٨، ٦٩، ٧٠، ٧٥، ٧٩، ٨٠، ٩٧، ١٠٤، ١٠٥، ١١٠، ١٤٨، ١٤٩، ١٦٨، ١٧٧، ١٧٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٢٥، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٦٠، ٢٦٩، ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٨٤، ٢٩٤، ٣٠٠، ٣٣٦، ٣٤٣، ٣٥١، ٣٨٦، ٤١١، ٤٩٨.

(٤) نفسه: ٢٠١.

(٥) ينظر: اللع في العربية: أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) تح: د.سميح أبو مغلي: ٦٠.

وقد استعمل الوائلي في هذا الخطاب فضلاً عن الرابط (اللام) صيغاً لغوية ذات دلالة حجاجية؛ ليعطي للحجاج دفعة أكبر نحو تحقيق غايته في الإقناع، وهذه الصيغ هي: الباء التي تفيد معنى الإلصاق^(١)، أما الصيغة الأخرى فهي قوله (نقتيلاً)، والتي تدل على المبالغة في القتل، وبهذا يكون معنى الحجة الثانية أن القتل أصبح لصيقاً بهم، وعادةً لهم وليس مغزى الخطاب الإخبار فحسب، بل توجيه المتلقي إلى الفعل الصائب، فهذه الأسلحة كان الأجدر بها أن تتوجه إلى صدور الأعداء لا إلى أبناء الشعب الواحد.

إذا :

رابط حجاجي يربط بين الحجة والنتيجة، ودلالته تفيد المقطوع بحصوله الكثير الوقوع^(٢)، والمتيقن من حدوثه، قال العلوي (ت ٧٤٥ هـ) : ((وأما (إذا) فإنما تستعمل في الأمور المحققة كقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١]))^(٣)، أي إن زلزلة الأرض آتية، وواقعة ومنه قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ [البقرة: ١٨٠] أي أن حدوث الموت واقعٌ لامحالة، وقد ذكر العلوي أمثلةً من القرآن في مجيء (إذا)، وعلق بعدها قائلاً: ((هذه الأمور كلها محققة فلهذا حسن دخول إذا فيها))^(٤) وتكون (إذا) رابطاً حجاجياً إذا كان مابعداً متعلقاً بما قبلها، وكان ما قبلها سبباً لحدوث ما بعدها، وقد شكل هذا الرابط ظاهرة في شعر الوائلي فقد ورد في اثنين وستين موضعاً^(٥)، من ذلك قوله: [البحر الطويل]

أُعِلَّ بِخَمْرِ الذِّكْرِيَّاتِ جَوَانِحِي إِذَا الْوَاقِعُ الْأَسْوَانُ أَلْوَى وَأَلْغَبَا^(٦)

هذا البيت من قصيدة طويلة عادَ الوائلي فيها إلى أيام صباه، وشبابه فذكر ملعب صباه وأترابه

(٢) ينظر: معاني النحو: ٦١/٤.

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلوي: تح د. عبد الحميد هندراوي: ١٥٣/٣.

(٣) نفسه: ١٥٣/٣.

(٤) ينظر: ديوان الوائلي: ٥٨، ٥٩، ٦٢، ٨٢، ٨٦، ٩١، ٩٨، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٩، ١٢٥،

١٢٩، ١٥٤، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٣، ١٨٧، ١٩٤، ٢٠٣، ٢١٣، ٢١٩، ٢٩٩، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦٦،

٢٧٣، ٢٧٥، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٨، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣١٢، ٣١٧، ٣٢١، ٣٢٩، ٣٣٧، ٣٤٠، ٣٥٣، ٣٦٥، ٣٨١،

٣٩٠، ٤٠٨، ٤١٩، ٤٦٤، ٤٧٦، ٤٨٦، ٤٤٩، ٥٠٧، ٥١١، ٥٢٤.

(٥) نفسه: ٣١٧.

الذين كانوا يشاركونه، والقرينة التي تدل على هذا قوله قبل هذا البيت:

جلالي وأترابي وأهلي ومعشري وفاء وإشراقاً ووجهاً مؤشّبا

تضمن هذا البيت حجة، ونتيجة، وقد ربط (إذا) بين أجزاء الخطاب الظاهرة في صورة حجة ونتيجة أما الحجة فهي قوله:

ح- (الواقع الأسوان أُلوى وألغبا) فالواقع الذي يعيشه بعيداً عن وطنه واقعٌ ملؤه الحزنُ الشديد و الأسوان هنا تعني الحزن قال ابن منظور: ((وَرَجُلٌ أَسْوَانٌ: حَزِينٌ))^(١)، وقد قضى الوائلي شطراً كبيراً من حياته، وهو بعيدٌ عن الأهل، والوطن، وقال (أُلوى وألغبا) ليدل على أنّ حزنه متكرر متجدد كلّ يوم، وقد دلّ الرابط الحجاجي في الخطاب على أنّ حالة الحزن واقعة، بل مستمرة، فكانت وظيفته اللغوية بحسب ما وصفها صاحب الطراز، فكل الأمور التي وصفها الوائلي هي حقيقة وحادثة لذا أفاد الوائلي من هذا الرابط؛ لأنّه حقق انسجاماً وتطابقاً بين الخبر والواقع .
أما النتيجة ن- (أعلُّ بخمر الذكريات جوانحي)، فقد قدمها لغاية حجاجية، وهي أنّه دائم الذكرى لأهله وأحبته؛ لأنّ هذه الذكرى هي التي تمدّه بأسباب الحياة .

ثالثاً: روابط التعارض أو التّعاقد الحجاجي :

توصف الحُجج بأنّها متعاندة إذا كانت تعزز نتيجتين متعارضتين فما اصطلح عليه (ح ١) تخدم نتيجة مغايرة لنتيجة (ح ٢) فلكل من هذه الحجج نتيجة مستقلة عن الأخرى^(٢) فمثلاً إذا قال أحدٌ لصديقه: (هذا الكتاب مفيد لكن ثمنه مرتفع) فهذا الخطاب عبارة عن حجج متعاندة؛ لأنّ (ح ١)، وهي (هذا الكتاب مفيد) تخدم نتيجة مضمرة هي (اشترِ هذا الكتاب)، أما (ح ٢)، وهي (ثمنه مرتفع) فهي تخدم نتيجة تعارض النتيجة الأولى (لا-ن) (لا تشتري هذا الكتاب)، فالنتائج هنا متعارضة، ومن الروابط التي تدرج حججاً متعاندة (لكن، وبل).

أمّا الرابط (لكنّ) الذي يدل على التعارض الحجاجي، فكان حضوره واضحاً في شعر الوائلي فقد ورد في سبعة وأربعين موضعاً^(٣) منها قوله: [البسيط]

وَمَنْ لَقُوا إِذْ مَلَكْنَا كُلَّ رَحْمَتِنَا لَكُنْهُمْ حِينَ نَالُوا الْحُكْمَ مَا رَحِمُوا^(٤)

هذا البيت من قصيدة طويلة نظمها بعد زيارته لأضرحة شهداء مرج عذراء، حيث قُتل جرجر ابن

(١) لسان العرب: مادة: (أسا): ٣٥/١٤.

(٢) ينظر: الحجاجيات اللسانية عند انسكومبر وديكرو: رشيد الراضي: عالم الفكر: ع: ١: م: ٣٤: لسنة: ٢٠٠٥ : ٢٢٨.

(٣) ينظر ديوان الوائلي: ٥١، ٥٦، ٦٥، ٦٦، ٨٧، ٩٦، ٩٩، ١٠٥، ١٠٨، ١١١، ١١٢، ١١٥، ١٢٩، ١٧٧، ٢٠١،

٢٠٥، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٤١، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٩٤، ٢٩٧، ٣٠٧، ٣٢٣،

٣٥٤، ٣٦١، ٣٧٠، ٣٩٥، ٤٤٣، ٤٥١، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٧٢، ٤٨٢، ٤٨٨، ٤٩٣، ٤٩٥، ٤٩٦، ٥١٠.

(٤) نفسه: ١٧٧.

عدي الكندي^(١) وأصحابه صبراً، لا لذنوب يُوجب عليهم القتل، بل لأنهم ممن شايح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

و قد تضمن الخطاب حجتين و نتيجتين: (ح ١) هي قوله: (لقوا إذ ملكنا كلّ رحمتمنا) وهذه الحجة تعزز نتيجة مضمرة (أنّا أصحاب رسالة أصلها الخلق الكريم، ولا يزيدنا الملك إلا رحمة)، وهذا مصداق لما قام به رسول الله (ﷺ) عندما دخل إلى مكة، ووقف بين يديه رموز الكفر آنذاك، فعفا عنهم وصفح .

أما (ح ٢) فهي قوله (حين نالوا الحكم ما رحموا) فهي تعزز نتيجة مفادها (أن الظالم الذي اعتاد الطغيان لم يزدده الملك إلا طغياناً، وظلماً) وهذا هو المنهج الذي قامت عليه أركان دولة بني أمية.

ويُلاحظ أنّ الرابط (لكن) أضفى دلالة التضاد، والتعارض بين الحجتين، وهذه من خواص الاستدراك الذي يضيف إلى الخطاب دلالة تشبه دلالة نفي ما قبلها من قول؛ لذلك لا يعمل هذا الرابط إلا إذا تقدمه كلام يستدرك به عليه، والاستدراك الذي اختص به هذا الرابط أعطى الحجة الثانية الدور الرئيس في توجيه الخطاب نحو النتيجة المضمرة .

(بل)

من روابط التعارض الحجاجي، وعند إرادة التعارض الحجاجي فإنّها تكون للإبطال وليس للانتقال من غرض إلى غرض، مع الاحتفاظ بقضية محورية تكون هي مدار الخطاب، وفي أغلب الخطابات التي تتضمن هذا الرابط - أي الدال على الإبطال - نجده مسبقاً بالنفي ليدل على التعارض بين الحجتين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤] وقد ورد هذا الرابط في شعر الوائلي في أحد عشر موضعاً^(٢)، ومنه قوله: [البحر المتقارب]

فَمَا صَنَعَ الْأَدْعِيَاءُ الْحَيَا بَلِ الْفَأْسُ وَالسَّيْفُ وَالْمِنْجَلُ^(٣)

وجه الوائلي خطابه هذا إلى أصحاب الشعارات الجوفاء، الذين يُجهدون أنفسهم في خداع شعوبهم، فينسبون إلى أنفسهم ما هم أبعد الناس عنه، فيكونون بذلك أدعياء؛ لأنّ ذلك من معاني الادّعاء، ويبدو أنّ دلالة الأدعياء بحسب السياق الذي وردت به تُشير إلى الخداع والكذب، فهم يدّعون صنع الحياة وهم ليسوا كذلك.

(١) ينظر: الكامل في التاريخ: عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ): تحقيق عمر عبد السلام تدمري: ٦٩/٣.

(٢) ينظر: ديوان الوائلي: ١١١، ١١٢، ١٤٦، ٢٠٤، ٢٤٣، ٢٧٥، ٢٧٩، ٣٩٢، ٤٠٧، ٤٣٣.

(٣) نفسه: ٢٧٥.

أما (بل) الوارد في هذا الشاهد فقد أفاد معنى الإبطال، وأضفى دلالة التضاد بين ما قبله وما بعده من حُجج، مع بقاء محور الخطاب الحجاجي، وهو (صناعة الحياة)، وقد تضمن هذا الخطاب حجتين:

- ح ١: (ما صنع الادعاء الحياة)، فالادعاء يكذبون، وما كذبهم هذا إلا شعارات يرددونها ليخدعوا شعوبهم بها، وهذه الحجة تؤدي إلى نتيجة مفادها (الشعارات الكاذبة والبراقة لاتصنع حياة الشعوب)، وهذا النوع من الحجج يسمى الحجج الواقعية، أو الحجج المؤسسة على بنية الواقع، وهذه الحجج لا يبتكرها المتكلم؛ لأنَّ تمثلاته موجودة في الواقع وما عليه إلا الإشارة إليها، فالمتكلم لا يبتدع شيئاً من عنده، بل يكتفي برصد الوقائع، والربط بين الأشياء^(١).

- ح ٢: (الفأس والسيف والمنجل)، عمَدَ الوائلي إلى ترميز هذه الحجة لتعطي إحياءً دلاليًا أقوى؛ لأنَّ الرموز لها قوة تأثيرية كبيرة، لاسيما عند من يربطون الرمز بالرموز إليه كدلالة الصليب عند المسيح، ودلالة العلم على دولة ما، وتسمى مثل هذه الحجج حُججاً رمزية^(٢) جاء بها لتدعيم النتيجة التي يريدها، وهي: أنَّ العمل هو من يصنع الحياة، أي الأفعال لا الأقوال والادعاءات، إنَّ صيغة النفي التي دخلت على نتيجة الحجة الأولى تجعل من النتيجتين متضادتين، وهذا يكسب الحجة الأولى قوة، لكن تبقى الحجة الثانية هي الأقوى لأنَّها وجهت الخطاب نحو النتيجة التي أَرادها المتكلم، وهذا من خصائص الرابط (بل) .

رابعاً: الحجج المتساندة أو المتساوقة :

هي الحجج التي تُساق لتحقيق نتيجة واحدة ((نقولُ عن حجتين إنهما متساندتان ،إذا سيقتا لتعزيز النتيجة نفسها))^(٣) أي إن الحجتين ما قبل الرابط، وما بعده تؤديان إلى النتيجة نفسها، مثلاً إذا قال أحدهم: (قراءة القرآن ثوابها عظيم حتى إنَّها تُشعرك بالارتياح) ففي هذا الخطاب نتيجة مضمرة تتضمنها الحجتان ما قبل الرابط، وما بعده، وهي (واضِب على قراءة القرآن).

ومن الروابط التي تدرج الحجج المتساندة (حتى، ولاسيما، والواو، وبل) .

(حتى): جاء هذا الرابط في شعر الوائلي في واحدٍ وخمسين موضعاً^(٤) ، دالاً على حجج متساندة

(١) ينظر: الحجاج في كلام الامام الحسين (عليه السلام): ٢٤ .

(٢) ينظر: الاتجاه التداولي و الوظيفي في الدرس اللغوي: د.نادية النجار : ١١١ .

(٣) الحجاجيات اللسانية عند انسكومبر وديكرو: (بحث): ٢٢٨.

(٤) ينظر: ديوان الوائلي: ٦٩، ٧١، ٧٢، ٨٧، ٨٨، ١٠٥، ١٠٦، ١١٠، ١١٢، ١٢٤، ١٣٠، ١٤٣، ١٤٤،

١٦١، ١٧٧، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ٢١٢، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٣٤، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧٩،

٣٠٠، ٣١٦، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٤، ٣٣٧، ٣٥٨، ٣٦١، ٣٧٣، ٣٨٧، ٣٩٣، ٣٩٥، ٤٠٣، ٤١٢، ٤٢٤، ٤٢٩،

٤٤٢، ٤٩٠، ٥٠١.

أَيَّ إِنَّ كِلْتَا الْحُجَّتَيْنِ تَوْدِيَانِ إِلَى النَتِيجَةِ نَفْسَهَا، مِنْ أَمَثَلَةِ هَذَا الرَّابِطِ قَوْلُهُ: [البحر الخفيف]

فَرَوَتْ فَضْلَكَ الْخُصُومُ عَلَى كُرْهِ وَأَثْنَى عَلَيْكَ حَتَّى الْعَنِيدُ^(١)

هذا البيت من قصيدة تأبين (للشيخ المفيد)، وقد تضمنت حجتين .

ح ١- (روت فضلك الخصوم على كره) .

يأتي دور الرابط الحجاجي في هذا الخطاب ليتم الآلية الإقناعية في الخطاب، فمثل هذا الاستعمال يجعل المتلقي بمجرد سماعه للحجة الأولى، والرابط (حتى) يظن أنه سيعلم شيئاً مغايراً للحجة الأولى؛ وذلك لما تمتاز به حتى من دلالات عِدَّة، لكنه يجد أن ما يأتي بعد الرابط هو حُجة معززة أو مؤكدة للحجة الأولى، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرْتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١] ففي كلتا الحالتين هم من الخاسرين في الدنيا وفي الآخرة، فالحُجة الأولى في الآية الكريمة تجعلهم خاسرين، والحجة التي بعد الرابط (حتى) تظهر هذه الخسارة، وتحسرهم خير دليل على خسارتهم مع بيان أن الحجة التي تأتي بعد الرابط أكثر أهمية في توجيه الخطاب، وفي ذلك يقول الطاهر بن عاشور في تفسيره لهذه الآية: ((وحتى الابتدائية تدلُّ على أَنَّ مضمون الكلام الذي بعدها أَهمُّ بالاعتناء للإلقاء عند الْمُتَكَلِّمِ لِأَنَّهُ أَجْدَى فِي الغرض المُسَوِّقَ لَهُ الكلام))^(٢) فهما حُجتان تدلان على خسارة المكذبين.

ح ٢- (أثنى عليك حتى العنيد) الحجتان تتوجهان نحو نتيجة واحدة مضمرة هي (أنَّ فضائلك جعلتك موضع احترام وتقدير حتى من معانديك وخصومك) مع قوة الحجة الثانية في توجيه الخطاب، إذ إنَّ من صفات المعاند أن يخالف خصمه في كل شيء، لكنَّ الثناء من المعاند يدل على التأثير الذي تركه الشيخ المفيد، والصورة المشرقة لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام) عند المخالفين .

(الواو):

حرف عطف، وهو لمطلق الجمع^(٣)، والواو له وظيفة تداولية حجاجية في الخطاب إضافة

(٥) ديوان الوائلي: ٤٤٠.

(٢) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: ١١٦/٨.

(٢) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٨٧١.

(*) مما تجدر الإشارة إليه أنَّ هذه قضية خلافية بين النحويين، فمذهب البصريين أنها لمطلق الجمع، ومذهب الكوفيين أنها للترتيب: ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: بهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت ٧٦٩هـ): تح: محمد محيي الدين عبد الحميد: ٣٩٢/٢.

إلى وظيفته الرابطة العاطفة^(١)، وهو من الروابط التي تدرج حججاً متساندة، ولم يذكرها أبو بكر العزاوي تفصيلاً إنما ذكرها إجمالاً^(٢).

ورد هذا الرابط في واحد وستين موضعاً في شعر الوائلي^(٣)، من أمثلة هذا الرابط في شعره قوله:
[البحر الطويل]

فَمَا مَاتَ عِيسَى وَهُوَ يَفْتَرِشُ الثَّرَى وَلَا عَاشَ قَارُونُ وَأَبْوَابُهُ تَبْرُ^(٤)

هذا البيت من قصيدة في رثاء أحد الخطباء، وقد تضمن البيت حجتين جمع بينهما الرابط الحجاجي (الواو)، والحجتان متساندتان؛ لأنهما تتجهان نحو نتيجة واحدة مضرة :
ح ١: (فَمَا مَاتَ عِيسَى وَهُوَ يَفْتَرِشُ الثَّرَى)، أي أنك سرت في طريق الله عز و جل، وعملك كان خالصاً لله فرفعه، وجعلك في الدنيا من الخالدين، وفي الآخرة من المكرمين؛ لأن عيسى (عليه السلام) عاش بزهد وعلم، فظلَّ خالداً في نفوس الخلق كما ستظلُّ أنت.

ح ٢: (وَلَا عَاشَ قَارُونُ وَأَبْوَابُهُ تَبْرُ) هذه الحجة معززة ومؤكدة للحجة الثانية، مع ماتحمله من دلالة التضاد معها، فمن أفنى حياته في حب المال وجمعه لا بدَّ أن يفارقه ويتركه لغيره شأنه شأن قارون الذي خصه الله تبارك وتعالى بكثرة كنوزه، لكنَّه صار مثلاً سيئاً للجنس بخلاف من يفني حياته في طاعة الله وخدمة عباده، ومما يلحظ في هذا الرابط أن ما يتميز به من خاصية مطلق الجمع تجعله يُحقق الانسجام بين حجتين متضادتين في الدلالة لكنهما متفقتان بالنتيجة التي يسعى إليها الخطاب الحجاجي، فالموت لا يستوي مع الحياة وشتان ما بينهما، مع ذلك استطاع هذا الرابط أن يجمع ما بين الحجتين في النتيجة المتحصلة منهما، فالحجتان تخدمان نتيجة واحدة مضرة: (أنَّ الذكرى الطيبة في الدنيا والخلود في الآخرة للسائرين في طريق الله)، والحجاج ضمن هذا النمط يسمى الحجاج بالقدوة والقُدوة المضادة^(٥)، إذ سخر الوائلي مثالين أولهما قدوة حسنة، والثاني قدوة سيئة ليصل بالمتلقي إلى هذه النتيجة .

(٣) ينظر: الحجاج في الخطاب القانوني: ٣٨١.

(٤) ينظر: اللغة والحجاج : ٢٩.

(٥) ينظر: ديوان الوائلي: ٤٦، ٤٧، ٥٦، ٦٠، ٦٣، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٨، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ١٠٤، ١٠٦، ١١٠، ١١٧، ١١٩، ١٢٠، ١٢٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٧، ١٧٢، ١٨٤، ١٨٨، ٢٠٦، ٢٢٠، ٢٢٧، ٢٣٨، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٦٣، ٢٨٤، ٢٩٩، ٣٧١، ٣٤٢، ٣٥٤، ٣٦٤، ٣٧٤، ٣٨٢، ٤٠٩، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٤، ٤٣٨، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٥، ٤٧٧، ٤٨١، ٥١٤.

(١) نفسه: ٥١٤.

(٥) ينظر: نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان: د. الحسين بنو هاشم: ٨٦.

بل:

من الروابط التي تدرجُ حججاً متساندة، وهذه الخاصية تعود للسياق الذي ترد فيه (بل) فقد ترد في سياق مسبوق بنفي لكنها تدل على التعاند الحجاجي، وقد تدل على التساوق الحجاجي فهذا الأمر متعلق بالسياق الذي يرد فيه هذا الرابط؛ لأنه يحدد دلالة الرابط ، وقد وردت في شعر الواصل في تسعة مواضع^(١) منها قوله: [البحر الكامل]

صَعَدْتُ مَعِي طَيَّارَةً فِي رَحْلَةٍ كَتَفَايَ كُرْسِيٍّ لَهَا وَسَرِيرُ
لَمْ تَلَقَ أَيَّ مَوَانِعٍ فِي دَرَبِهَا بَلْ حَيْثُ تَشْتَاقُ الْمَسِيرَ تَسِيرُ^(٢)

قد يستوحي الشاعر مما يصادفه من حوادث، وما يثير انتباهه من مواقف وصور مادةً لقصائده، وقد استوحى الواصل هذه القصيدة التي تعبر عن حرية الإنسان الضائعة مادةً لقصيدته، و لمس في ذلك الموقف أنَّ الحيوان يتمتع بحرية أكثر من الإنسان، وقصيدته هذه يخاطب فيها ذبابة صعدت معه إلى الطائرة بكل حرية دون حواجز، أو موانع تمنعها من ذلك، والخطاب يتضمن حجتين هما:

ح ١: (صَعَدْتُ مَعِي طَيَّارَةً فِي رَحْلَةٍ كَتَفَايَ كُرْسِيٍّ لَهَا وَسَرِيرُ).

ح ٢: (لَمْ تَلَقَ أَيَّ مَوَانِعٍ فِي دَرَبِهَا بَلْ حَيْثُ تَشْتَاقُ الْمَسِيرَ تَسِيرُ).

الحجتان تعززان نتيجة واحدة هي (أن هذه الذبابة تتمتع بحرية كاملة أكثر من الإنسان) مع أنَّ الحجتين تخدمان نتيجة واحدة إلا أنَّ الرابط (بل) أعطى أفضلية للحجة الثانية التي عززت، وأكدت الحجة الأولى، ووجهت الخطاب نحو قصدٍ محدد في الخطاب هو: أنَّ الحرية التي حُرِمَ منها الإنسان الذي يدعي القوة، تمتع بها كائن ضعيف .
أم:

من الروابط التي لم يشر إليها الباحثون في الدراسات الحجاجية، وهي حرف عطف قسمه النحاة على قسمين: منقطعة، ومتصلة.

أمَّا المنقطعة فقال عنها أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) في باب أم المنقطعة: ((إِنَّ أَمْ إِنَّمَا تَجِيءُ لِلتَّحَوُّلِ مِنْ خَيْرٍ إِلَى خَيْرٍ))^(٣)، أي إِنَّ الإضراب معها يكون على سبيل الانتقال من غرض إلى غرض، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^(٤) أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنَ الْأَرْضِ هُمْ

(١) ينظر: ديوان الواصل: ١٢٩، ٢٨٦، ٢٩٥، ٣٦٠، ٣٩٢، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٩٠، ٤٩١.

(٢) نفسه: ٣٩٢.

(٣) التعليقة على كتاب سيبويه: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو علي الفارسي: تح: د. عوض بن حمد القوزي: ٢٨١/٢.

يُنْشَرُونَ ﴿[الأنبياء: ١٩-٢٠] قال الطاهر بن عاشور في تفسيره لهذه الآية: ((أَمْ هَذِهِ مُنْقَطِعَةٌ عَاطِفَةٌ الْجُمْلَةِ عَلَى الْجُمْلَةِ عَطْفَ إِضْرَابٍ انْتِقَالِيٍّ))^(١) فالانتقال من موضوع إلى آخر مع وجود العطف، وقدم المرادي وصفاً لأم المنقطعة وهي عنده ((التي لا يكون قبلها إحدى الهمزتين))^(٢) أي لا تكون مسبقة بهمزة استفهام، ولا همزة تسوية، وهذا ما وُجِدَ في الآية الكريمة .

أما الضرب الثاني فهو أم المتصلة، وهي - فيما أرى - تشكل رابطاً حاججاً يدرج حُجْجاً متسلسلة تخدم نتيجة واحدة؛ لأنها تعطف حجة على حجة يراد منهما النتيجة نفسها، وما يميزها من المنقطعة أنها تكون مسبقة بهمزة استفهام، أو همزة تسوية، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦] فنتيجة الإنذار واحدة هي كفر المُنْذَرِينَ فالحجتان تؤكدان وترسخان النتيجة، من هنا تبرز الخاصية الحاججية للرابط (أم) فتأكيد وتنشيط النتيجة هي ما يُوصَلُ إلى إقناع المتلقي.

وقد كان هذا الرابط حاضراً في شعر الوائلي فقد ورد في تسعة عشر موضعاً^(٣) في شعره من ذلك قوله: [البحر الخفيف]

أُبْمَرَوَانْ أَمْ بُبْسِرْ بِنْ أَرْطَاة تَسَامِي لِلَّذِينَ صَرَحْ مَنِعْ^(٤)

هذا البيت من قصيدة عنوانها (رسالة إلى الأمة) بين فيها كثيراً من الحقائق التي شهد عليها التاريخ الإسلامي، وخطابه موجه إلى من أحاطوا بعض الشخصيات بهالة من التقديس، مع ما لهذه الشخصيات من أفعال بشعة سجلها التاريخ، وقد تضمن هذا الخطاب حجتين.

ح ١- (أ بمروان) المقصود في الحجة (مروان بن الحكم) و ما قام به من أعمال استوجب عليها اللعن من الله، ورسوله (ﷺ)^(*)، فقد يُحِيلُ ذكر بعض الأسماء على أعمال ارتبطت بها ما يجعل من ذكرها حُجَّةً قائمة بذاتها.

(١) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: ٣٧/١٧.

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني: ٢٠٥.

(٣) ينظر: ديوان الوائلي: ٥٥، ٩٤، ١١٢، ١٦٨، ١٩٦، ١٩٨، ٢٥٤، ٣٤١، ٣٤٧، ٣٥١، ٣٦٩، ٣٧٦، ٣٩٣،

٤٢٢، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٨٨، ٥٠٤.

(٤) ديوان الوائلي: ١٦٨.

(*) قال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): ((إِنَّ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ لَمَّا وُلِدَ دُفِعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُدْعَوْ لَهُ، فَأَبَى أَنْ يَفْعَلَ ثُمَّ قَالَ: ابْنُ الزَّرَقَاءِ هَلَاكَ أُمِّي عَلَى يَدَيْهِ وَيَدِي ذَرْبَتِهِ)) : البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي: ٢٦٩/٩.

ح ٢- فتضمنت اسماً لشخصية لاتقل عبثاً، وفساداً عن مروان، وهو (بسر بن أرطاة) الذي كان قائداً في الجيش الأموي في عهد معاوية بن أبي سفيان، ومن أعماله البشعة أنه دخل اليمن فاستولى عليها، وسبى نساءً مسلمات، وباعهن في الأسواق، وقتل كل من شايح علياً (عليه السلام) وقتل أولاد عبيد الله بن العباس الذي كان عامل أمير المؤمنين على اليمن^(١).

الحجتان تؤيدان إلى نتيجة واحدة هي أن الإسلام لم يرتق بهذه الأعمال، ولا بشخصيات عملت على تقويضه، وإظهار صورٍ بشعة عنه، وقد جاء هذا الخطاب بصيغة الاستفهام الإنكاري، والاستفهام هنا بمعنى النفي^(٢)، أي (ليس بأفعال مروان، ولا بأفعال بسر بن أرطاة تسمى للدين صرخ منيع).

يلحظ أن الرابط (أم) حقق انسجاماً بين الحجتين بتوحيدهما في نتيجة واحدة، هي المغزى من هذا الخطاب.

المبحث الثاني : العوامل الحجاجية

مفهوم العوامل الحجاجية :

تعدُّ العوامل الحجاجية عناصر رئيسة في نظرية الحجاج اللغوي، فبهذه العوامل يتم توجيه المتلقي نحو الغاية من الخطاب، والمقصد من الأثر الحجاجي الذي يقصده المتكلم^(٣) فإذا كانت وظيفة الروابط الحجاجية الربط بين حجتين، أو بين حجة ونتيجة فإنَّ وظيفة العوامل الحجاجية هي تحديد الإمكانيات الحجاجية^(٤).

وتُعرَّف العوامل الحجاجية بأنها ((عناصر لغوية إسنادية نحوية، أو معجمية، تربط بين مكونات القول الواحد كالحصر، والنفي، والشرط... ووظيفتها هي حصر الإمكانيات الحجاجية لمحتوى الملفوظات))^(٥)، وفي لغتنا العربية تظهر هذه العوامل بوضوح في بعض الأساليب، ومن هذه الأساليب : القصر، والنفي، والاستثناء، والشرط، وبعض التراكيب النحوية التي يراود بها الحصر، والاهتمام، مثل: التقديم، والتأخير، وتمثل هذه العوامل أيضاً بعض المفردات المعجمية من مثل: أخيراً، تقريباً، قليلاً، كثيراً، منذ الظرفية، حتماً، على الأقل ، مازال، الآن، على الرغم، تماماً...^(٦).

(١) ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله الذهبي (ت ٧٤٨هـ) :تح: عمر عبد السلام التدمري: ٣٦٩/٥.

(٢) ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: عبد الرحمن حسن حَبَّكَّة: ٢٧٣/١.

(٣) ينظر: مناهج الدراسات الأدبية الحديثة من التاريخ إلى الحجاج : ١٧١.

(٤) ينظر: اللغة والحجاج : ٢٧.

(٥) بلاغة الاقناع في المناظرة : ١٠٠.

تماماً...^(١).

تحدد هذه العوامل مقصد الخطاب الحجاجي، وتوجهه نحو وجهة معينة، لا تحتل معنى آخر^(٢)، ويعرف التوجيه الحجاجي أنه: ((إسناد اتجاه معين لقول ما بغاية بلوغ نتائج محددة))^(٣)، ويتضح دور التوجيه الذي يضطلع به العامل الحجاجي في تحليل خطاب حجاجي ما، وليكن مثلاً كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) فهذا الخطاب يتضمن عاملين حجاجيين، هما: النفي، والاستثناء، يجمعهما أسلوب القصر، أمّا العامل الحجاجي في النفي فقد عمل على توجيه الخطاب إلى نفي وجود إله، وعملت دلالة الاستثناء على توجيه الخطاب نحو وجهة حجاجية محددة، وقد اتخذت هذه الوجهة محورين الأول: تأكيد النفي والثاني خَصَّ الله تبارك وتعالى بالتفرد، وأنه هو الإله المطلق، فحصر العامل الحجاجي معنى الربوبية والتأليه في الذات المقدسة تبارك وتعالى، واستبعد كل شيء غير ذلك.

إنَّ وجود العامل الحجاجي المتمثل بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء قلص من إمكانيات تشتت المعنى، وحصر أوجه المعنى في باب واحد، وهذه السمة هي الأهم في تميز العامل الحجاجي من الرابط الحجاجي من جهة الوظيفة؛ ولهذا عُدَّ العامل الحجاجي موصلاً قضوياً والرباط الحجاجي موصلاً تداولياً؛ لأنه يسمَح بالتأويل ولا يقف عند الدلالة^(٤) وتحكمه السياقات التي يقال فيها . وفي شعر الوائليّ يلحظ العامل الحجاجي بشكل واضح في أساليب لغوية متعدّدة تمثلت في: الاستثناء، والقصر، والنفي، والشرط، والتقديم و التأخير، وهذا لا ينفي وجود عوامل حجاجية، من قبيل بعض المفردات المعجمية؛ لذا كان هذا سبباً لتقسيم الموضوع على قسمين.

القسم الأول: العوامل الحجاجية التركيبية، والقسم الثاني: العوامل الحجاجية المعجمية .

أولاً: العوامل الحجاجية التركيبية .

العامل الحجاجي في أسلوب الاستثناء :

جاء في شرح المفصل ((الاستثناء استفعال، من ثناء عن الأمر يثنيه إذا صرفه عنه فالاستثناء صرفُ اللفظ عن عُمومه بإخراج المستثنى من أن يتناوله الأول، وحقيقته تخصيص صفة عامة، فكلُّ استثناء تخصيص، وليس كلُّ تخصيص استثناء))^(٥)، هذا حدُّ الاستثناء عند

(١) ينظر: الحجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) : ٧٥.

(٢) ينظر: البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة أو الحجاج: عبد الله صولة :بحث ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ٣٤/١.

(٣) بلاغة الاقناع في المناظرة : ٩٩.

(٤) ينظر :مناهج الدراسات الأدبية الحديثة من التاريخ إلى الحجاج : ١٧٣.

(٥) شرح المفصل: ٤٦/٢.

النحويين.

وإخراج الشيء من بقيته، أو عزله عنه إنما جيء به لأجل إفراذه بمزية ما، سلباً كانت أم إيجاباً، فقول القائل : جاء القومُ إلّاعلياً، إنّما خصّ علياً وميّزه من الآخرين بأنّه لم يَجِئْ والاستثناءُ يسلطُ الضوء على المستثنى، ويجعله محط اهتمام^(١) الخطاب، وتختص أدوات الاستثناء بهذه الوظيفة، فهي التي تقوم بتوجيه معنى الخطاب نحو المستثنى؛ لذلك تعد هذه الأدوات عواملَ حجاجية، وهذا يجعل العامل الحجاجي في الاستثناء بارزاً واضحاً، ويتحقق الاستثناء بأدواته المعروفة وهي: إلّا، وهي أمُّ الباب، وخلا وعدا، وحاشا، وليس، وغير وسوى، ولا يكون، وقد استثمرَ الوائلي هذا العامل فأورده في اثنين وعشرين موضعاً في شعره^(٢)، ومن ذلك قوله: [البحر الخفيف]

إِنَّ مَا فِي الْوُجُودِ إِلَّاكَ وَهُمْ فَانْحَنِ خَاشِعاً لَدَيْكَ وَجُودِي^(٣)

والضمير هنا في موضع نصبٍ على الاستثناء، وهو يعود على الله سبحانه وتعالى، إذ إنّهُ يخاطب البارئ عز وجل، والعامل الحجاجي هو أداة الاستثناء (إلّا)، لقد كان الوائلي موفقاً في اختياره لهذا العامل فقد حشدَ معطيات الخطاب، ووجهها نحو معنى واحد هو أَنَّ الله تبارك، وتعالى هو الحقيقة المطلقة، وقد بدأ خطابه بالتوكيد؛ ليدلّل على أَنَّ كل ما في هذا الوجود هو وَهُمْ، باستثناء الخالق عز وجل، فوجود العامل الحجاجي المتمثل بأسلوب الاستثناء، ووجود ما يعضد هذا العامل، وهو أداة التوكيد (إِنَّ) حدداً القصد الذي أراده بهذا الإخبار، وهو إيمانه المطلق بالله تبارك وتعالى، وقد جعل الوائلي صدر البيت سبباً، ليكون عَجْزُ البيت نتيجة عنه، وربط بينهما بالرباط الحجاجي المدرج للنتائج وهو الفاء، وهذه النتيجة هي قرينة تعزز إيمانه المطلق بالله .

العامل الحجاجي في أسلوب النفي :

النفي في اللغة الطرد والإبعاد، قال الخليل: ((نفي: نفي الرجل، وغيره نفيًا إذا طردته فهو منفي، قال الله تعالى: ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣]، ويقال: معناه: السَّجُنُ والانتقاء من الولد: أن يتبرأ منه))^(٤) أمّا في الاصطلاح فإنّه ((من أقسام الخبر مقابل الإثبات والإيجاب، قيل بل هو شطر الكلام كلّ، والفرق بينه، وبين الجحد أنّ النافي إن كان صادقاً سمّي كلامه نفيًا، ومنفياً أيضاً، ولا يُسمّى جحداً، وإن كان كاذباً سمّي جحداً، ونفيًا أيضاً فكلُّ جحد نفي، وليس كلّ

(١) ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى: محمد عبد المطلب: ٢٦١.

(٢) ينظر: ديوان الوائلي ٤٧، ٦٧، ٦٨، ٨٥، ١٢٣، ١٤٧، ١٩٦، ٢٢٨، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٦٤، ٢٩٤، ٣١٦، ٣٣٩، ٣٨٧، ٤٢٠، ٤٥٠، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥٠٥، ٥١٦.

(٣) نفسه: ٢٤٥.

(٤) كتاب العين: مادة (نفي): ٨/٣٧٥.

نفي جحدا... مثال النفي ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ومثال الجحد نفي
 فرعون، وقومه آيات موسى ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤] ((^(١)) أما النفي فإنَّه
 إخبار بعدم حدوث الفعل، ومنه قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَسْنَخْهُ﴾
 [البقرة: ٢٥٩]، ويمكن أَنْ يُنْظَرَ إِلَى العامل الحجاجي في النفي بوصفه موجهاً للخطاب؛ لأنَّه إثبات
 شيء بإبعاد ما عداه، فلو تأملنا في قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَسْنَخْهُ﴾ أي لم
 يتغير^(٢)، فقد نفى الخطاب القرآني حدوث التغير، مع إمكان وجوده، وهو الشيء الأهم في عملية
 الحجاج؛ لأنَّه خص شيئاً بنفي غيره وإبعاده، وهذا يعني تخصيص النفي بشيء، مما يتيح للخطاب
 الذي يحتوي على النفي حصر المعنى بشيء ما، جاء في دلائل الإعجاز ((ههنا أصل، وهو أنَّه
 مِنْ حُكْمِ النْفِي إِذَا دَخَلَ عَلَى كَلَامٍ، ثُمَّ كَانَ فِي ذَلِكَ الْكَلَامِ تَقْيِيدٌ عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الْوَجْهِ أَنْ يَتَوَجَّهَ
 إِلَى ذَلِكَ التَّقْيِيدِ، وَأَنْ يَقَعَ لَهُ خُصُوصاً))^(٣) وقد وظف الوائلي أسلوب النفي، بأدواته المختلفة في
 مواضع متعددة من شعره حتى أصبح ظاهرة مميزة فيه فقد ورد النفي في مائة وثلاثة مواضع^(٤)؛
 لتأدية أغراض حجاجية، ومنه قوله: [البحر السريع]

وحيثُ تَبْدُو فِطْرَةُ اللَّهِ فِي عَيْنَيْكَ إِذْ تَرْضَى وَإِذْ تَغْضِبُ
 بريئة في كلِّ حالاتها بيضاء ما لوَّثها مَأْرِبُ^(٥)

هذا البيت من قصيدة كتبها إلى ولده الصغير (حسون)، وقد وظف الوائلي النفي بوصفه
 عاملاً حجاجياً استطاع أَنْ يحصر به معنى الخطاب الذي هو فطرة الأطفال بريئة بيضاء
 وسرائرهم نقية، وقد أثبت ذلك بنفي ما يعاكسه، وما زاد في قوة هذا الخطاب وعاملية الحجاجية

(٣) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ١٧٢٢/٢.

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): تج عبد الرزاق
 المهدي: ٣٠٧/١.

(٣) دلائل الإعجاز: عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١هـ): تج د. رضوان الداية د. فايز الداية: ٢٨٢.

(٤) ينظر: ديوان الوائلي: ٤٥، ٤٧، ٨٤، ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٥٩، ٦١، ٦٤، ٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧١، ٧٥، ٧٧، ٨٢، ٨٣،
 ٨٩، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ١٠١، ١٠٦، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٨، ١٢٩، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٧، ١٥١، ١٥٥، ١٦١، ١٥٦، ١٦١، ١٦٤،
 ١٦٥، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠٣،
 ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٣، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٨، ٢٦٢، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢،
 ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٨٦، ٢٩٣، ٢٩٥، ٣١٤، ٣١٦، ٣٢٢، ٣٣٢، ٣٣٥، ٣٤٠، ٣٥١، ٣٦٢، ٣٧٦، ٣٨٢، ٣٩٢، ٤٠٢،
 ٤٠٩، ٤١١، ٤٢٢، ٤٢٩، ٤٣٤، ٤٤٠، ٤٤٥، ٤٥٦، ٤٦٤، ٤٧٤، ٤٨٦، ٤٨٩، ٥٠٢، ٥٠٨،
 ٥٢١، ٥١٤.

(٥) نفسه: ٣٣٢.

وجود مؤكدات للخطاب، وهي كلمة (كل) قال ابن هشام: ((كل اسم مَوْضُوع لاستغراق أَفْرَادِ الْمُكْرَرِ نَحْوُ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] والمعرف المَجْمُوع نَحْوُ ﴿وَكُلُّهُمْ عَائِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥])^(١) وهذا يعني أن فطرته في كل حالاتها، سواءً كان غاضباً، أم راضياً، أم حزيناً ، أم فرحاً إنما هي بريئة صافية لا تشوبها شائبة، والنفي هنا يسمى نفياً وصفيّاً، والمراد به بيان حالة الأشياء المُعْبَر عنها، من دون أن يكون هذا النفي معارضاً لخطاب آخر^(٢) . ومن ذلك أيضاً قوله: [البحر الخفيف]

لَا أَبَّ يَحْضُنُ الصَّغَارَ وَلَا عَشَّ بِهِ تَحْتَمِي وَلَا مَنْ يَذُودُ^(٣)

قد يتكرر العامل الحجاجي غير مرة في الخطاب، وقد تكرر العامل الحجاجي (لا)؛ لأنَّه أراد به بيان الحال، ويتضح قصده من إرادة بيان الحال من تقديم بعض الألفاظ على بعض، فقد قدم (أَبَّ)، وكان حقها التأخير، إنما التقديم لغرض الاهتمام بغياب الأَبَّ، وبيان ما يمر به هؤلاء الأطفال بسبب الحرب، فعامل النفي وإن كان تكراره من دواعي التوكيد إلاَّ أنَّه يضيف إلى الخطاب تهويلاً^(٤)، وتوجيهاً للتأثير في عواطف المتلقي بتكرار بعض الصور المؤلمة التي تعكس حالة الحرب التي يصاحبها التشرد وضياح المأوى^(٥)، أمّا دلالة تكرار أداة النفي فلا تخرج عن كونها عاملاً حجاجياً، إذ إنَّ اشتراك أكثر من خبرٍ واحدٍ في الخطاب دليلٌ على المصاب الجلل، والأمر الفادح الذي أصاب الناس في أيام النكبة التي عاشها العرب سنة (١٩٦٧)، لقد حقق الخطاب مراده بتوظيف عامل النفي لإثبات حقيقة الوضع الذي عاشه الناس في تلك النكبة، ويظهر تكرار العوامل في الخطاب أنَّ المتكلم يحاول أن يؤثر في عواطف المتلقي، ويظهر حالة البؤس بتكرار العامل الحجاجي في الخطاب .

العامل الحجاجي في أسلوب القصر :

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١/١٩١-١٩٢.

(٢) ينظر: الحجاج في الخطاب القانوني: ١١٠.

(٣) ديوان الوائلي: ٣٦٢.

(٤) ينظر: تحرير المعنى السديد وتووير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: ١/١٤١.

(٥) ينظر: منزلة العواطف في نظرية الحجاج :د. حاتم عبيد: عالم الفكر: ع٢: ٤٠: لسنة ٢٠١١: ٢٤٠.

القصر في اللغة غاية الشيء، ومنتهاه، قال الخليل: ((الْقَصْرُ: الغاية))^(١)، ومن معانيه أيضاً الحبس، جاء في لسان العرب ((مَعْنَى الْقَصْرِ الْحَبْسُ؛ لَأَنَّكَ إِذَا بَلَغْتَ الْغَايَةَ حَبَسَتْكَ))^(٢)، وقال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢].

أما في الاصطلاح فهو: تخصيص شيء بشيء بإحدى طرائق القصر^(٣)، وأسلوب القصر كما يتضح من التعريف من الأساليب التي تُخَصِّصُ وتحدد مدار الخطاب، وتوجهه نحو طرفٍ محدد، قال السكاكي (ت ٦٢٦هـ): ((وحاصل معنى القصر راجع إلى تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان، كقولك: زيد شاعر لا مُنَجِّمٌ، لمن يعتقده شاعراً ومنجماً، أو قولك زيد قائم لا قاعد لمن يتوهم على أحد الوصفين من غير ترجيح))^(٤)، وهذا ما يطلق عليه المحدثون تبئير الخطاب، أي توجيه معنى الخطاب نحو شيء بعينه؛ لأنَّه مغزى الخطاب ومحوره، ويرى د. أحمد المتوكل أنَّ ظواهر التبئير في اللغة العربية تتجسد في أساليب التخصيص، والقصر، والتوكيد، بوصفها أساليب مسخرة من المتكلم لتؤدي مقاصد محددة في الخطاب^(٥)، وقد جعل البلاغيون للقصر أربعة أساليب هي: (النفي والاستثناء، والقصر بإنما، والعطف ولكن و بل ولا ، و تقديم ما حقه التأخير).

أولاً: القصر بالنفي والاستثناء :

يُعَدُّ هذا الأسلوب من أساليب التوكيد؛ لأنَّه يحصر معنى الإخبار بالمقصود من الإخبار، وينفي ما دون ذلك قال المبرِّد (ت ٢٨٥هـ): ((وَإِنَّمَا احْتَجَبْتُ إِلَى النَّفْيِ، وَالِاسْتِثْنَاءِ لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ جَاءَنِي زَيْدٌ فَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ غَيْرُهُ، فَإِذَا قُلْتَ مَا جَاءَنِي إِلَّا زَيْدٌ نَفَيْتَ الْمَجِيءَ كُلَّهُ إِلَّا مَجِيئَهُ))^(٦)، وتأتي فائدته حينما يكون المتلقي منكراً لأمرٍ ما، فيكون هذا الأسلوب داحضاً للإنكار^(٧)، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وهو في الحجاج من أبرز العوامل الحجاجية، وأقواها؛ لأنَّه لا يترك شكاً لدى المتلقي بتوجيه آخر للمعنى غير ما يقصده المتكلم، وهذا الأسلوب يبين بشكل واضح الفاعلية التي يكسبها القصر للخطاب

(١) كتاب العين: مادة: (قصر): ٧٥/٥.

(٢) لسان العرب مادة: (قصر): ٩٧/٥.

(٣) ينظر: البلاغة والتطبيق: د. أحمد مطلوب: د. كامل حسن البصير: ١٦٩.

(٤) مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي: ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور: ٢٨٨.

(٥) ينظر: الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط: ١٣٧.

(٦) المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد بالمبرد: تح: محمد عبد الخالق عزيمة: ٣٨٩/٤.

(٧) ينظر: معاني النحو: ٢١٦/٢.

الذي يتضمنه، فهو يعطيه بعداً حجاجياً أعمق في التوجيه نحو النتيجة المقصودة من الخطاب^(١) وأسلوب القصر بالنفي والاستثناء أثبت حضوراً مميزاً في شعر الوائلي، فقد وظفه في ثلاثة وثمانين موضعاً^(٢) من ذلك قوله: [البحر الخفيف]

أَوَّلُ الْقِبْلَتَيْنِ رَاحَتْ وَرُحْتُمْ لَمْ تَسْلُوا إِلَّا اللِّسَانَ الطَّوِيلَا^(٣)

هذا البيت من قصيدة وجهها الوائلي إلى القادة العرب الذين يوجهون فوهات سلاحهم إلى شعوبهم من أبناء جلدتهم، ويتركون عدوهم الحقيقي ينعم بالراحة، والسلام، وموضع الشاهد هنا هو توجيه الخطاب بالعوامل الحجاجية المتمثلة بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء إلى وجهته المعنوية المقصودة، ف((القصر في النفي والاستثناء يكشف لك الغطاء))^(٤)، إذ جاء هذا الخطاب ليكشف زيف من ادعوا البطولة والشجاعة لأنَّ أعلى ما يملكه الإنسان هو مقدساته، وقد استُثِحت هذه المقدسات، بل أُخِذَتْ واغْتُصِبَتْ، والعرب لم يحركوا ساكناً إنما اكتفى القوم بالخطبِ العصماء، والكلمات الجوفاء التي لا تشبع من جوع، فالعامل الحجاجي وجه إلى أنَّ العرب تخاذلوا عن قضيتهم، وتكاسلوا ولم يحملوها محمل الجد .

ثانياً: القصرُ بإنما :

من أدوات القصر التي يرادُ بها الحصر^(٥)، ويرادُ بهذا الحصر التنبيه، قال الجرجاني: ((اعلم أن موضوعَ إنمّا على أن تجيءَ لخبرٍ لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، أو لما يُنزلُ هذه المنزلة، تفسيرُ ذلك أنك تقول للرجل: إنمّا هو أخوك، و إنمّا هو صاحبك القديم، لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته، و لكن لمن يَعْلَمُه ويُقَرُّ به إلا أنك تريد أن تُنبّهه للذي يجب عليه من

(١) ينظر: البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة أو الحجاج: (بحث) ٣٤/١.

(٢) ينظر: ديوان الوائلي: ٤٩، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦٦، ٦٩، ٧٦، ٧٨، ٨٥، ٨٩، ٩١، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٩، ١١٠، ١١٤، ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٩، ١٣١، ١٣٢، ١٦٢، ١٦٦، ١٧٦، ١٨٣، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٩، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٤٣، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٦١، ٢٦٧، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٨، ٢٧٧، ٢٨٣، ٢٩٤، ٢٩٨، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢١، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٨، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٥٥، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٦٨، ٣٧١، ٣٧٦، ٣٩٧، ٤١٣، ٤٢٦، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٥٢، ٤٦٣، ٤٩٥، ٥١٠، ٥١٢، ٥١٣.

(٣) نفسه: ٢٠١.

(٤) مفتاح العلوم: ٢٩٣.

(٥) ينظر: معاني النحو ٣٠٠/١.

حقّ الأخ وحُرمة الصاحب^(١)، وهنا تبرز وظيفة العامل الحجاجي إنّما، في إفادة الحصر، وتوجيه الخطاب نحو مقصد المتكلم واستبعاد ما سواه، ويرى السكاكي أنّها تحمل معنى ما وإلاّ، وهذا ما يكسبها صفة التوجيه نحو القصد واستبعاد تشتت المعنى، فقال: ((والسبب في إفادة إنّما معنى القصر هو تضمينها معنى ما وإلاّ؛ ولذلك تسمع المفسرين لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾ [البقرة: ١٧٣] بالنصب يقولون معناه ما حرم عليكم إلا الميته، والدم)^(٢) يتضح مما تقدم ما لهذا العامل من أثر بيّن في توجيه الخطاب الحجاجي، وقد وردت إنّما في تسعة مواضع من شعر الوائلي^(٣) من ذلك قوله: [البحر الخفيف]

إِنَّمَا تُهْدَمُ الْحَجَارَةُ وَالْمَضْمُونُ يَبْقَى عَلَى الْمَدَى وَيُصَانُ^(٤)

هذا البيت من قصيدة طويلة عنوانها (مدافع الجبن) بهذه القصيدة سجل الوائلي ما قام به النظام الحاكم في العراق آنذاك من انتهاك لحرمة ضريح الإمام الحسين (عليه السلام) سنة (١٩٩١) وأقدموا على ضربه بالمدافع، فعلى الرغم من ذلك ظلّ الحسين (عليه السلام) مناراً، وسراجاً للثوار فمنه يستمدون القوة والعزيمة، وبه يستعذبون الموت، وهو في الوقت نفسه كابوس يقض مضاجع الظالمين، وهذا ما أكدّه الوائلي في خطابه، فالعامل الحجاجي المتمثل بالقصر بـ(إنّما) حصر الهدم في الحجارة، وهي أشياء مادية يمكن أن تزول أو تهدم وحصر البقاء بالمضمون الرسالي الذي مهما اجتهد الطغاة في محو أثره يفشلون؛ لأنّ الأفكار التي تستمدّ العطاء من الله عز وجل لا يمكن أن تموت أو تقف.

ثالثاً: القصر بالنفي وبعض الأدوات العاطفة (لكن، وبل، ولا) :

من أساليب القصر في العربية مجيء هذه الأدوات لكن، وبل، ولا، دالة على العطف ويراد بها القصر^(٥)، ويكون عملها على النحو الآتي:

لكن :

تدل على العطف إذا وقعت بعد نفي أونهي^(٦)، كقولنا: ما جاء محمدٌ لكن خالدٌ، وهذا النوع

(١) دلائل الإعجاز: ٣٢٧-٣٢٨.

(٢) مفتاح العلوم: ٢٩١.

(٣) ينظر: ديوان الوائلي: ٦٩، ٧٠، ٩٥، ١٤٢، ١٥٢، ٢٧٧، ٣٣٤، ٤٣٥، ٥٠٤.

(٤) نفسه: ١٤٢.

(٥) ينظر: مفتاح العلوم: ٢٨٨، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣ هـ): تح: عبد

الحميد هنداي: ٣٩٧/١، والبلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٥٣٥/١.

(٦) ينظر: معاني النحو ٢٢٣/٣.

من الخطاب فيه من التخصيص، والحصر ما يجعله عاملاً حجاجياً؛ لأنَّ (لكن) هنا تشير إلى الإبطال، أي إبطال ما قبلها وترجيح ما يأتي بعدها بفضل معنى الاستدراك الذي تدلُّ عليه، ويُشترطُ في عملها للعطف وإرادة القصر أن يكون المعطوف بها مفرداً، وتكون مسبقة بنفي أو نهي، وتكون غير مقترنة بالواو^(١) ولهذا العامل الحجاجي شواهد متعدّدة في شعر الوائليّ، فقد ورد في أربعة وعشرين موضعاً، ومنها قوله^(٢): [البحر: الكامل]

لَا مَنْ تُقْلِدُهُ يَدٌ هِيَ لَمْ تَجِئْ لِلْحُكْمِ عَنْ شَرْعِيَّةٍ بَيَاضٍ
لَكُنَّهَا مَشْبُوهَةٌ جَاؤُوا بِهَا فِي لَيْلَةٍ دَمَوِيَّةٍ دَهْمَاءٍ^(٣)

هذان البيتان من قصيدة له عنوانها إلى النجف الأشرف بلدي الحبيب، وهي من قصائده الطوال، عرج فيها على كثير من الأحداث التي دارت في العراق، ومن جملتها الأحداث السياسية التي شهدتها العراق في منتصف القرن العشرين وما بعده.

والمقصود في هذا الخطاب سلطة البعث التي استولت على حكم العراق بالقوة والجبر لباختيار الشعب، وقد عمد الوائليّ إلى أسلوب القصر بـ(لا النافية ولكن)، ليؤكد نفي الشرعية عن هؤلاء، والمعنى الذي وجهه العامل الحجاجي المتمثل بالنفي يؤكد ذلك أما (لكن) بما تحمله من دلالة الاستدراك التي تتجلى بزيادة تأكيد نفي ما قبلها من حُجة وتعزيز وتأکید ما بعدها، تضافرت مع النفي؛ لتعطي الخطاب قوة نحو تحقيق الغاية الحجاجية التي مفادها أنَّ هؤلاء جاؤوا إلى السلطة بقوة أيادٍ خفية تدعمهم، وتمهد لهم طريق الوصول، حتى لو كان هذا على حساب دماء الشعب .

بل :

تكون عاطفة إذا دخلت على مفرد وتقدمها نفي، أو نهي، قال ابن هشام: ((إِنْ تَلَّاهَا مُفْرَدَ فَهِيَ عَاطِفَةٌ ثُمَّ إِنْ تَقْدِمُهَا أَمْرٌ، أَوْ إِجَابٌ كـ(اضْرِبْ زَيْدًا بِلْ عَمْرًا)، (وَقَامَ زَيْدٌ بِلْ عَمْرُو) فَهِيَ تَجْعَلُ مَا قَبْلَهَا كَالْمَسْكُوتِ عَنْهُ، فَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ، وَإِثْبَاتُ الْحُكْمِ لَهَا بَعْدَهَا وَإِنْ تَقْدِمُهَا نَفْيٌ، أَوْ نَهْيٌ فَهِيَ لَتَقْرِيرٍ مَا قَبْلَهَا عَلَى حَالَتِهِ وَجَعَلَ ضِدَّهُ لَهَا بَعْدَهُ نَحْوُ مَا قَامَ زَيْدٌ بِلْ عَمْرُو))^(٤)، فهي في الأحوال التي ذكرها ابن هشام حرف عطف، وما يهمنها في هذا المقام إذا كانت مسبقة بنفي؛ لأنَّ المراد بذلك هو قصر الخطاب^(٥) وحصره لتكون وجهته من جهة المعنى واحدة، وهي إبطال ما

(١) ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٥٣٥/١.

(٢) ينظر: ديوان الوائلي: ٤٧، ٧٣، ٨٢، ٨٧، ١١٢، ١٧٧، ٢٠٥، ٢١٤، ٢٦٢، ٢٦٨، ٢٧٩، ٣٠٧، ٣٣١، ٣٣٦.

٣٥٩، ٣٦١، ٣٧٨، ٣٨٢، ٣٩٥، ٤٥١، ٤٦١، ٤٩٣، ٤٩٥.

(٣) نفسه: ٣٠٧.

(٤) مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ١٥٣/١.

(٥) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ٣٩٧/١، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٥٣٤/١.

ما قبلها وترجيح ما بعدها، وقد وظفَ الوائليّ هذا العامل في اثنين وعشرين موضعاً من شعره^(١)، من ذلك قوله: [البحر: الخفيف]

لَيْسَ ذَنْبُ الْعَيُونِ بَلْ ذَنْبُ لَيْلٍ لَمْ تَبْنِ فِيهِ رَوْضَةً مِنْ مُحُولٍ^(٢)

هذا البيت من قصيدة قالها في رثاء عقيلة الطالبين زينب (عليها السلام)، ويلحظ أنه اعتمد الأسلوب الاستعاري في هذا البيت، إذ عبر عن تخاذل الناس، وتجاهلهم لأمر ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، بقوله: (لَيْسَ ذَنْبُ الْعَيُونِ)، وعبر عن الأفكار التي بثها بنو أمية التي جعلت من الإمام (عليه السلام) خارجاً على سلطة ولاية الأمر بأنّها ذنب لتلك السلطة التي استعار لها الليل، الذي لم يتضح فيه الحق من الباطل، ويلحظ أنّ أسلوب القصر لم يؤثر في وظيفة (بل) التي تزيد من قوة الحجة التي تأتي بعدها، فتكون بذلك محوراً دلالية يتكأ عليه عامل القصر في تحديد قصد الخطاب، وتوجيهه نحو المعنى الذي أراده المتكلم.

لا العاطفة:

حرف أكثر ما يعملُه النفي والنهي^(٣)، لكنّ دلالاته محددة بالسياق الذي يرد فيه، فقد يدلُّ على العطف ويفيد قصر الخطاب على ما قبله، قال السهيلي: ((ولا تكون لا عاطفة إلا بعد إيجاب، وشرط آخر وهو: أن يكون الكلام قبلها يتضمن مفهوم الخطاب نفي الفعل عما بعدها))^(٤) ويخالف عمل (بل، ولكن) إذ إنهما يتشابهان في أنّ عملهما للعطف وقصر الخطاب مشروط بأن يكونا مسبقين بنفي أو نهي، أمّا الأمر الثاني فهو أنّ هذين العاملين يقصران غاية الخطاب على ما بعدهما، أمّا (لا) فإنّها توجه غاية الخطاب إلى ما قبلها قال السبكي: ((يكون ما قبل لا العاطفة غير صادق على ما بعدها))^(٥)، ويكون عملها للقصر مشروطاً بما يسبقها، ومن ذلك: أن يسبقها إثبات مثل (المأمون خليفة لا شاعر)، أو أمر مثل (أكرم محمداً لا سعيداً)، أو دعاء مثل

(١) ينظر: ديوان الوائلي: ٧٤، ٩٥، ١١١، ١١٢، ١٢٩، ١٤٦، ١٧٤، ٢٠٤، ٢٤٣، ٢٥٤، ٢٧٥، ٢٧٩، ٢٨٦، ٢٩٥، ٣٩٢، ٤٣٣، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٩٠، ٤٩١.

(٢) نفسه: ٤٩١.

(٣) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٢٩٠.

(٤) نتائج الفكر في النحو: ٢٠٢.

(٥) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ٣٩٧/١.

(غفر الله لبكر لا زيد)، أو تحضيض مثل (هلا تعطيه ديناراً لا درهماً)، وقد تأتي في سياق التمني (ليت لي ولداً لا بنتاً)، وأن لا تكون مكررة في الخطاب^(١)، وأن لا يسبقها عاطف فتكون زائدة، فإن تحققت هذه الشروط في السياق الذي ترد فيه (لا) كانت عاملاً حجاجياً يُراد منه قصر الخطاب على ما قبله^(٢)، استعملت (لا) لإرادة القصر في خمسة مواضع في شعر الوائلي^(٣) من ذلك قوله: [البحر الخفيف]

فَأَرَانِي وَهَجَ السَّنَابِكِ مِنْ خَيْلِكَ تَغْزُو بِفِكْرَةٍ لَا عَدِيدٍ^(٤)

هذا البيت من قصيدة طويلة وجهها الوائلي إلى رسول الله (ﷺ)، ويلحظ أنَّ هذا العامل وجه غاية الخطاب نحو ما قبله من حُجة، وهي أنَّ رسول الله (ﷺ)، ما كان يغزو لأجل الغزو وما كان يغزو بالعدة والعدد، بل كان يُقدِّم القرآن أمامه فكراً وعملاً، فهو من وصفه الخالق سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، فكان الرسول الأعظم يعبئ جيشه بفكر القرآن الكريم، فمن يقتل منهم في سبيل الله فمأواه الجنة التي وعد الله بها المجاهدين الصابرين، فكانت غايته نشر الاسلام، وجعله نوراً تستضيء به العباد، ويتضح أنَّ هذا الخطاب فيه صورة من صور الاعتراض على من زعم أنَّ الإسلام انتشر بالسيف لا بالفكر، والخطاب الحجاجي موجه نحو دحض هذه الفكرة، وقد كان العامل الحجاجي المتمثل بأسلوب القصر بـ(لا) هو الموجه نحو هذا القصد.

التقديم والتأخير :

لا يقتصر العامل الحجاجي على أدوات القصر، والاستثناء بل ((يمكن أن يمتد إلى الأبنية والتراكيب، والظواهر البلاغية))^(٥) ومن أمثلة ذلك أسلوب التقديم والتأخير وهذا لا يكون إلا لغرض يقصده المتكلم، فيعمد إلى كشفه وإظهاره بتقديمه في الكلام، قال سيبويه متحدثاً عن التقديم والتأخير: ((كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يُهمَّانهم

(١) ينظر : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ): تح: عبد الحميد هنداوي: ٢٥٥/٢،

والبلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٥٣٣/١، ومعاني النحو: ٢٢٩/٣.

(٢) ينظر :البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٥٣٣/١.

(٣) ينظر : ديوان الوائلي: ٥٢، ٥٤، ٨٥، ١٥٢، ٢٩٦.

(٤) نفسه : ٥٢.

(٥) العوامل الحجاجية في اللغة العربية : ٢١.

وَيَعْنِيَانِهِمْ^(١)، فيكون هذا الخروج عن مقتضى القاعدة لأجل توجيه الاهتمام إلى جزء محدد في الخطاب، فيتقدم الخبر على المبتدأ إذا كان هو مبتغى المتكلم ويتقدم المفعول على فاعله، والفاعل على الفعل وهكذا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] قال ابن يعيش في المفصل: ((وأصل الكلام: نعبدك ونستعينك، فقدم المفعول لضرب من العناية بالمعبود سبحانه، ولو أتى به على أصله وقال: أحمد الله، لجاز إلا أنه يكون خبراً ساذجاً بلا تخصيص، ولا دلالة على العناية به))^(٢) أي إنَّ عامل التقديم حَصَرَ العبادة بالمخاطب وحده لا غيره، وهذا توجيه للخطاب نحو الإقرار بالعبودية لله سبحانه.

أولاً : تقديم المفعول به:

إنَّ التسلسل المنطقي للجملة العربية يقتضي أن يتأخر المفعول به عن الفعل والفاعل إذ لا يصح أن يتقدم عليهما^(٣)، والتقديم إنما يكون لما يقتضيه المقام، أي إنَّه ظاهرة أسلوبية يفرضها السياق، وربما يدل السياق على الغرض من هذا التقديم، وما يهم في هذا المقام هو أنَّ هذا التقديم يمثل عاملاً حاجبياً.

لقد جُعِلَ الاختصاص والحصر^(٤)، من أهم دواعي هذا التقديم قال السيوطي: ((كَادَ أَهْلُ الْبَيَانِ يُطَبِّقُونَ عَلَى أَنَّ تَقْدِيمَ الْمَعْمُولِ يَفِيدُ الْحَصْرَ سَوَاءَ كَانَ مَفْعُولًا أَوْ ظَرْفًا أَوْ مَجْرُورًا وَلِهَذَا قِيلَ فِي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] مَعْنَاهُ نَخْصُكَ بِالْعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ، وَفِي: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَحْشُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٨] مَعْنَاهُ إِلَيْهِ لَا إِلَى غَيْرِهِ))^(٥) لقد حدد الدكتور فاضل السامرائي الغرض من تقديم المفعول به في عدد من الأسباب، ومن جملتها القصر، والاختصاص، والعناية بالمتقدم لأهميته^(٦)، فعندما يتقدم المفعول به في قولنا (محجداً أكرم) فهذا دليل على أنَّ الأكرام موجه لمحجده فقط لا غيره، فهذا التقديم أعطى خصوصية، وتميزاً لمحجده من سواه مما يجعل هذا النوع من

(١) كتاب سيبويه: ٣٤/١.

(٢) شرح المفصل: ٤٣/١.

(٣) ينظر: معاني النحو ٣٩/٢.

(٤) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٣٧/٢، و البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٣٨٢/١.

(٥) الإتيان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي: تح: محمد أبو الفضل إبراهيم: ١٧٤/٣.

(٦) ينظر: معاني النحو ٧٨/٢-٧٩.

التركيب النحوي يأخذ منحى حجاجياً، وقد يقصد المتكلم أن يعظم الحدث، ويحيطه بهالة من الجلال والعظمة^(١)، كقولهم (سعيداً أكرم الملك)، و((ظاهرة التقديم والتأخير هي ظاهرة مرتبطة بالأسلوب الذي هو عمل فردي في الأساس بهذا يصبح العدول فكرة نحوية، ويصبح التقديم والتأخير نشاطاً أدبياً ينتمي إلى الكلام لا إلى نظام اللغة))^(٢)، وقد ورد هذا النوع من العوامل في تسعة وأربعين موضعاً من شعر الوائلي^(٣) من ذلك قوله: [البحر الخفيف]

لَا تَلْمَنِي إِنْ خَانَنِي التَّعْبِيرُ فَمَتَى يَحْتَوِي الْكَبِيرَ الصَّغِيرُ^(٤)

هذا الخطاب موجه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فهو المقصود بهذا المدح، أما من حيث التركيب النحوي فقد تقدم المفعول به الذي هو قوله: الكبير على الفاعل الذي هو قوله: الصغير، والعامل الحجاجي في التقديم هو التعظيم، وبيان منزلة الممدوح، وقصر الصفة عليه، ولا يخلو أسلوب التقديم والتأخير من غاية حجاجية أرادها المتكلم، وقصدها بخطابه؛ لأنَّ ((اختيار المتكلم ألفاظه للتعبير عن أفكاره قلماً يكون اختياراً لا تتحكم فيه غايات حجاجية، خصوصاً حين يكون اللفظ (أ) الذي وقع عليه الاختيار لفظاً فيه عدول عن الكلام العادي، فباستخدام هذا اللفظ القائم على العدول يقع التنبيه إلى مقصد المتكلم الحجاجي))^(٥)، فما قصده الوائلي من تقديم المفعول به هو إظهار مكانة أمير المؤمنين (عليه السلام) فهو الكبير بتضحياته وعطائه للإسلام، والعدول من التأخير إلى التقديم في الخطاب كان له أثره في إظهار هذه الحقائق التي أرادها المتكلم، وقصد إليها بعامل حجاجي هو تقديم لمفعول به.

تقديم الخبر على المبتدأ :

يقتضي البناء المعياري للغة العربية أن يتقدم المبتدأ ويتأخر الخبر، وهذا التسلسل ناتج عن الأصل النحوي الذي ينصُّ على تقدّم المسند إليه على المسند^(٦)، غير أنَّ هذا الأصل لا يصدُّ دائماً أمام الاستعمال اللغوي، لاسيما إذا كان هذا الاستعمال نصاً شعرياً ((الشاعر يتمتع برخصة تمكّنه من انتهاك قواعد اللغة، والتمرد عليها تحقيقاً لدلالات مقصودة في التعبير، والذي يُسهِّل

(١) ينظر : نفسه ٧٩/٢.

(٢) الخلاصة النحوية د. تمام حسان : ٨٦.

(٣) ينظر: ديوان الوائلي : ٤٦، ٧٣، ٥١، ٥٣، ٥٨، ٥٩، ٦٩، ٧٠، ٧٢، ٧٤، ٧٥، ٧٨، ٨١، ٨٢، ٨٤، ٨٨، ٩١،

٩٢، ٩٥، ٩٧، ٩٩، ١٠٤، ١٠٨، ١١٥، ١٢٢، ١٤٢، ١٤٨، ١٨٤، ١٨٦، ١٩٢، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٦٤، ٢٧٤، ٢٧٨،

٢٨٣، ٣٠٩، ٣١٥، ٣١٦، ٣٥٨، ٣٦١، ٣٩١، ٤١١، ٤٢١، ٤٣٤، ٤٣٨، ٤٦٤، ٥٠٠.

(٤) ديوان الوائلي: ٧٣.

(٥) في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات د. عبد الله صولة: ٧٩.

(٦) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ٣١٠/١.

عليه هذه المهمة، هو ما تتمتع به اللغة العربية من طواعية^(١).

إنَّ تقديم الخبر على المبتدأ لا ينحصر بغرض محدد، بل هو أسلوب متعدد الأغراض يبينها سياق الخطاب، ومنها: التّخصيص، والحرص، والاهتمام...^(٢)؛ لأنَّ السياق هو الذي يوجه معنى الخطاب ويبين المعنى الذي أراده المتكلم من وراء التقديم، وقد أشار ابن الأثير إلى الجانب التداولي لتقديم الخبر على المبتدأ، فقال في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰإِبْرَاهِيمُ﴾ [مريم: ٤٦] ((فإنه إنما قدم خبر المبتدأ عليه في قوله: ﴿أَرَأَيْتَ أَنْتَ﴾ ولم يقل: أَنْتَ رَاغِبٌ؛ لأنَّه كان أهم عندهم، وهو به شديد العناية وفي ذلك ضرب من التعجب والإنكار لرغبة إبراهيم عن آلهته، وأنَّ آلهته لا ينبغي أن يرغب عنها، وهذا بخلاف ما لو قال: أَنْتَ رَاغِبٌ عَنْ آلهتِي؟))^(٣).

ورد هذا العامل في اثنين وستين موضعاً من شعر الوائلي^(٤)، ومن ذلك قوله: [البحر الطويل]

أَفِي سَمْعِكُمْ وَقَعُ السَّيَاطِ الَّتِي ثَوَّتْ تَرَائِبُنَا أَمْ أَنَّ فِي سَمْعِكُمْ وَقَرَا^(٥)

في هذا البيت انتقد الوائلي صمت الحكومات العربية، ورفض موقفها المتجاهل لما يصيب شعوبها من الأزمات، وما تلاقيه شعوبها من البؤس والعناء.

جاء هذا الرفض في صورة عدول نحوي أراد به بيان حال الشعوب العربية وما تعانيه، وقد تمثل هذا العدول في تقديم الخبر على المبتدأ في موضعين من البيت، الأول قوله: (فِي سَمْعِكُمْ)، إذ تقدم على المبتدأ وهو قوله (وَقَعُ السَّيَاطِ)، أما الموضع الثاني ففي عجز البيت في قوله (فِي سَمْعِكُمْ) الذي مثل خبر أنَّ، إذ تقدم على اسمها وهو قوله (وَقَرَا) وقد مثل هذا التقديم عاملاً حاجياً، إذ إنَّ أحد موجبات التقديم هو العناية والاهتمام بالمتقدم^(٦)، وبيان الأثر من ذلك التقديم، ولاحظ أنَّ التقديم بوصفه ظاهرةً أسلوبية، ونحوية شكل عاملاً حاجياً، إذ استطاع المتكلم أن يوجه خطابه نحو وجهة محددة بهذا الأسلوب، ويشير به إلى معان متعددة في صورة من صور الاستعارة، إذ جعل عدوهم كالضارب بسياطه فيهم وليس هناك من رادع يردعه، فالعامل الحجاجي

(١) البنيات الأسلوبية في شعر أحمد الوائلي: علي يونس عودة: (رسالة ماجستير): ٩٨.

(٢) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٦/٣.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢١٧٦.

(٤) ينظر: ديوان الوائلي ٥٢، ٥٨، ٥٩، ٦٨، ٧٧، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ١١٦، ١١٨، ١١٩، ١٢٠،

١٢٤، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٨، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٣، ١٦٧، ١٧١، ١٧٢، ١٧٦، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٨،

١٩٥، ٢٠٤، ٢١٠، ٢١٦، ٢٢٦، ٢٣٦، ٢٤٢، ٢٤٦، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٧٥، ٢٨٠، ٣٠٧، ٣١٥، ٣١٦، ٣٥١، ٣٦٢،

٣٦٥، ٣٧٩، ٣٩٥، ٤١٣، ٤٢٧، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٥٥، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٢١.

(٥) نفسه: ٢٦٥.

(٦) ينظر: مفتاح العلوم: ٢٣٥-٢٣٦.

في تقديم الخبر على المبتدأ وجه الخطاب إلى إنكار هذا الصمت من الحكومات العربية .

العامل الحجاجي في أسلوب الشرط :

يُعرّف الشرط بأنّه ((أسلوب لغويّ ينبنى - بالتحليل - على جزأين الأول مُنزّل منزلة السبب، والثاني مُنزّل منزلة المسبب يتحقق الثاني إذا تحقق الأول، وينعدم الثاني إذا انعدم الأول؛ لأنّ وجود الثاني معلق على وجود الأول))^(١)، ويتحقق الشرط في الجملة العربية بوجود أدواته المعروفة ومنها :إن، ولو، ولوما، وإذا، ولولا، ومن، وأي...، وقد ذهب المبرد إلى أنّ الأصل في الشرط هو (إن) أمّا بقية الأدوات فقد أوجدها الاستعمال اللغوي ومايفرضه سياق التلفظ من معانٍ^(٢)، فقد تكون هذه الأداة، أو تلك دالة على الشرط في سياق ما، وقد لا تكون في سياق آخر؛ لأنّ هذه الأدوات قد تكتسب وظائف فرعية زيادة على وظيفة الشرط، وينتج ذلك من اندماجها مع أدوات أخرى، وسياقات أخر تضيف عليها خاصية مغايرة بحسب السياق الذي تدخل فيه^(٣) .

سينطلق البحث من رؤية حجاجية لأسلوب الشرط، إذ إنّ لهذا الأسلوب -زيادة على وظيفة الشرط التي يؤديها- وظائف فرعية تتعلق بالأسلوب والاستعمال^(٤) فلهذا الأسلوب استعمالات قصدية كبقية أساليب العربية، فقد يخرج عما وضع له ليدل على معانٍ أخر، كما يخرج الاستفهام للتعجب، أو التوبيخ، أو...، وقد يستعمل بمعناه الحقيقي وفي كلا الاستعمالين نجد في طياته ما يدل على أنّه يأخذ دور العامل الحجاجي في توجيه الخطاب وقد اتخذ الوائليّ من أسلوب الشرط عاملاً حجاجياً في ثلاثة وثلاثين موضعاً^(٥) ومن ذلك قوله: [البحر المتقارب]

وَلَوْلَا الْمَهَانَةُ بِالْخَاشِعِينَ لَمَّا عَرَبَدَتْ قَبْضَةُ الظَّالِمِ^(٦)

هذا البيت من إحدى رباعياته التي وجهها إلى ابنته الصغيرة جمانة، وظف الوائليّ أسلوب الشرط لينتقد به سياسة الحكام، وضعف الشعوب، وأسلوب الشرط يقسم الخطاب إلى حجة ونتيجة، فتكون الحجة هي السبب في وجود النتيجة، فيوجد الأول إذا وجد الثاني ويمتنع الأول إذا امتنع

(١) في النحو العربي نقد وتوجيه: مهدي المخزومي: ٢٨٤.

(٢) ينظر: المقتضب: ٤٦/٢.

(٣) ينظر: السياب ونازك والبياتي دراسة لغوية: د.مالك يوسف المطليبي: ٧٦.

(٤) ينظر: نفسه: ٧٦.

(٥) ينظر: ديوان الوائلي: ٤٦، ٤٩، ٨٦، ٩٦، ٩٩، ١١٦، ١٢٠، ١٤٢، ١٤٣، ١٥٤، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢١٤،

٢١٥، ٢١٨، ٢٢١، ٢٣٨، ٢٥٢، ٢٥٨، ٢٦٣، ٢٦٧، ٢٦٩، ٣٠١، ٣٣٠، ٣٤٢، ٣٨٣، ٣٩٨، ٤٢٥، ٤٣١، ٤٣٥،

٤٨١، ٥١١.

(٦) ديوان الوائلي: ٢٢١.

الثاني، فدلالة الارتباط بين جملتي الشرط ناتجة عن علاقة سببية^(١) وهي واحدة من أساليب الربط الحجاجي، وفي هذا الأسلوب تكون النتائج ظاهرة غير مضمرة؛ لأنها ترتبط بالسبب أمّا بواسطة الحروف التي تقع في جواب الشرط مثل الفاء في قولنا: (إذا جاء خالدٌ فأكرمه)، أو يدل معنى الخطاب على ذلك الارتباط القائم بين الجملتين فخوف الشعب وخضوعه هو من أطلق يد الظالم، ولو انتفى خوف الشعب لانتفى الظلم فوجود النتيجة بوجود السبب؛ لذلك سميت هذه الجمل جملًا معلقة؛ لأن كل جملة متعلق حدوثها بالأخرى^(٢).

ثانياً: العوامل الحجاجية المعجمية :

تشكل بعض الأدوات المعجمية عوامل حجاجية؛ لأنها توجه الخطاب وتحدد معناه ومن الأدوات التي وردت في شعر الوائلي: منذُ الظرفية، والآن ، وكثيراً ، وحتماً. **مُنذُ الظرفية:**

هي حرف جرٍ تدخل على الأسماء الظاهرة، فلا تجر مضمراً^(٣)، وهي لابتداء الغاية ويكون بمعنى من إذا كان الزمان ماضياً، وبمعنى في إذا كان الزمان حاضراً^(٤)، قال المُبرّد: ((ومنذ في الأيام، والليالي لابتداء الغايات بمنزلة من في سائر الأسماء، وذلك قولك لم أره منذ يومين، فالغاية في الرؤية ممّا يلي أول اليومين))^(٥) وكونها عاملاً حجاجياً يأتي من أنّها تصف حال شيء ما بإخبارها عن حدوثه وانتهائه، وقد وردت منذ عاملاً حجاجياً في اثني عشر موضعاً من شعر الوائلي^(٦)، ومن ذلك قوله: [البحر الخفيف]

مُنذُ دهرٍ وكُلّ لبنان مأسا (م) ةُ وأنتم مسرةٌ وحبورٌ^(٧)

أضفت كلمة منذ على الخطاب دلالة تأكيد، فهي تدل على أنّ الفعل حدث في الزمن الماضي، وهذا الحدث وقع بالفعل، ويمنح هذا العامل للخطاب بعداً تأويلياً يجعله دالاً على غير ما يفهم من الخطاب، لكن وجهته الحجاجية تسير نحو النتيجة المقصودة، فقول أحدهم لصديق له: أنتظرِكَ منذ ساعة، فهذا القول ليس إخباراً فحسب، بل هو فعل لغوي غير مباشر يتضمن العتب، والتوبيخ

(١) دلالات الارتباط في أسلوب الشرط دراسة في نصوص من صحيح البخاري: أبو بكر زروقي: بحث ضمن مجلة كلية

الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية: ع ٦٤: لسنة ٢٠١٠.

(٢) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٨٤.

(٣) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ١١/٣.

(٤) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٥٠٠، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٣١/٣.

(٥) المقتضب: ١٤٣/٤.

(٦) ينظر: ديوان الوائلي: ٦٥، ١٢٦، ١٤٢، ١٤٣، ١٥٢، ١٥٤، ٢٥٤، ٢٥٩، ٣٥٢، ٣٦٤، ٤١٤، ٤٤٣.

(٧) نفسه: ٢٥٩.

على التأخر، وبوصف هذه العوامل موصلات قضوية فإنَّ ((من أهم ميّزات الاقتضاء، أنَّه يقدم تفسيراً صريحاً لمقدرة المتكلم على أن يعني أكثر مما يقول بالفعل، أي أكثر ما يعبر عنه بالمعنى الحقيقي للألفاظ المستعملة))^(١)، لم يُردِّ الوائليّ بهذا العامل أن يُظهر مأساة لبنان، وما تعيشه من محنة الحرب الأهلية، لأنَّه شيءٌ واضح يعرفه القاصي والداني، إنَّما أراد أن يقول لمن يملكون القرار إنَّكم متجاهلون لأمر لبنان ومنغمسون في ملذاتكم .

الآن :

جاء في شرح المفصل (("الآن" ظرف من ظروف الزمان معناه الزمن الحاضر، وهو الذي يقع فيه كلام المتكلم الفاصل بين ما مضى، وما هو آتٍ، وهو مبني على الفتح))^(٢) ويدل على الحال، وكونه عاملاً حاجياً يأتي من حصره لزمان الإخبار، وحال المخبر عنه وقد وظف الوائليّ هذا العامل في واحد وعشرين موضعاً في شعره^(٣)، من ذلك قوله: [البحر الكامل]

وتظلُّ أنت كما عهدتُكَ نَغْمَةً لَلآنَ لَمْ يَرَقْ لَهَا تَلْحِينُ^(٤)

هذا البيت من قصيدة في حب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ويتجه معنى الخطاب نحو نتيجة مضمرة مفادها، أنَّ فضائل أمير المؤمنين لايدانيه فيها أحد، وقد زاد العامل الحاجي (الآن) من قوة قصد الخطاب، وتحديد وجهته؛ لأنَّ هذا العامل يتجاوز الزمن الماضي ليصل إلى زمن التكلم، قال الخليل: ((أمّا الآن فإنَّه يلزم السّاعة التي يكون فيها الكلام))^(٥)، وقد جعل الوائليّ من العامل الحاجي (الآن) في هذا التركيب دالاً على زمن التكلم وما يليه، وما يقوي من هذا التوجيه الحاجي وجود أداة النفي والجزم (لم) التي تنفي الماضي ويتصل نفيها بزمن التكلم .

كثير:

من المفردات التي تدل على نماء العدد^(٦)، وقد وردت في ثلاثة مواضع من شعر الوائليّ^(٧)، ومن ذلك قوله: [البحر الخفيف]

(١) محاضرات في فلسفة اللغة .د. عادل فاخوري : ٨.

(٢) شرح المفصل: ١٣١/٣.

(٣) ينظر ديوان الوائليّ : ٥٨، ٦١، ٦٤، ٧٤، ٨١، ١٠٠، ١١٥، ١١٧، ١٢٦، ١٢٨، ٢١٠، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٧.

٣٧١، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٨٠، ٤١١، ٤٤٣، ٥٢٢.

(٤) نفسه : ٨١.

(٥) كتاب العين : مادة: (الآن): ٤٠٤/٨.

(٦) ينظر: نفسه: مادة: (كثر) : ٣٤٨/٥.

(٧) ينظر: ديوان الوائلي : ١٦٩، ٤٣٣، ٤٣٧.

يا لَوْجِدِ الْهُدَى قُبُورُ بَنِي الزَّه (م) راءِ تَجْدِيدُ عَهْدِهَا مَمْنُوعُ
أَوْسُغُوهَا هَدَمًا وَهَجْرًا وَمَا زَا (م) لَتْ وَيُنْبِيكَ بِالْكَثِيرِ الْبَقِيعُ^(١)

إنَّ الخطاب الحجاجي خطاب تداولي مؤسس على موقف وقضية خلافية، و تتفاوت نسبة هذا الخلاف بحسب الموقف الذي ترتبط به، والوائلي ينتمي ثقافياً إلى مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، ومن المشقة أن يجد الإنسان مقدساته تحطم، وتهدم أمام ناظريه فقبور الأئمة هي قدس الأقداس، وقد أضفى العامل كثيراً على هذا الخطاب، توجيهاً إلى فعل أكثر من الهدم سيقع مستقبلاً، مستمداً هذا التوجيه من الفعل مازال الذي يدل على الاستمرار، فتعاقد الفعل مع العامل الحجاجي أعطى للخطاب دلالة استنتاج، هي أنَّ أعمال هؤلاء ما زالت مستمرة، وسيرى المسلمون منهم أعمالاً أكثر بشاعة من هذه.

حتماً :

قال أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) ((إِنَّ الْحَتْمَ إِمْضَاءُ الْحُكْمِ عَلَى التَّوَكُّدِ، وَالْإِحْكَامُ يُقَالُ حَتَمَ اللَّهُ كَذَا وَكَذَا وَقَضَاهُ قَضَاءً حَتْمًا أَيْ حُكْمًا بِهِ حُكْمًا مُوَكَّدًا))^(٢)، ويزيد العامل (حتماً) من تحديد، وتوجيه مقاصد المتكلم نحو النتيجة، فلفظ الحتم حينما يوجد في خطاب ما يكون دالاً على تأكيد القضية التي يدور حولها الخطاب، وقد ورد هذا العامل في موضعين من شعر الوائلي^(٣) من ذلك قوله: [البحر الكامل]

فَعَلِمْتَ أَنَّكَ نَائِلٌ مَا تَبْتَغِي حَتْمًا وَإِنْ يَكُ شُلُوكُ الْمَقْدُودَا^(٤)

المقصود في هذا البيت الإمام الحسين (عليه السلام)، والخطاب يحمل في طياته ما يفرق بين شخص يموت حتف أنفه، وآخر يلاقي الموت بروح مطمئنة، غير مترددة مسلمة تسليمًا لقضاء الله تعالى، والعامل الحجاجي هنا يشير إلى أنَّ الإمام (عليه السلام) يؤدي رسالة السماء، وإن كان ثمن ذلك العمل حياته؛ لأنه وجد في هذا الأمر واجباً لا بد من قضائه فالعامل الحجاجي في هذا الخطاب لم يحمل معنى التأكيد فحسب، بل حمل معنى الواجب الذي لا بد من أدائه، قال ابن منظور: ((الْحَتْمُ: اللَّازِمُ الْوَاجِبُ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْ فِعْلِهِ))^(٥)، فالحسين (عليه السلام) على يقين أنَّه بخروجه هذا مقتول لامحالة، لكنه خرج غير مبالٍ بالموت فكان هذا الخطاب مصداقاً لقوله (عليه

(١) نفسه: ١٦٩ .

(٢) الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري: تح: محمد إبراهيم سليم: ٢٢٥.

(٣) ينظر: ديوان الوائلي: ١٠٨، ٤٢٣.

(٤) نفسه: ١٠٨.

(٥) لسان العرب: مادة: (حتم): ١١٣/١٢.

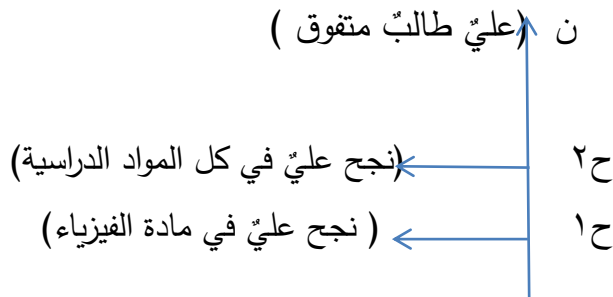
- السلام) ((خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة... كأني بأوصالي يتقطعها
عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلاء^(١)، فالعامل الحجاجي وجه معنى الخطاب إلى ما يأتي:
- ١- إنَّ الحسين (عليه السلام) عالم بمقتله ومتيقن منه.
 - ٢- لم يُثته أمر مقتله عن المضي في طريق الحق، فموته هو الخلود في الدنيا والآخرة.
 - ٣- وجه العامل الحجاجي الخطاب إلى بيان نُدرة الأشخاص الذين يتبنون مشاريع الإصلاح،
والذين يفضلون الموت بنبل على حياة الذُل.

المَبْحَثُ الثالث: السَّلاَمُ الحِجَابِيَّة :
مفهوم السلاالم الحجاجية :

(١) بحار الأنوار: ٤٤/٣٦٧.

يرتبط مفهوم السلم الحجاجي عند (ديكرو) بالنتيجة المستخلصة من الحجج المُقدّمة فالمتكلم يقدم (ح ١)، و (ح ٢) بوصفهما حُجَتين تُؤديان إلى نتيجة (ن)^(١)، وتتدرج هذه الحجج تبعاً لقوتها، من الحجة الضعيفة إلى القوية إلى الأكثر قوة؛ لذلك يُعرّف السلم الحجاجي بأنّه ((علاقة تراتبية للحجج))^(٢)، وما يحدد هذه التراتبية للحجج هو السياق الخطابي الذي تندرج فيه الحجج، والقصد الذي يبتغي المتكلم الوصول إليه؛ لأنّ السياق والقصد يُلزمان المتكلم بمراعاة ظروف التلفظ، ومدى استقبال المتلقي لهذه الحجج.

والحجج التي تتجه نحو نتيجة واحدة لاتتعدد فحسب، بل إنّها تتفاوت في قوتها التدليلية ويعلو بعضها على بعض، وهذا التفاوت في قوة الحجة عائدٌ إلى السلم الحجاجي^(٣) كقولنا: (نجح عليّ في مادة الفيزياء بتفوق)، و (نجح عليّ في كلّ المواد الدراسية بتفوق) فيكون ترتيب هذه الحجج في السلم الحجاجي ما يأتي :



يتضح من المخطط السلمي للحجج أنّ الحجة كلّما كانت أقوى اقتربت أكثر من النتيجة والحجتان تتوجهان لنتيجة واحدة هي: (عليّ طالب متفوق).

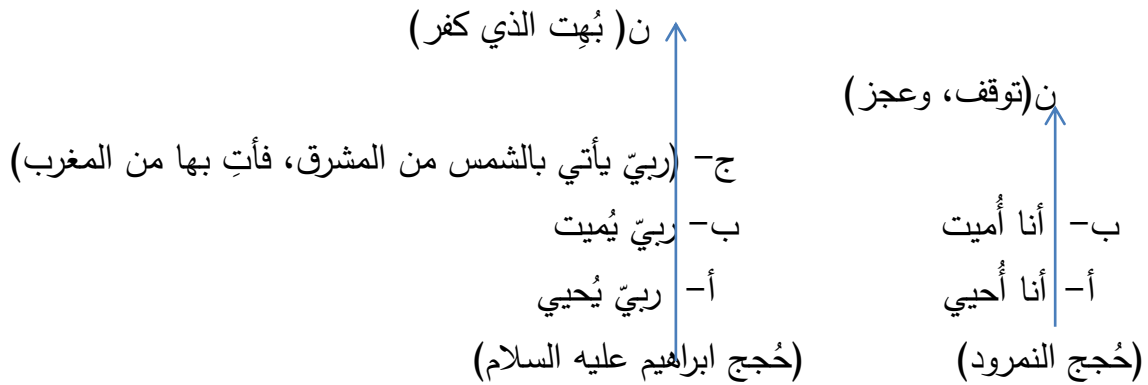
إنّ غياب مصطلح السلم الحجاجي في الدرس القديم لايعني أنّ العمل به كان غائباً، إذ يلحظ المتتبع لجهود القدماء وجود تفاصيل السلم الحجاجي، وتطبيقاته في كتب التراث ويبدو ذلك واضحاً عند المتكلمين و المفسرين، إذ لم يفت علماء التفسير الأوائل ما لتسلسل الحجج تبعاً لقوتها من أهمية في تدرج الحوار، وإثبات الرأي الصائب، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِي تَرَى إِلَى اللَّهِ دَرَجًا حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] قال: ((و

(١) ينظر: الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله: (بحث منشور) ٩٣.

(٢) الحجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) ٣٣.

(٣) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ٢٧٦.

كان الاعتراض عتيدياً ولكن إبراهيم لما سمع جوابه الأحق لم يحاجه فيه، ولكن انتقل إلى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب؛ لبيته أول شيء، وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة إلى حجة^(١)، نلاحظ أن الزمخشري جعل خطاب النبي إبراهيم (عليه السلام) في قبالة خطاب النمرود، وقد ارتقت حُجج النبي (عليه السلام) قوة؛ لأنها مؤسسة على بنية الواقع، ومسددة من الله تعالى ويمكن أن نمثل لها بالسلم الآتي :



يلحظ من الآية الكريمة أن محور الخطاب كان في إثبات الربوبية لله تبارك وتعالى ، وقد قابل النمرود الحجة بالحجة في بادئ الأمر، لكنه عجز عن مجارة الحجة الثالثة؛ لأنه أمرٌ لاسبيل إليه؛ فبُهِتَ وسكت عاجزاً، قال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): ((فلما علم عجزه وانقطاعه، وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بهت أي: أخرس فلا يتكلم، وقامت عليه الحجة))^(٢) وهذا أمرٌ لابد منه؛ لأن حُجَّةَ النبي كانت أقوى وأشد عليه، وهذا دليلٌ على وجود رؤية، أو أسس للسلم الحجاجي مطابقة لما جاءت نظرية الحجاج في العصر الحديث.

القوة الحجاجية :

يرى د. طه عبد الرحمن أن العلاقة التراتبية للحجج داخل السلم الحجاجي محكومة بشرطين أساسيين هما .

((١ - كُلُّ قولٍ يقع في مرتبةٍ ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته ، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

٢ - كُلُّ قولٍ

كان في السلم دليل على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى عليه))^(٣).

(١) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣٣٣/١.

(٢) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي :تح : سامي بن محمد سلامة: ٦٨٦/١.

(٣) اللسان والميزان أو الكوثر العقلي : ٢٧٧.

وهذان الشرطان فيما أرى يتعلقان بالقوة الحجاجية التي تحكم تسلسل الحجج داخل الخطاب الحجاجي، ويتصل مفهوم القوة الحجاجية بالسلم الحجاجي، إذ إنَّه علاقة تراتبية للحجج وهذه العلاقة تُبنى على أساسِ التفاوت في درجة القوة لكلِّ حُجَّة يأتي بها المتكلم^(١) والحديث هنا عن الخطاب اللغوي الطبيعي الذي يعتمد على تقديم حجة معينة، ثم يقدم حُجَّةً أخرى إن اقتضى المقام ذلك، وهو بذلك يخالف الخطاب البرهاني القائم على حججٍ قد لا تقبل الشك والجدل؛ لأنَّها قد تُقنع المتلقي من أول حُجَّةٍ يدلي بها المتكلم، وهذا الأمر جعل من الخطابات البرهانية خطابات متساوية، ومتكافئة في القوة، خلافاً للخطاب اللغوي الطبيعي الذي تتراوح حججه بين الضعف، والقوة مراعيةً بذلك سياق التلّفظ، واستقبال المتلقي للحجج وهذا ما جعل الخطاب اللغوي يخضع لما يُسمى ((إعادة البناء الموجه نحو المتلقي))^(٢) أي إعادة عرض الحجة على المتلقي بتغيير بناء الحجة أسلوبياً، أو بلاغياً، أو تداولياً بما يتناسب مع المقام وتقبل المتلقي؛ لأنَّ الحجاج اللغوي كما أسلفت لا إلزام فيه؛ ولأنَّه يعتمد على الملاءمة، وينطلق الخطاب الحجاجي من مبدأ إرادة إقناع المتلقي، فيعتمد على التدرج في قوة كلِّ حجة، حتى يصلَ بهذا التدرج إلى ما يُقنع به المُخاطَب، والاعتماد على الحجة الأقوى يعود إلى ما يسمى بالقوة الحجاجية، ومن أمثلة التدرج الحجاجي في شعر الواصل قوله: [البحر الخفيف]

خَلَقَ اللهُ رَحْمَةً وَجَمَالاً وَجَلالاً فَصَبَّها فِي سَفِيرِهِ
وَتَسامى بِصُنْعِهِ وَالنُّبْوا (م) تْ نَسِيحٌ مُمَيِّزٌ بِحَرِيرِهِ
وَبَرَاهُ لِيَمْسَحَ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ (م) رِ فَكَانَ الْمَسِيحُ فِي تَبْشِيرِهِ^(٣)

هذه الأبيات من قصيدة قالها في ميلاد روح الله، وكلمته، ونبيه عيسى بن مريم (عليه السلام)، وما يُلحظ في هذه الأبيات أنَّها حُجَجٌ مُتدرِّجة على وفق السلم الحجاجي، وقد ارتبطت جميعها بالنتيجة المُصرَّح بها في النهاية، ويمكن أن توضع في السلم الحجاجي تبعاً لقوة كلِّ حُجَّةٍ منها كما يأتي:

(ن) - () براه ليمسح الشر بالخير فكان المسيح في تبشيره

(١) ينظر: اللغة والحجاج: ١٣٠.

(٢) ينظر: نظرية نسقية في الحجاج المقاربة الذريعية الجدلية: ٣٨.

(٣) ديوان الواصل: ٢٦٩.

- ح٢- (تَسَامَى بِصُنْعِهِ وَالنُّبُوَاتُ نَسِيحٌ مُمَيَّرٌ بِحَرِيرِهِ)
ح١- (خَلَقَ اللَّهُ رَحْمَةً وَجَمَالاً وَجَلالاً فَصَبَّهَا فِي سَفِيرِهِ)

لقد جاءت الحجج متدرجة بحسب قوتها الحجاجية، فأخذت كلُّ حُجَّةٍ مرتبتها التي تناسبها في السلم الحجاجي، وهذا لايعني أنَّ الخطاب جاءَ بِحُجَجٍ ضعيفة، فكلَّ الحجج الواردة هي حجج قوية، لكنها تتفاوت في قوتها، فالحجة (ح١) أخذت المرتبة الأولى من السلم الحجاجي أما الحجة (ح٢)، وهي الأكثر قوة من سابقتها، فقد أخذت المرتبة الثانية من السلم تبعاً لقوتها، إذ إنَّها أقوى من سابقتها فكانت الأقرب إلى النتيجة المُصرَّح بها في الخطاب وأخذت موضعها في قمة السلم الحجاجي، وإذا عدنا إلى الشاهد سيتضح أنَّ الحُجَّتَيْنِ تُمَثِّلَانِ ما يأتي: (ح١) المسيح(عليه السلام) سفير الرحمة (ح٢) خلقه الله ليتسامى بالإنسان (ن) مجيء المسيح رحمة من الله إلى عباده؛ ليبدل الشر خيراً.

يتضح ممَّا تقدم أنَّ القوة الحجاجية مقوم أساسي تتجلى به درجة الحجاج، ومدى فعاليتها في إنجاز التأثير، والإقناع للوصول إلى النتائج، والقوة الحجاجية تُظهِرُ التدرج التصاعدي الذي تتخذه الحجج في تدعيمها للنتيجة المقصودة^(١).

قوانين السلم الحجاجي :

يمثل قانون السلم الحجاجي الصور التي تتشكل بها الحُجج في الخطاب الطبيعي ويخضع الخطاب الحجاجي بحسب ما يتضمنه من حُجج- إلى تراتبية سلمية تتخذ ثلاثة أشكال^(٢)، تمثل تدرج الحجج في الخطاب بحسب قوتها، وبحسب ترتيب المتكلم لها ومقصده من وراء ذلك، وتكون صور الحجج في داخل السلم الحجاجي بالصور الآتية :

١- الحجاج التصاعدي: في هذا النمط تتخذ الحُجج مساراً تصاعدياً^(*)، إذ يبدأ منشئ

(١) ينظر : مناهج الدراسات الأدبية الحديثة من التاريخ إلى الحجاج: ١٦٩ .

(٢) ينظر: الحجاج في الخطاب السياسي: د. عبد العالي قادا: ٣٧١.

(*) مما تجدر الإشارة إليه أنَّ الحجج تنتظم في السلم الحجاجي وفق علاقة تراتبية تتخذ ثلاثة أشكال، وقد ذهب أغلب الباحثين في الحجاج اللغوي إلى التزام الترتيب المنطقي الذي سار عليه الباحث د. طه عبد الرحمن في تقسيمه لقوانين السلم الحجاجي التي تمثل أشكال انتظام الحجج في الخطاب وفق التصور المنطقي إلى ثلاثة قوانين، قانون الخفض: و((مقتضى

الخطاب بإيراد الحجة الضعيفة، ثُمَّ الحجة القوية، ثُمَّ الأقوى^(١)، وتتخذُ الحُججُ وضعاً خاصاً يمكن أن يصنف على أنه نوع من المؤكّدات في الخطاب؛ لأنّ المُحاجج حين يستعمل هذا النوع من الحجاج يَسعى إلى ترسيخ دلالة كل حُجة في ذهن المتلقي، ما يُصعّبُ على المتلقي تجاهلها أو نسيانها^(٢)، ومثال ذلك:

ح ٢- (لأنّه فاق جميع شعراء عصره)

ح ١- (كان أبو الطيب المتنبي شاعراً مُجيداً)

ومن ذلك قول الأفوه الأودي: [البحر البسيط]

لا يَرشُدون وَلَنْ يَرعوا لِمُرشِدِهِمْ فَالْغَيِّ مِنْهُمْ مَعاً وَالْجَهْلُ مِيعَادُ^(٣)

نلاحظ من المثالين السابقين أنّ الحُجة الأولى تمثل إخباراً عن شيء، ولتتأكد هذه الحُجة يعتمد منشئ الخطاب إلى تعزيزها، وتأكيدا بحُجة ثانية، والحُجة الثانية هي التي تثبت سمة التصاعد، لأنّها أقوى من الحُجة الأولى، فالمثال الأول يرى أنّ المتنبي شاعرٌ متميزٌ، ثم يدعّم هذه الحُجة بدليل، أو حجة أقوى تعلل ذلك الرأي، وهي تفوقه على أقرانه من الشعراء. أمّا الأفوه الأودي فيرى أنّ رفض قومه للنصح والتزامهم بهذا الرفض، ناتج عن جهلهم وغيهم، فما يلحظ في عجز البيت أنّه حُجة تعليلية، وهي أقوى من سابقتها؛ لذلك ترتقي بالخطاب درجة في السلم، وردت الحجج في

هذا القانون أنّه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم فإنّ نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها ((، وقانون النفي الذي يقتضي : ((إذا كان القول دليلاً على مدلول معين، فإنّ نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله))، وقانون القلب الذي يقتضي ((إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإنّ نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول)) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: طه عبد الرحمن: ٢٧٧-٢٧٨. إنّ منطق اللغة الطبيعي ليس به حاجة إلى تلك الأساليب التي تقتل شفافية اللغة، وتتفني أثرها الجمالي والنفسي على المتلقي ولا تبتعد كثيراً إذا قلنا إنّ الحجاج على وفق نظرية (ديكرو) هو إنّ اللغة هي الحاملة لهذا الحجاج، والمنتجة له، والتحليل اللغوي وفق منهج الحجاج يتبنى رؤية وصفية للخطاب، من دون اللجوء إلى أساليب أخرى، ولا يحتاج أنّ نثقل الخطاب بتلك الأساليب التي تتماشى مع منهج آخر لأمع منهج الحجاج في اللغة؛ لذلك أثر الباحث أن يتبنى وجهة نظر صادرة من منهج وصفي تحليلي لترتيب الحجج في الخطاب يرى أنّها أقرب للغة منها إلى المنطق، وقد جاء هذا التقسيم اللغوي عند الباحث د. عبد العالي قادا، في كتابه الحجاج في الخطاب السياسي إذ قسم الباحث أشكال السلم الحجاجي إلى ثلاثة أقسام : حجاج تصاعدي ، وحجاج تنازلي، وحجاج تراكمي، لذا أتفق مع د. عبد العالي قادا في تقسيمه لدرجات الخطاب في السلم، وعملت على ما سار عليه في هذا الجانب .

(١) ينظر: الحجاج في الخطاب السياسي: ٣٧١.

(٢) ينظر: الحجاج في الخطاب السياسي: ٣٧١.

(٣) ديوان الأفوه الأودي: صلاة بن عمرو بن مالك اليميني: تح: محمد ألتونجي: ٦٤.

صورة سلم تصاعدي في شعر الوائلي في مائة وسبعة وأربعين موضعاً^(١) من ذلك قوله: [البحر الخفيف]

مَهْدُ عَيْسَى رَزِيَّةً حِينَ تُسْبَى عِنْدَ رِجْسٍ وَأَنْتَ لِلطُّهْرِ مَهْدُ
وَيُدَاسُ الْقِرَانُ فَوْقَكَ وَالْإِنْدَ (م) جَيْلٌ وَالضَّارِبُونَ عَجَلٌ وَقِرْدُ
صَمَتَ الْمُصْحَفِ الْمُرْتَلِّ وَالْقُدَّ (م) اسُ وَالْقُدْسُ لَارِحَالٌ تُشَدُّ
حَزَنَ ابْنِ الْبَتُولِ عَيْسَى لِقَتْلَى رُضِعَ عِنْدَ حَلَمَةِ الثَّدي أُرِدُوا
وَشَبَابُ بَرَاعِمٍ وَصَّابَا زَفَّهْمُ فِي مَوَاقِبِ الْغُرْسِ لَحْدُ
وَأَعَدَّ الرِّيحَانُ لَالسَّرِيرِ الـ(م) غُرْسٍ بَلْ لِلنَّعْشِ سَوَاهُ وَعَدُ^(٢)

يتضمن هذا الخطاب مجموعة من الحُجج سِيقَتْ لبيان ما اقترفته أيدي الصهاينة من عدوان في أرض فلسطين، وقتلهم الأبرياء، وانتهاك حرمة المسجد الأقصى، وكنائس المسيحيين، إذ عمد الشاعر إلى ترتيب هذه الحُجج بحسب قوتها، فلكل حُجة أثر أقوى من سابقتها، فكان ترتيبها في السلم على وفق الخطاطة الآتية :

- ن - (إِنَّ الصهاينة لايعبؤون لأي شيء غير أنفسهم)
ح ٤ - (حَزَنَ ابْنِ الْبَتُولِ عَيْسَى لِقَتْلَى رُضِعَ عِنْدَ حَلَمَةِ الثَّدي أُرِدُوا)
ح ٣ - (صَمَتَ الْمُصْحَفِ الْمُرْتَلِّ وَالْقُدَّاسُ وَالْقُدْسُ لَارِحَالٌ تُشَدُّ)
ح ٢ - (وَيُدَاسُ الْقِرَانُ فَوْقَكَ وَالْإِنْجِيلُ وَالضَّارِبُونَ عَجَلٌ وَقِرْدُ)
ح ١ - (مَهْدُ عَيْسَى رَزِيَّةً حِينَ تُسْبَى عِنْدَ رِجْسٍ وَأَنْتَ لِلطُّهْرِ مَهْدُ)

يُلَحَظُ أَنَّ الحُجج التي ذكرها الوائلي لم تتدرج في الخطاب بشكلٍ عشوائي، بل سِيقَتْ لتوضح

(١) ينظر: ديوان الوائلي: ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥٢، ٥٦، ٥٨، ٦٠، ٦٤، ٦٧، ٧٠، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٩، ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٤، ٩٨، ٩٩، ١٠٤، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٧، ١١٩، ١٢٨، ١٢٩، ١٤٢، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٧، ١٧٢، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٣، ١٨٨، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٦، ٢١٠، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٤، ٢٨٨، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣١٠، ٣١٣، ٣١٦، ٣٢٣، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٧، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٥١، ٣٦٠، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٩، ٣٨٩، ٣٩٢، ٣٩٥، ٣٩٨، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٦، ٤١١، ٤١٣، ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٩، ٤٣١، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٥٢، ٤٥٨، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٨١، ٤٨٦، ٤٨٨، ٤٩٥، ٥٠١، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٨، ٥١٠، ٥١٣، ٥٢٢، ٥٢٥.

(٢) ديوان الوائلي: ٤٠٦-٤٠٧.

حقيقة الصهاينة، ولكل حُجة منها نتيجة ضمنية، وتتشرك كل هذه الحُجج في نتيجة عامة وهي أن إرهاب الصهاينة في أرض فلسطين اتخذ صوراً شتى من دون رادع يردعه. وبالرجوع إلى الحُجة الأولى نجد أنها تشير إلى وقوع (كنيسة المهد) في يد الصهاينة، وهي معلم حضاري من معالم مدينة القدس، ولها في نفوس المسيحيين من القداسة، والقيمة الروحية مالها، ثم الحُجة الثانية التي تشير إلى إهانة الصهاينة للكتابيين المقدسين لدى الفريقين المسلمين، والمسيحيين وهما القرآن، والإنجيل، والذين قاموا بهذا الفعل هم من شرّ خلق الله، الذين لُعِنوا في كتابه وهم (عجلٌ وقرُد) إشارة إلى اليهود أي الذين عبدوا العجل والذين مُسخوا قردة، وخنازير.

أمّا الحُجة الثالثة فتشير إلى أن الصهاينة منعوا المسلمين من إقامة الصلاة في المسجد الأقصى، ومنعوا المسيحيين من إقامة القداس، ومما يُلحظ أن إحدى خصائص هذا النمط من السلم الحجاجي أنه يُبنى على حُجة محورية، وهي هنا احتلال الصهاينة لمدينة القدس وما بها من مقدسات، ويؤدي نقض هذه الحُجة أو نفيها إلى نفي مدلول الخطاب برمته، أي إذا كانت هناك حُجة تقول إن الصهاينة لم يدخلوا مدينة القدس، فإن دلالة الخطاب ستنتفي. ومن خصائص هذا النمط أن الحجج يستلزم بعضها بعضاً، فكل حُجة في الخطاب تستلزم ما قبلها^(١)، فإهانة الكتب المقدسة يستلزم أنهم دخلوا المقدسات عُنةً وبقوة السلاح، ومنع المسلمين والمسيحيين من إقامة شعائهم يستلزم أن الصهاينة لا يعبؤون لهذه الأديان، وقوله حزن ابن البتول حجة أقوى من كل الحجج الواردة في الخطاب، وهي دليل على مدى إسراف اليهود وامعانهم في قتل الأبرياء حتى لو كانوا أطفالاً.

يلحظ أن الحُجج تدرجت بحسب قوتها في خط متصاعد، فالاحتلال مثلته الحُجة الأولى، ثم إهانة المقدسات حُجة أقوى من الحُجة الأولى، والقمع وتقييد الحرية ومنع إقامة الطقوس الدينية، حُجة أقوى مما سبقها من الحُجج، ثم القتل وهي الحجة الأقوى التي اتخذت من قمة السلم مكاناً لها؛ لتكون الأقرب إلى النتيجة المقصودة من الخطاب.

٢- الحجاج التنازلي :

قد يُضطر المتكلم إلى إيراد الحُجة الأقوى عند توجيه الخطاب إلى متلقٍ ما؛ لأنه إذا وجه إليه الحُجة الضعيفة في الخطاب قد يَرُدّها المتلقي بحُجة أقوى، مما يجعل المتكلم يتخذ موقف المدافع بدل أن يكون هو من يوجه الخطاب، ويدير دفته نحو الوجهة التي يريد ويسمى الحجاج طبقاً لهذه النمط حجاجاً تنازلياً ((وهو حجاج من الأقوى إلى الأضعف تترتب فيه الحُجج تنازلياً،

(١) ينظر: آليات الحجاج وأدواته: (بحث) : ٩٧/١.

ويكتسي نجاعة حجاجية أكبر عند توجيهه إلى المُتلقي الشاك أو الجاحد الذي لا تتفع معه الحجج (الضعيفة في بداية الخطاب))^(١)، والحجاج طبقاً لهذا القانون يمثل (استراتيجية) خطابية، فالمتلقي إذا أذعن للحجة الأقوى أصبح من اليسير أن يُسلم للحجة الأقل قوة، ثمّ التسليم للحجة الأقل^(٢)، وقد ورد هذا النوع من السلم الحجاجي في شعر الوائلي في ثمانية وثلاثين موضعاً^(٣) من ذلك قوله [البحر الخفيف]:

فَهْنا يَبْعُثُ الْأَنْينَ جَرِيحٌ	وَهْنا يَلْفِظُ الْحِياةَ شَهِيدٌ
وَهْنا طِفْلَةٌ وَطِفْلٌ يَتِيمٌ	وَالْأَسَى وَالْحَرِمانَ وَالتَّشْرِيدُ
وَبَقايا أُمِّ بَرْتها الرِّزايا	بَبقايا حُطامِ رُوحِ تَجوُدُ
وَعلى صَدْرِها تَكوِّرَ طِفْلٌ	كُلُّ ما فِيهِ نابِضٌ وَوَرِيدُ ^(٤)

هذه الأبيات من قصيدة وصف فيها أحداث النكسة سنة (٩٦٧م)، وقد رتب الحُجج بحسب قوتها تنازلياً، فبدأ بالحجة الأقوى، ثمّ الأقل قوة، وصولاً إلى الحجة الأقل، ويمكن أن يوضع هذا الخطاب في السلم الحجاجي الآتي:

- ن - (ضعف العرب في دفاعهم عن أنفسهم أوصلهم إلى هذه النتائج الأليمة والمفجعة)
- ح ٤ - (وعلى صَدْرِها تَكوِّرَ طِفْلٌ كُلُّ ما فِيهِ نابِضٌ وَوَرِيدُ)
- ح ٣ - (وَبقايا أُمِّ بَرْتها الرِّزايا بَبقايا حُطامِ رُوحِ تَجوُدُ)
- ح ٢ - (وَهْنا طِفْلَةٌ وَطِفْلٌ يَتِيمٌ وَالْأَسَى وَالْحَرِمانَ وَالتَّشْرِيدُ)
- ح ١ - (فَهْنا يَبْعُثُ الْأَنْينَ جَرِيحٌ وَهْنا يَلْفِظُ الْحِياةَ شَهِيدُ)

يلحظ أنّ الحُجج الواردة في الخطاب تدرجت من الحجة الأقوى التي بدأت بتصوير مشهد الجرح، والموت، ثمّ جاءت الحجة الأقل قوة، وهي صورة الأيتام والتشرد، ومهما يكن من قوة هذه الحجة إلاّ أنّها لاتصل إلى صورة الموت والقتل الذي صورته الحجة الأولى، ثمّ الحجة الثالثة التي تصور الحزن والخوف والألم، عندما يقع على امرأة، وهي كائن ضعيف لاطاقة له على ذلك، وهي حجة أقل من سابقتها قوة، فالمرأة أكثر قوة من الطفل في تحمل موقف مثل هذا، أمّا الحجة الرابعة وهي الأكثر ضعفاً بين الحُجج فتمثلها صورة الطفل الجائع الذي تعلق بما يمدّه بالحياة، لكنّه

(١) الحجاج في الخطاب السياسي: ٣٧٣.

(٢) ينظر: نفسه: ٣٧٣.

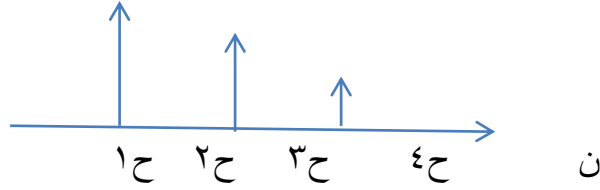
(٣) ينظر: ديوان الوائلي: ٤٧، ٥٣، ٥٤، ٦٥، ٦٦، ٧٢، ٨٨، ١٠٦، ١١١، ١١٦، ١٤٣، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٥، ١٦٨،

١٦٩، ١٧٢، ١٨٦، ١٩٠، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٤، ٢١٢، ٢١٨، ٢٢١، ٢٣٩، ٢٥١، ٢٧٠، ٢٧٥، ٢٧٩، ٢٨٦، ٣٠٠،

٣٠٧، ٣١٢، ٣١٩، ٣٦٢، ٣٨٤، ٤١٢.

(٤) ديوان الوائلي: ٢٦١-٣٦٢.

وجدتها أكثر منه جوعاً، وهي حُجَّة أضعف من كل الحُجج؛ لأنَّ الجوع قد ينقضي في أي وقت.



يُشير المخطط إلى مسار الحُجج في الخطاب الحجاجي التنازلي الذي يبدأ من الحُجَّة القوية إلى الحُجَّة الأقل قوةً حتى يصلَ إلى الحُجَّة الأضعف، وهو بعكس الحجاج التصاعدي في بدايته، ونهايته، ففي الحجاج التصاعدي تكون الحُجَّة الأقوى هي الأقرب إلى النتيجة، في حين تكون الحُجَّة الأقوى هي الأبعد عن النتيجة في الحجاج التنازلي .

٣- **الحجاج التراكمي** : يسمى الحجاج طبقاً لهذا النمط حجاجاً تراكمياً ويعرّف هذا النوع من الحجاج أنّه الخطاب ((الذي تتعدد فيه الحُجج وتتراكم دون مراعاة لمبدأ التدرج من الأقوى إلى الأضعف أو العكس، ودون مراعاة التفاوت الحاصل في القوة التدليلية لتلك الحُجج، فكل حجة تكون أقوى، وأكثر فعالية في اللحظة التي تستعمل فيها، وهو أكثر عفوية، وتلقائية من النوعين السابقين))^(١) إنّ الحجج طبقاً لهذا النمط والسلمية التي تربت فيها داخل السلم تشير إلى نوع من الاستقلال لكل حجة واردة في الخطاب والدليل على ذلك أنّ نقض أو نفي أي حجة من الحُجج الواردة في الخطاب لا يستلزم نقض الحجة التي تقع في مرتبة أعلى^(٢)، أو أسفل منها، وقد ورد الحجاج التراكمي في شعر الوائليّ في ستة وستين موضعاً^(٣)، ومن أمثله في شعر الوائليّ قوله: [البحر الخفيف]

وَصِغَارٌ بِرَاعِمٍ وَجْهُهُمْ لِلـ (م) أُمٌّ يَبْدُو بِهِ الْمُنَى وَالْعِيدُ
يَطْفَحُ الْبِشْرُ بِالسَّمَاتِ وَيَزْهَوُ بِالْخُدُودِ الْبَرِيقِ وَالنَّوْرِيدُ
مَسَحَتْهُمْ كَفُّ النَّبِيِّ بَنُورٍ فَمِنْ الْجَدِّ مَا رَوَاهُ الْحَفِيدُ
هَضَرَ الْيَتَمُ عَوْدَهُمْ فَأَلْحَوْا يَسْأَلُ الْأُمَّ عَنْ أَبِيهِ الْوَلِيدُ

(١) الحجاج في الخطاب السياسي: ٣٧٤.

(٢) ينظر: آليات الحجاج وأدواته : (بحث منشور) : ٩٨/١.

(٣) ينظر: ديوان الوائليّ: ٥١، ٨١، ٩٢، ١١٣، ١١٦، ١٢١، ١٢٣، ١٣٠، ١٤٨، ١٦٦، ١٦٧، ١٧١، ١٧٥، ١٧٦،

١٨٤، ١٩٠، ٢٠٦، ٢١٠، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٤٣، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٦،

٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٨، ٢٩٤، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣١٧، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٣، ٣٣٧، ٣٤٦، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٩، ٣٧٢،

٣٧٦، ٣٨٨، ٣٩٣، ٤٢٢، ٤٣٠، ٤٣٦، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٥٥، ٤٦١، ٤٦٤، ٤٧٤، ٤٨٠، ٤٨٣، ٥٠١، ٥٠٦، ٥١٨.

سَأَلَ الْقَيْدُ هَلْ أَوْلَاءٌ صِغَارٌ أَمْ هُمْ فِي الْأَغْلَالِ دُرٌّ نَضِيدُ^(١)

هذه الأبيات من قصيدة كتبها في ذكرى استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) ذكر فيها مأساة كربلاء وما جرى على آل بيت الرسول (ﷺ) وفي هذا الخطاب يصور الوائلي حالة الأطفال في السبي، في تدرج حجاجي يمكن أن توزع حججه وفق السلم الآتي:

- ح ٥- (سَأَلَ الْقَيْدُ هَلْ أَوْلَاءٌ صِغَارٌ أَمْ هُمْ فِي الْأَغْلَالِ دُرٌّ نَضِيدُ)
- ح ٤- (هَصَرَ الْيَتَمَ عُودَهُمْ فَأَلْحَوْا يَسْأَلُ الْأُمَّ عَنْ أَبِيهِ الْوَلِيدُ)
- ح ٣- (مَسَحَتْهُمْ كَفُّ النَّبِيِّ بَنُورٍ فَمِنْ الْجَدِّ مَا رَوَاهُ الْحَفِيدُ)
- ح ٢- (يَطْفَحُ الْبِشْرُ بِالسَّمَاتِ وَيَزْهَوُ بِالْخُدُودِ الْبَرِيقُ وَالتَّوْرِيدُ)
- ح ١- (وصِغَارٌ بِرَاعَمَ وَجْهُهُمْ لِلْأُمِّ يَبْدُو بِهِ الْمُنَى وَالْعِيدُ)

طبقاً لهذا النمط من السلم الحجاجي فالحُجج الواردة في السلم هي حُجج تراكمية تتفق في أنها تتجه نحو قضية واحدة هي: وصف وبيان حالة أيتام وسبايا آل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد معركة الطف، ويمكن أن يشكل هذا الاتفاق إطاراً دلالياً عاماً لهذه الحجج، ولكن طبقاً لقانون القلب فإن أي نقض لأي حجة من هذه الحجج لا يشكل نقضاً للحجة التي تعلوها مرتبة في سلم الحجاج وليس هذا فحسب، بل إنَّ تبديل أي حجة في مكان الحجة الأخرى لا يشكل فرقاً دلالياً لتسلسل هذه الحجج في الخطاب، وقد عُرِفَ الشعر العربي القديم بهذه الصفة، إذ يُشكل البيت الواحد وحدة دلالية قائمة بذاتها، لا ارتباط له بما يسبقه، ولا ما يتبعه^(٢)، ومما يلحظ في هذه الحُجج من دليل على استقلالها هو أنها تكاد تخلو من الروابط فيما بينها، مما يعزز صفة الاستقلال الدلالي لكل بيت-حجة- في القصيدة .

مظاهر السلم الحجاجي في شعر الوائلي :

إنَّ الصبغة الحجاجية، وما تحتويه من عوامل إقناعية تبدو واضحة جلية في شعر الوائلي، فهو خطيب، وفقيه، وأكاديمي، والتنوع العلمي الذي اكتسبه الوائلي أضفى على قدرته اللغوية، والبيانية، والأسلوبية قوة أكبر، وهو أمرٌ جعله يوظف هذه الإمكانيات في معالجة قضايا الأمة،

(١) نفسه: ١١٣-١١٤ .

(٢) ينظر: وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي: حياة جاسم: ٢٦٩.

وكانت معالجته لأكثر القضايا تأتي على شكل حجج متدرجة على وفق السلال الحجاجية، ويبدو أنَّ سمة الخطابة ألفت بظلالها على شعره فبدت أكثر وضوحاً في هذا الجانب؛ إذ إنَّ الخطيب يهدف إلى إقناع متلقيه، ويعتمد على التدرج بتقديم الحجة بعد الحجة، ويدعم خطابه بتقوية كلِّ حُجَّة، وجعلها أكثر تأثيراً من سابقتها، حتى تأتي في صورة سلم حجاجي، وتتجلى مظاهر السلم الحجاجي في شعر الوائلي بثلاثة أساليب هي :

١- تدرج الحجج بصيغة (أفعل التفضيل).

٢- تدرج الحجج بالروابط التي تدرج حججاً قوية .

٣- القياس الضمني .

١- صيغة أفعل التفضيل :

من الصيغ التي تدل على المقارنة، وتقديم الشيء على غيره^(١)، وهذا في الحجاج يدل على ارتقاء المرتبة الحجاجية للموصوف بهذا التفضيل، قال السكاكي: ((وأفعل التفضيل يخص الثلاثيات المجردة الخالية عن الألوان، والعيوب المبنية للفاعل، نظير فعلي التعجب وله معنيان: أحدهما إثبات زيادة الفضل للموصوف على غيره، والثاني إثبات كل الفضل له))^(٢)، وقد تأتي دالة على القدر والذم كما في قولنا مثلاً: (خالدٌ أحبُّ الناسِ)، وتأتي صيغة (أفعل) لتدل على معنى المفاضلة بين شيئين مثل قولهم: (العدلُ أفضلُ من الظلم)، أو بين شخصين، مثل قولنا (عليٌّ أكرمُ من زيد)، وقد يعتمد المتكلم مع صيغة (أفعل) على حيلة لغوية تجعل دلالة قوله فضفاضةً؛ لينأى بنفسه عن العواقب المترتبة عن قوله، فيعتمد بعض الألفاظ مثل (آخر) و(غير) مثلاً: (عليٌّ أذكى من غيره)، و(زيدٌ أفضلُ من أي شخصٍ آخر)^(٣).

وهنا أحاول إثبات ما لهذه الصيغة من دلالة في تدرج الحجج، وارتقائها من الأدنى إلى الأعلى، ومثال ذلك (عليٌّ أشجعُ من خالدٍ، وخالدٌ أشجعُ من أحمد)، فهذه الحجج تدل على نتيجة مفادها أنَّ علياً أشجعُ منهما، ولبيان اتجاه الحجج نحو النتيجة المقصود إليها بأفعل التفضيل في المثال السابق، يكون التدرج السلمي لها على النحو الآتي :

١- (عليٌّ أشجعُ منهما)

ح ٢ - (خالدٌ أشجعُ من أحمد)

ح ١ - (عليٌّ أشجعُ من خالدٍ)

(١) قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب: محمد محمد يونس علي: ٥٩.

(٢) مفتاح العلوم: ٥١.

(٣) ينظر: آليات الحجاج وأدواته (بحث منشور): ١/١١٨.

وقد وردت صيغة أفعل التفضيل في ستين موضعاً^(١) في شعر الوائلي، ومنها قوله: [البحر الطويل]

فَلَيْسَتْ دِمَانًا سِلْعَةً تَشْتَرُونَهَا وَمَا لِلدِّمَاءِ أَثْمَانٌ عِنْدَ ذَوِي اللَّبِّ
وَلَا لُعْبَةً يَلْهُو بِهَا مُتَبَيِّرٌ فَإِنَّ مَكَانَ الدِّمِّ أَسْمَى مِنَ اللَّعِبِ^(٢)

هذان البيتان من قصيدة عنوانها (سماسرة الحرب) قالها منتقداً فيها (الأمبريالية) الغربية ومن يسيرون في ركبتها من الحكام الذين يتاجرون بدماء الشعوب.

يعتمد المحاجج على آليات خطابية خَطَطَ لها مسبقاً؛ لتتلاءم مع المغزى الحجاجي للخطاب، ولتكون أكثر قبولاً عند المستمعين، وتشق طريقها نحو الإقناع، ومن هذه الآليات كشف حُجج الخصم، والردُّ عليها، ويكون هذا الكشف إما بإظهارها ضمناً أو صراحة^(٣)، وقد جاءت الحجج في الخطاب السابق كاشفةً عن إظهارٍ ضمني لحجج الخصم، و تدرجها في السلم الحجاجي جاء بحسب الرد على حُجج الخصم، فيكون ترتيبها في السلم على النحو الآتي:

ن (مَكَانَ الدِّمِّ أَسْمَى مِنَ اللَّعِبِ) ↑
ح ٢ - (وَلَا لُعْبَةً يَلْهُو بِهَا مُتَبَيِّرٌ)
ح ١ - (لَيْسَتْ دِمَانًا سِلْعَةً تَشْتَرُونَهَا)

جاء خطاب الوائلي في صورة ردٍّ عن حُججٍ قُدِّمَتْ ضمناً في الخطاب، فجعل المحاور، أو الخصم في مقام من عرض عليه شراء أرواح الناس، وإدخالها في حربٍ ضروس كما يفعل أباطرة الرومان الذين كانوا يستمتعون برؤية المقاتلين يقتل بعضهم بعضاً للمتعة فقط لا لشيء آخر، وقد جاءت الحجة المتضمنة لـ(أفعل التفضيل) في أعلى السلم؛ لأنها تمثل الرادع الأكثر قوة في رد حُجج الخصم، و تمثل الجسر الدلالي المؤدي إلى النتيجة المضمرة في الخطاب، وهي أن: (دم الإنسان لا يقدر بثمن).

٢- الحجج التي تتضمن روابطاً مدرجة للحجج القوية :

(١) ينظر: ديوان الوائلي: ٤٨، ٥٦، ٥٨، ٦٦، ٧١، ٨١، ٨٢، ٨٧، ٩١، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٠٦، ١١٢، ١٢٦، ١٤٣، ١٥٠، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٤، ١٦٧، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٩٩، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٥٨، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٦، ٣٠٧، ٣١٤، ٣١٧، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٤١، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٦٤، ٣٦٧، ٣٧٣، ٣٧٩، ٣٨٧، ٤١٤، ٤٤٠، ٤٨٢، ٤٩٣، ٥١١، ٥٢٣.

(٢) ديوان الوائلي: ٢٢٥-٢٢٦.

(٣) ينظر: الحجاج في الخطاب السياسي: ٢٢١.

من المؤشرات الحجاجية في الخطاب وجود الروابط الحجاجية التي تعمل على ربط الحجج بالنتائج، أو ربط الحجج مع بعضها، ولكل رابط من هذه الروابط ما يميزه من غيره من الروابط، ويتضح ذلك من تتبع السياقات التي تردُّ بها تلك الروابط ؛ والروابط الحجاجية لاتستقل بدلالة معينة، إنّما تتحدد دلالتها داخل الخطاب تبعاً للسياق الذي ترد فيه، وبحسب الدراسات اللغوية في منهج الحجاج قُسمت هذه الروابط على أقسامٍ متعدّدة، ومنها الروابط التي تدرج حججاً قوية، ومن هذه الروابط (حتّى) إذ يدلُّ هذا الرابط على قوة الحجة بعده لاسيما إذا كان ما بعده متعلقاً بما قبله، والحجة التي تأتي بعده هي آخر ما في جعبة المتكلم من الحجج التي يعزز بها النتيجة المقصودة، وفي ذلك يقول د. أبو بكر العزاوي: ((الأداة حتى تقدم الحجة القوية باعتبارها الحجة الأقوى من كل الحجج، وباعتبارها الحجة الأخيرة التي يمكن تقديمها لصالح النتيجة المقصودة ((^(١)، كقول أحدهم في بيان حالة رجلٍ مسكين: (هذا الرجل مسكين فقد تركه جيرانه، وأقرباؤه، حتى أبناءه)، فالحجج الواردة في الخطاب متدرجة بحسب قوتها في السلم الحجاجي، لكن الحجة الأقوى هي التي وقعت بعد (حتى) وهي تخدم نتيجة واحدة هي (عقوق الأبناء لوالدهم)، ويدل المثال السابق على ما لهذا الرابط من مساهمة فعالة في إنشاء خطاب حجاجي متدرج وفق سُلّم حجاجي يَنْتَقِل من الحجة الضعيفة إلى الحجة القوية، ومن الحجة القوية إلى الحجة الأقوى، ومن تجليات هذا الرابط في شعر الوائليّ قوله: [البحر البسيط]

وَسَاءَلِ الصَّبْحُ عَنْ وَجْهِ بِبِسْمَتِهِ مَا غَامَ فِي وَجْهِ مُرْتَادٍ وَلَا اِكْتَابَا
يُنْمُ عَنْ طَهْرِ نَفْسٍ مِنْكَ لَا عَقْدُ فِيهَا وَرَبَّةَ نَفْسٍ أُفْعِمْتَ شَغْبَا
رَوَّضَتْهَا فِي مَسَارِ اللَّهِ فَارْتَفَعَتْ وَأَوْغَلَتْ فِيهِ حَتَّى اجْتَازَتْ الْحُجْبَا^(٢)

هذان البيتان من قصيدة نظمها الوائليّ في تأبين الشيخ أحمد المظفر.

ويشتمل هذا الخطاب على مجموعة من الحجج التي صنفها الوائليّ بحسب قوتها، وأخذ يرتقي بها من الأدنى إلى الأعلى؛ لتؤدي مغزى الخطاب، وهو إظهار ما لهذه الشخصية من مزايا جعلتها ترتقي إلى مصاف الأولياء، وتبعاً لمسار الخطاب يكون ترتيب الحجج فيه على النحو الآتي:

ن (خُلِقَ، ودينك، وعلمك جعلك ترتقي إلى عالم الملكوت)

ح ٤ - (أَوْغَلَتْ فِيهِ حَتَّى اجْتَازَتْ الْحُجْبَا)

ح ٣ - (رَوَّضَتْهَا فِي مَسَارِ اللَّهِ فَارْتَفَعَتْ)

(١) اللغة والحجاج: ٨٥.

(٢) ديوان الوائلي: ٤٨٨.

ح٢- (طُهرَ نفسٍ مِنْكَ لَا عُقْدَ فِيهَا)

ح١- (وَجْهٌ مَبْتَسِمٌ مَا غَامَ فِي وَجْهِهِ مُرْتَادٍ وَلَا اِكْتَابًا)

يلحظُ من التدرج السلمي أَنَّ الحجاج اتخذت مسارها تصاعدياً ليس من حيث قوتها الحجاجية فحسب، بل بدلالاتها المتضمنة في الخطاب إذ((إِنَّ الْحِجَاجَ فِي أَغْلَبِ الْأَحْيَانِ يَكُونُ ضَمْنِيًّا خَفِيًّا))^(١)، والدلالة المتضمنة فيه هي الارتقاء من العالم الأرضي الملموس المحدود إلى السماوي المطلق، وهذا الأمر هو مغزى الخطاب، وما يهمُّ هنا هو بيان ما للرباط الحجاجي (حتى) من أثرٍ في هذا الارتقاء، وصولاً إلى قمة السلم الحجاجي إذ تمثلُ الحجة التي تقع بعد هذا الرابطة أقوى حجة يأتي بها المتكلم ليضمن وصول خطابه إلى مرحلة الإقناع، لاسيما إذا كان ما قبلها مرتبطاً بما بعدها، وقد جاءت هذه الحجة مطابقة للشرط المذكور، فالحجة التي قبلها (رَوَّضَتْهَا فِي مَسَارِ اللَّهِ فَارْتَفَعَتْ) مع أَنَّها تتكون من حجة و رابط هو الفاء الذي يدل على السبب، ونتيجة، إِلَّا إِنَّهَا تمثل حُجَّةً واحدة، وهي مرتكز اتكأَتْ عَلَيْهِ الحجةُ التي بعد الرابطة (حتى)، ومعنى هذا أَنَّ ما قبل (حتى) مرتبطٌ بما قبلها فهو أراد أن يقول: (روضت نفسك في طريق الله، فأوغلت بالدخول في ذلك الطريق حتى بلغت خرق الحجب، ووصلت إلى العالم الملكوتي) فسعيها في طريق الله هو من أوصلها إلى تلك المرتبة، وهنا يتضح الدور الحجاجي للرباط (حتى) في تسير الحجاج في مسارٍ سلمي ارتقى بالحجاج من الحُجَّةِ القوية، إلى الحجةِ الأقوى، إلى الأكثر قوةً .

٣- القياس الضمني:

يُعدُّ القياس الضمني من أساليب الحجاج شبه المنطقية، والأصل فيه ذكر مقدماته ونتائجه^(٢) لكنَّه في الخطاب الطبيعي يتعرض لحذف أحد أطرافه؛ وذلك لدلالة المذكور من أجزاء الخطاب على المضمرة، ويقوم هذا النوع من الخطاب على مقدمتين ونتيجة، ويُمثَّلُ له بالآتي: (مقدمة كبرى + مقدمة صغرى = نتيجة).

وقد يبقى الخطاب محتفظاً بمقدمتيه، ونتيجته إذا تطلب السياق ذلك، وربما ليكون أكثر قبولاً وإقناعاً للمتلقى، وهي (استراتيجية) حجاجية يلجأ إليها المتكلم؛ ليجعل من مقدمات الخطاب

(١) الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه: ٤٣٨.

(٢) ينظر : الحجاج في الخطاب السياسي: ١٨١ والنص والخطاب والإتصال: ٢٢٢.

والنتيجة التي يؤول إليها من المُسلّمات، ومثال على ذلك الشعار الذي رفعه الفرنسيون ضد الاحتلال النازي، إذ كان الخطاب مبنياً على القياس الضمني، فتكون هذا الشعار من مقدمتين ونتيجة، ذُكرتْ مقدمته الكبرى وهي قولهم: (الأقوياء ينتصرون)، وأُضْمِرَتْ مقدمته الصغرى وهي: (نحن أقوياء)، ونتيجته التي هي: (إذن نحن منتصرون)^(١).

إنَّ إظهار المقدمات، والنتيجة هي من الحالات الخاصة في المنطق الطبيعي، والأكثر أنْ يعتمد المتكلم إلى حذف طرفٍ، أو طرفين من الخطاب المؤسس على القياس الضمني ويعتمد على قدرة المتلقي، وكفاياته الثقافية واللغوية في إدراك الجزء أو الأجزاء المضمرة^(٢) من الخطاب، ولأنَّه إحدى آليات السلم الحجاجي فهذا يرجع إلى خاصية التدرج التي ينتقل عبرها الخطاب من المقدمة الكبرى إلى الصغرى، ثم يصل إلى النتيجة، وكلُّ انتقالٍ من مقدمة إلى مقدمة يمثل ارتقاءً من درجةٍ إلى درجةٍ في السلم الحجاجي، وقد أعمل الوائليّ الأسلوب شبه المنطقي في شعره في سبعة عشر موضعاً^(٣)، ومن تمثلات القياس الضمني في شعره قوله: [البحر البسيط]

فَأَنْتَ نَفْسُ رَسُولِ اللَّهِ وَهُوَ بِلَا مِرَاءٍ أَثْمُنُ مَخْلُوقٍ وَمَوْجُودٍ^(٤)

هذا البيت من قصيدة طويلة نَظَمَهَا بمناسبة يوم الغدير، وفي هذا المقام أراد أن يثبت أحقية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في خلافته لرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، مُسْتَدِداً إلى قوله تعالى: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١]، قال السيوطي في تفسيره لهذه الآية، وفي سبب نزولها: ((قَالَ جَابِر: فِيهِمْ نَزَلَتْ ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ الآية قَالَ جَابِر: أَنْفُسَنَا، وَأَنْفُسَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلِيٌّ وَأَبْنَاءَنَا الْحَسَنُ، وَالْحُسَيْنُ وَنِسَاءَنَا فَاطِمَةُ))^(٥).

لقد كان اختيار الوائليّ للحجج، وما تضمنته من نتائج اختياراً موفقاً، وقد تدرجت هذه الحجج لتصل إلى نتيجة قصدها الوائلي في خطابه، مستندا في هذا التدرج إلى القياس الضمني، وعلى وفق هذا يكون التدرج السلمي على النحو الآتي:

(١) ينظر: مدخلٌ إلى الحجاج افلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان: (بحث منشور): ٣٠.

(٢) ينظر: الحجاج في الخطاب السياسي: ١٨٢.

(٣) ينظر: ديوان الوائلي: ٤٨، ٥٢، ٥٣، ٩٢، ١٠٠، ١١٢، ١٢٠، ١٢٩، ١٥٢، ١٥٦، ١٨٣، ٢٥٨، ٢٦٦، ٣٧٣، ٤٥٨، ٣٩٢، ٣٨٣.

(٤) نفسه: ٦٦.

(٥) الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي: ٢/٢٣١.

أ- (رسول الله أثمن موجود) ب- (عليّ نفس رسول الله) ت- (عليّ أثمن موجود) ث- (رسول الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم) ج- (عليّ نفس رسول الله) ح- (عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم) (النتيجة) (عليّ أولى الناس بالخلافة بعد رسول الله)، ويكون يدرج الحجج في السلم الحجاجي على وفق الخطاطة الآتية:

- (ن) (عليّ أولى الناس بالخلافة بعد رسول الله)
- ح ٦- (عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم)
 - ح ٥- (عليّ نفس رسول الله)
 - ح ٤- (رسول الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم)
 - ح ٣- (عليّ أثمن موجود)
 - ح ٢- (عليّ نفس رسول الله)
 - ح ١- (رسول الله (ﷺ) أثمن موجود)

اعتمد الوائليّ في خطابه على مقدمة كبرى ظاهرة في الخطاب، وهي قوله: (رسول الله (ﷺ) أثمن موجود) ومقدمة صغرى تمثلت بقوله: (أنت نفس رسول الله) وأخفى النتيجة التي يمكن استنتاجها من المقدمتين وهي: (أنت أثمن موجود)، والخطاب موجهٌ إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهذا الخطاب بمقدمتيه ونتيجته كان أساساً لخطابٍ مضمّر في القصيدة التي بدأت عتبتها بعنوان (غدير علي)، ويدلُّ هذا العنوان على خطاب بصيغة القياس المضمّر تأسس على الخطاب الأول، وهذا الأمر من الوسائل الحجاجية المعروفة، يقول د. محمد العبد: ((بدهي أنّ كاتب الحجاج لا يعرض أقواله دائماً في الصياغة والترتيب المباشرين كالنموذج القياسي التقليدي، بل كثيراً ما يخالف في الترتيب، ويزيد في العبارة بأحد الأقوال وربما توزعت أقوال القياس على مساحات شتى من النص، ولكنّ القارئ الذي ينبغي له أن يبذل مع النص الحجاجي جهداً خاصاً لن يعسر عليه معرفة الصلات بين تلك الأقوال وإن تناءت))^(١)، ضمّن الوائليّ قصيدته إشارات

(١) النص والخطاب والاتصال: ٢٢١.

إلى ماجرى في يوم (غدير خُم) حين وقف الرسول الأكرم (ﷺ)، وأمر المسلمين بالبيعة لعليّ (عليه السلام) بإمرة المؤمنين، وهذا الأمر غير مقتصر على روايات الإمامية، فقد رواه جمعٌ من أهل الحديث من المذاهب الأخر ومن ذلك: ((شَهِدْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الرَّحْبَةِ يَنْشُدُ النَّاسَ: أَنْشُدُوا اللَّهَ مَنْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ لَمَّا قَامَ فَشَهِدَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَقَامَ اثْنَا عَشَرَ بَدْرِيًّا، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَحَدِهِمْ فَقَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّا سَمِعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍ: أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَأَزْوَاجِي أُمَّهَاتُهُمْ فَقُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ))^(١).

ما أشرت إليه من خطاب مضمّر اعتمد على القياس والتدرج السلمي، على المتلقي أن يستنتج ويستخلص هذه المقدمات والنتائج من الخطاب، ومن عنوان القصيدة وما تضمنته في طياتها، فيكون ذلك الخطاب على وفق ما أوضحت في المخطط السابق ويكون ترتيب الحجج في صورة مقدمتين، ونتيجة على النحو الآتي:

(رسول الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم) مقدمة كبرى مضمرة (عليّ نفس رسول الله) مقدمة صغرى ظاهرة، (عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم)، نتيجة مضمرة، عمدَ الوائلي إلى هذا الأسلوب معتمداً على الكفاية الثقافية والمعرفية للمتلقي، فبهذه الكفاية استطاع الوائلي أن يوجه خطاباً حجاجياً مدعماً بالوسائل الإقناعية التي لا يمكن ردها، وهذه الوسائل مُسلم بها من كل الأطراف، وهي:

١- القرآن الكريم.

٢- النقل، ويتمثل بالأحاديث النبوية الصحيحة السند .

٣- الاستنتاج العقلي الذي يعتمد على القياس الضمني .

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: (ت ٢٤١هـ): تح: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد وآخرون ٢/٢٦٩، وينظر: سنن ابن ماجه (ت ٢٧٣هـ): تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون: ١/٨٤، و فضائل الصحابة: أحمد بن حنبل: تح : د. وصي الله محمد عباس: ٢/٥٦٩.

٠ الفصلُ الثاني : الحِجَاجُ التَّدَاوُلِي

٠ المَبْحَثُ الأولُ: الأَفْعَالُ الكَلَامِيَّةُ المَبَاشِرَةُ

٠ المَبْحَثُ الثاني: الأَفْعَالُ الكَلَامِيَّةُ غَيْرُ المَبَاشِرَةِ

٠ المَبْحَثُ الثالثُ: الاسْتِـلْزَامُ الحِوَارِي

توطئة:

نشأة الدراسات التداولية:

مثلت الدراسات التداولية اتجاهاً مغايراً لما كان سائداً من دراسات لغوية، فبعد أن كانت اللغة معبرة عن الوقائع الخارجية ووصفها بحسب الفلسفة الوضعية، أصبح الدرس اللغوي التداولي يعتمد السياق، والقصد، والذات، و مفاهيم أخر وجعلها معطيات تفتح مغاليق النصوص، وقد تحول الاهتمام إلى منطق اللغة الطبيعي بعد اعتماده لمدة طويلة على الفلسفة الوضعية والمنطق الرياضي^(١)، فكانت هذه نواة الدراسة التداولية التي انطلقت في ثلاثينيات القرن العشرين، وكانت بدايتها الأولى مع المقال الذي نشره (شارلز موريس) في سنة ١٩٣٨، والذي قسم به علم الإشارة، أو علم العلامة إلى ثلاثة أقسام هي: (النحو والدلالة، والتداولية)، وعرف النحو بأنه: العلاقة الشكلية للعلامات مع بعضها بعضاً، أما الدلالة فهي علاقة العلامات بالأشياء التي تنطبق فيها العلامات، و عرف التداولية بأنها: علاقة العلامات بمفسيها^(٢).

لكنّ البحث التداولي لم يلقَ ذلك الاهتمام، ولم يرَ النورَ إلاّ في مُنتصفِ القرن العشرين عندما ألقى الفيلسوف الأمريكي (جون أوستين) محاضراته المعروفة بمحاضرات (وليم جيمس) في جامعة هارفرد سنة ١٩٥٥، ثم جُمِعَت محاضراته بعد وفاته في كتاب عنوانه (كيف ننجز الأشياء

(١) ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني: العياشي أدراوي : ٧٤.

(٢) ينظر : شطايا لسانية : د.مجد الماشطة : ٨٩.

بالكلمات^(١)، وكان ذلك في سنة ١٩٦٢، ثم طور سيريل نظرية أفعال الكلام بين عامي ١٩٦٢ - ١٩٧٦، و أوجدَ (غرايس) مبدأ التعاون في الحوار في سنة ١٩٧٥^(٢)، هذه هي أبرزُ الوقفات التاريخية التي سجلتها التداولية عبر تاريخها منذ نشأتها إلى يومنا، أما المحاور التي تهتم بها الدراسات التداولية فهي:

١- أفعالُ الكلام . ٢- الاستلزام الحواري . ٣- الإشارات . ٤- الحجاج .

نَظَرِيَّةُ أَفْعَالِ الْكَلَامِ :

انطلقت نظرية الأفعال الكلامية لتجسد موقفاً مضاداً للاتجاه السائد بين فلاسفة المنطق الوضعي، إذ دأب الوضعيون على إخضاع جميع أنواع الجمل إلى الجملة الخبرية وعدها أصلاً تنفرع منه بقية أنواع الجمل، ويقاس مدى صحة هذه الجمل بقيمة الصدق والكذب الذي تتضمنه هذه المقولات، ومدى مطابقتها للواقع^(٣)، وهذا الأمر يلحظُ أيضاً في المدونة البلاغية العربية بوضوح، إذ إنّ البلاغيين قَسَمُوا الجمل إلى خبرية، وإنشائية، أما الجملة الخبرية فتقاس بمعيار الصدق و الكذب بحسب مطابقتها للواقع، والجملةُ الإنشائيةُ لاتخضع لذلك المعيار^(٤).

رفض أوستن أن تكون وظيفة اللغة مقتصرة على وصف وقائع العالم، وقد كان رفضه مبرراً، فقد وَجَدَ الكثير من الجمل التي لاتخضع لمعيار الصدق أو الكذب، وهي ليست جملاً إنشائية، ولاتصف الوقائع فقط، بل إنّها تؤدي أعمالاً عند النطق بها^(٥) ومن هذه الجمل مثلاً .

قول رجل الدين في الكنيسة : (أُعَمِّدُك باسم الأب، والابن، وروح القدس).

قول رَجُلٍ لعبيدٍ مملوك له: (أنت حرٌّ لوجه الله).

وقول أحدهم لمن أسدى له خدمة : (شكراً جزيلاً).

(١) ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل: آن روبول: وجاك موشر : ترجمة د. سيف الدين دغفوس د. محمد الشيباني ٣٣.

(٢) ينظر : شطايا لسانية: ٨٩.

(٣) ينظر : البعد التداولي والحاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل: د. قدور عمران : ٤٧ .

(٤) ينظر : شرح التلخيص في علوم البلاغة : محمد هاشم دويدري : ١٦.

(٥) ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: د. محمود احمد نحلة : ٤٣.

إنَّ الجمل التي سبقَ ذكرها ((لاتدل على تصديق ولا تكذيب))^(١)، إنما تخضع لمعيار النجاح، أو الفشل^(٢) وهي أيضاً ليست جملاً إنشائية، وهذا ما جعل أوستين يسميها أفعالاً إنجازية، أو أفعالاً أدائية؛ لأنها تؤدي أو تُتَجَرَّ أفعالاً عند النطق بها، وبالعودة إلى الأمثلة السابقة سنجد أنها تمثل ما يأتي :

- (أُعمِدك باسم الأب، والابن، وروح القدس) تمثل فعل التعميد .

- (أنت حرٌّ لوجه الله) تمثل فعل العتق .

- (شكراً جزيلاً) تمثل فعل الشكر .

وعلى وفق هذا التصنيف للجمل قام أوستين بتقسيم الجمل إلى (جملٍ إنجازية) و (جملٍ وصفية)^(٣)، لكنه أعاد النظر في تقسيمه للجمل إلى (وصفية) و (إنجازية) إذ رأى أنَّ هذين الصنفين من الجمل يمكن أن يوضعا في حقل واحد هو حقل الإنجاز ((في حال قلبي إنَّ السماء ممطرة، لم أكن مراهناً، ولا مجادلاً، ولا محذراً، وإنما كنت فقط مثبِتاً لهذا الحال كواقعة، فحال الإثبات هنا يجب أن تعامل معاملة الاحتجاج، والمراهنة، والتحذير، وبنفس المستوى))^(٤)، فهو يرى أنَّ الجمل التي صُنِفَت على أنها وصفية ما هي في الواقع إلا جمل إنجازية^(٥)، فجملة من قبيل (الشمسُ مُشرقةٌ) ينظر إليها على وفق التصنيف الجديد على أنها فعل إنجازي يراد منه الإخبار .

شروط إنجاز الفعل الكلامي :

لكي يأخذ الفعل الكلامي طريقه نحو الإنجاز لا بد من وجود أسس لغوية ينهض عليها وظروف مقامية محيطة بالتلفظ تتعلق بطرفي الخطاب، وسياق التلفظ ، تضمن سلامة تأدية الفعل الكلامي، أما الأسس اللغوية فهي :

١- أن يكون فعل الجملة الرئيس فعلاً منتمياً إلى طبقة الأفعال الإنجازية مثل: القول، والوعد، والسؤال، والتحذير... .

(١) نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام : ١٦ .

(٢) ينظر : نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: طالب سيد هاشم الطبطبائي: ٦.

(٣) ينظر: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري :د. أحمد المتوكل : ٢٢.

(٤) نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام: ١٥٦.

(٥) ينظر: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري: ٢٣.

٢- أن يكون فاعل هذا الفعل المتكلم .

٣- أن يكون زمن التكلم هو الزمن الحاضر^(١).

إضافةً إلى الأسس اللغوية هناك شروط وضعها أوستين لنجاح الفعل الإنجازي، وهي على فئتين، الفئة الأولى يؤدي إبطال أي شرطٍ منها إلى فشل الفعل الإنجازي وهي:

١- أن يكون هناك اتفاق أو إجراء عرفي مقبول في المجتمع الذي يؤدي فيه فعل الكلام يستطيع المتكلم بموجبه إنجاز فعل كلامي عند النطق به، كالتلفظ لإنجاز الزواج والطلاق^(٢).

٢- تكون تأدية الفعل الإنجازي بنطق كلمات معينة، يقوم بها أشخاص معينون، وفي ظروف ملائمة، ومن أمثلة ذلك لا يستطيع شخص آخر غير القاضي أن يعلن افتتاح الجلسة.

٣- أن يكون تنفيذ الإجراء المتواضع عليه تنفيذاً صحيحاً من قبل كل المشتركين، وينفذ بشكل كامل.

أما الفئة الثانية فمخالفتها لا تؤدي إلى فشل الإنجاز، بل تؤدي إلى سوء استعمال الفعل اللغوي، وتسمى شروطاً قياسية^(٣)، وهي:

١- إذا كان الإنجاز يقتضي أفكاراً وعواطف معينة، فلا بد أن تكون حاصلة عند المتكلم أي أن يكون صادقاً في أفكاره ومشاعره؛ لكي يكون الإنجاز سليماً، فإذا قال شخص ما لأحدهم: (عظم الله أجرك) وهو مبتسم يؤدي ذلك إلى خللٍ في إنجازه لفعل التعزية^(٤).

٢- إذا كان الإجراء يقتضي سلوكاً معيناً من المشاركين في أداء هذا السلوك ينبغي على هؤلاء تنفيذ ذلك السلوك، كالإزام شخص بوعده قطعه على نفسه بالمجيء في الغد ، فإن لم يحضر كان ذلك خلاً في إنجاز الفعل اللغوي .

(١) ينظر: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري: ٢٣.

(٢) ينظر: محاضرات في فلسفة اللغة: ١٠٦ و نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام: ١٨.

(٣) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٤٥.

(٤) ينظر: محاضرات في فلسفة اللغة: ١٠٧.

الفعل الكلامي عند أوستين:

استند أوستين إلى النتائج التي توصل إليها، وهي أَنَّ المتكلم يسعى إلى إنجاز فعل كلامي عند التكلم، وعلى وفق هذا قدم أوستين تصنيفاً ثلاثياً لفعل الكلام يتضمن المراحل التي يُؤدّي بها هذا الفعل وهي :

١- فعل القول، (الفعل التعبيري): ((وهو إطلاق الألفاظ على صورة جملة مفيدة ذات بناء نحوي سليم مع تحديد ما لها من معنى ومشار إليه))^(١) أي أَنَّ فعل القول هو حدثٌ صوتي يقوم به المتكلم، وذلك بإنتاج ملفوظ ما ينتمي إلى معجم لغة معينة مُتَوَاضِعٍ عليها من قبل مجتمع لغوي، منتظمة وفق القواعد اللغوية لذلك المجتمع، وتشير إلى دلالة مقصودة^(٢) .

٢- الفعل المتضمن في القول، (الفعل الغرضي): وهو أَنَّ المتكلم عندما يتلفظ بجملة ما فهو ينجز معنىً قصدياً، أو تأثيراً مقصوداً كالإخبار، أو الإقناع، أو التحذير، أو الموافقة أو الشكر، ويشترط لتحقيق هذا المعنى الإنجازي توفر السياق المعرفي الاجتماعي^(٣) .

٣- عمل التأثير بالقول (الفعل التأثري): ((ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع))^(٤) إِنَّ الجمل التي يطلقها المتكلم، والتي تكون خاضعة لقواعد لغة معينة من حيث بنيتها، الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية ما هي إلا رسائل محملة بمقاصد معينة الهدف منها إحداث أثر عند المتلقي كإزعاج المتلقي، أو تخويفه، أو إقناعه، أو حمله على سلوك معين، أو صرفه عنه^(٥) .

إِنَّ هذا التقسيم لا يعني أَنَّ المتكلم يُدلي بهذه الأفعال كلّ على حدة، إنّما هي أوجهٌ مختلفةٌ لفعل واحد، فالمتكلم يجب أن يراعي قواعد اللغة المتعارف عليها في المجتمع اللغوي صوتاً وصرفاً، ونحواً، ودلالةً، عند النطق بفعل كلامي معين، فيكون بذلك حقق الفعل التعبيري، ويراعي ظروف التلفظ (الأشياء غير اللغوية) التي تشمل السياق، وظروف القول، وبذلك يحقق الفعل الغرضي،

(١) نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: ٨.

(٢) ينظر : محاضرات في فلسفة اللغة: ١٠٩.

(٣) ينظر : الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي : د. مؤيد آل صوينت: ٣٥.

(٤) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٤٦.

(٥) ينظر : الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي: ٣٥.

وإحداث تغيير في المتلقي أمّا بإقناعه، وإما بدفعه إلى سلوك مقصود فيكون المتكلم حينئذٍ قد أدى فعل التأثير^(١)، وهو الهدف من الفعل الكلامي بذلك يكون المتكلم قد أنجزَ الأفعال الثلاثة في ملفوظ واحد^(٢) .

المبحث الأول: الأفعال الكلامية المباشرة.

الأفعال اللغوية المباشرة :

تُصنّفُ نظريةُ الأفعال الكلامية الجمل الملفوظة في سياق معين، والتي تخضع لمعايير تداولية معينة إلى أفعالٍ لغويةٍ مباشرة، وغير مباشرة، ويُقصدُ بفعل الكلام ((الوحدة اللغوية الصغرى التي بفضلها تحققُ اللغةُ فعلاً بعينه :أمر، طلب، تصريح، وعد...غايتهُ تغيير حالة المتخاطبين))^(٣)، وينسبُ هذا النوع من الأفعال الكلامية -أي المباشرة- إلى أوستين إذ يعد المؤسس للفعل اللغوي المباشر، ويكون الفعل اللغوي مباشراً إذا أرادَ المتكلم وقصد تحديداً ما قاله، ولا يفهمُ منه معنى آخر غير ما أراد، أي إنّ المنطوق يساوي القصد فالفعل اللغوي المتحقق حينئذٍ فعل مباشر^(٤)؛ لذلك تعرف الأفعال الكلامية المباشرة بأنها الملفوظات ((التي يتلفظ بها المرسل في خطابه، وهو يعني حرفياً ما يقول، وفي هذه الحالة فإن المرسل يقصد أن ينتج أثراً إنجازياً في المرسل إليه،

(١) ينظر: التداولية بين النظرية والتطبيق: أحمد كنون: ٣٥٧.

(٢) ينظر: محاضرات في فلسفة اللغة: ١١٠.

(٣) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: دومنيك مانغو :ترجمة محمد يحياتن :٧.

(٤) ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ٢٦٨.

ويقصد أن ينتج هذا الأثر من خلال جعل المرسل إليه يدرك قصده في الإنتاج ((^(١))، ويمكن أن نمثل لذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥] فالخطاب القرآني لا يحتاج إلى تأويل، ولا يفهم منه شيء آخر غير ما ذكر، وهذا ما يميز الفعل اللغوي المباشر عن الفعل اللغوي غير المباشر.

زيادة على الصيغ المباشرة التي يؤدي بها الفعل الكلامي المباشر، فهناك أدوات يقع بها الفعل المباشر، لكن عملها مشروط بعدة شروط منها :

١- أن تكون الأداة مختصة دلاليًا، ومن هذه الأدوات (لا) الناهية ، فهي مختصة دلاليًا والتلفظ بها يعادل الفعل نهى، لما تحمله من قوة إنجازية، وهي تؤدي فعلاً لغوياً مباشراً .

٢- أن تستوفي الشروط النحوية .

٣- أن يتضمن الخطاب ضمير المتكلم (أنا) مضمراً أو ظاهراً، دالاً على المتكلم، وعلى المراد من إنجاز الفعل ^(٢).

و قد صنف أوستين الأفعال اللغوية المباشرة على خمسة أصناف، هي :

١- الحُكْمِيَّات:

يمثل هذا النوع من أفعال الكلام إصدار حُكْمٍ على أحداثٍ، أو وقائع، أو أشخاص ويتأسس هذا الحكم على تجربة، أو معرفة مسبقة، أو أسباب مقنعة، ومن أمثلة هذا النوع من الأفعال: برأ، قيّم، حكّم، حسب، وصف، حلّ، صنف، أرخ، فسّر ... ^(٣)، هذه العبارات هي إصدار أحكام وفق تصور معين للواقع ^(٤)، ومن أمثلة الحكميات قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ٨٢] فقوله تعالى (هم الفاسقون) هو حكم صريح، وهو فعلٌ كلامي مباشر، وفي الأغلب يصدر هذا النوع من الأفعال الكلامية عن متكلم له سلطة من

(١) استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٣٥، نقلاً عن: johnr.searل:expression and meaning

(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ١٣٨.

(٣) ينظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: ١٠. و:المقارنة التداولية: فرانسواز أرمينكو :ترجمة:د.سعيد علوش: ٦٢.

(٤) ينظر: بلاغة الإقناع في المناظرة: ٢٠٢.

نوع ما^(١)، وبحسب الإحصاء الذي أجريته فقد وردت الحكميات في شعر الوائلي في اثنتين وستين موضعاً^(٢) من شعره، ومن ذلك قوله : [البحر الخفيف]

أَيُّهَا الْحَاكِمُونَ لَسْتُ مِنْ الشَّعْبِ ————— بِ فَأَفْعَالُكُمْ عَلَيْكُمْ شُهُودُ^(٣)

هذا البيت من قصيدة مثلت صورة، و وصفاً دقيقاً للواقع الذي يعيشه الشعب العراقي في ظلّ الحكومة التي عاصرها.

طبقاً لشروط الإنجاز فإنّ الوائلي أنجز فعلاً لغوياً مباشراً بهذا الخطاب، تمثل بإصدار حكم على من يحكمون العراق أنّهم ليسوا من الشعب، مُعللاً هذا الحكم بالأفعال الشنيعة والممارسات القمعية التي يقوم بها هؤلاء بحق الشعب، وهذا الفعل مطابق للشروط التداولية للخطاب التي يمكن إيجازها بما يأتي :

١- إنّ القول هو تحقيق لفعلٍ كلامي، يهدف إلى تغيير الواقع.

٢-إنَّه قصدي.

٣-إنَّه مقامي.

٤-إنَّه سياقي^(٤).

اعتمد الوائلي على مبدئين تداوليين في إنتاج هذا الخطاب، المبدأ الأول: الكفاية الثقافية التداولية، التي تعني ((أن يحيط مؤلف الخطاب بالثقافة التي تحكم العالم الخارجي الذي يريد أن يتدخل فيه، وأن يعرف كيف يوظف عناصر هذه الثقافة لصالح الغايات التداولية لخطابه))^(٥)، وإذا تأملنا ما تتأسس عليه الحكميات، وجدنا أنّها أحكام تصدر عن معرفة بالواقع، وربما تصدر هذه الأحكام لا عن معرفة فحسب، بل عن واقع عاش فيه المتكلم وخاض غماره، فأسس هذا

(١) ينظر: النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة في المفاهيم والنشأة والمبادئ:محمود عكاشة:١٠١.

(٢) ينظر: ديوان الوائلي:٤٥، ٤٦، ٤٧، ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٥٩، ٦٥، ٦٦، ٧٠، ٧٧، ٧٩، ٨٤، ٨٨، ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٨، ١١١، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١٢٤، ١٣٢، ١٤٤، ١٤٩، ١٥٠، ١٦٠، ١٦١، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٤، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٩، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٣، ٢١٧، ٢٢٦، ٢٧٠، ٣٠٥، ٣٠٩، ٣٣٢، ٣٣٧، ٣٤٦، ٣٦٩، ٣٨٤، ٣٩٢، ٤٠١، ٤٥٢، ٤٦٥، ٤٦٧، ٤٨٥، ٤٨٦، ٥١٥، ٥٢٣.

(٣) ديوان الوائلي:٢١٣.

(٤) ينظر: المحاورات مقارنة تداولية د. حسن بدوح:١٥٦.

(٥) بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب:د.حسن المودن:٥٣.

الحكم، والوائليّ ممن عاش ذلك الواقع، فهو ممن واكب التحولات السياسية في العراق، وعاشها بتفاصيلها الدقيقة، وهذا يعدّ نجاحاً من الوجهة التداولية؛ لأنّ الحكم تأسس على أسس واقعية، ويدل على صدق المتكلم الذي يعد شرطاً رئيساً في تحقق الفعل الكلامي .

أمّا المبدأ الثاني الذي تأسس عليه هذا الخطاب فهو: مبدأ حاجي قائم على حُجة السلطة، وهي ((حُجة تستند إلى سلطة دينية، أو علمية، أو سياسية، أو ثقافية، أو اجتماعية...، وقد تكون هذه الحُجة مبادئ وأفكاراً))^(١) وحجة السلطة يمكن أن تُعدّ من الحجج المعقدة، والمتشعبة، فسلطة الدين مثلاً تدخل في تفرعاتها سلطات عدّة منها: سلطة الله، سلطة النبي، سلطة القرآن، سلطة الإمام، سلطة الإجماع ... وكذلك السلطة السياسية، والعلمية، والاجتماعية، وهذا الشعب جعل د.علي الشبعان يقول فيها: ((حُجة السلطة مفهوم جامع لا يقتصر على وجه من السلطة معلوم، بل يكادُ يدرك في كلّ ما من شأنه أن يحدث عنه انتمار، أو ينجم منه إفسار يقضي بتمكين الحقائق المعروضة، والآراء المبسوبة على كيانات الجمهور))^(٢)، ولابدّ لكل خطاب أن يقوم على طرفين هما المتكلم والمتلقي، وفي هذا الصنف من أفعال الكلام يجب أن ترجح كفة المتكلم؛ لأنّه في هذا المقام هو من يمتلك سلطة إصدار الحكم؛ ولأنّ الوائليّ يمثل سلطة دينية، وطبقاً لثقافته الدينية فإن السلطة السياسية لاتعلو على سلطة الدين؛ لأنّ الدين الإسلامي يمثل الحق أياً كان، أو مع مَنْ كان، ويحارب الباطل أياً كان نوعه، أو أياً كان من التزمه سواء كان سلطاناً أم عبداً مملوكاً، وهذه المنطلقات هي جزء من الكفاية التداولية الثقافية^(*) للمتكلم التي خولته أن ينجز هذا الفعل الكلامي، أي إنّ الفعل اللغوي المباشر هو فعل صريح يمكن أن نصطلح عليه أنّه (فعل حرفي، سلطوي) يكون المتكلم به صاحب سلطة من نوع ما تؤهله لإنجاز الفعل الكلامي، فالقاضي حين يصدرُ حكماً يستند إلى المؤسسة القضائية التي خولته إصدار هذه الأحكام، فهو يستند إلى سلطة، كذلك الوائليّ في هذا الخطاب كان يستند في إنجاز الفعل الكلامي إلى المؤسسة الدينية، و إلى الاتجاه الإصلاحية الذي يتزعمه.

٢ - الإنفاذيات:

(١) الحجاج في الخطاب السياسي: د. عبد العالي قادا: ١٩٦.

(٢) الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل: د. علي الشبعان: ٢٩٥.

(*) من جملة الأمور التي استند إليها الوائليّ في خطابه هذا، ما ترجع إلى الكفاية الثقافية التداولية، التي تنطلق من رؤية دينية إصلاحية ومن ذلك قول رسول الله (ﷺ) ((أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)) المعجم الكبير للطبراني ٢٨٢/٨.

يقوم هذا النوع من الأفعال الكلامية على استعمال الحق أو القوة، ومن أمثلتها أمر نهى، عين، أغلق، صوت، صرخ، استقال، دافع عن، نبّه، نصّح...^(١)، وخير ما يمثل هذا النوع من أفعال الكلام فعل الأمر الصريح لما يمتاز به من القوة والمباشرة، وقد لا تُنفذ هذه الأفعال بصيغها المعروفة كصيغ الأمر، بل تنفذ بصيغة المصدر النائب عن فعل الأمر، مثل قوله تعالى: ﴿فَضْرِبَ الرِّقَابَ﴾ [محمد: ٤] أي اضربوا رقابهم، فناب المصدر عن فعل الأمر^(٢)، أو اسم فعل الأمر، وقد تنوب أداة مختصة عن فعل الكلام كقولنا: (لا تكذب) فقد نابت الأداة (لا) عن الفعل نهى في قولنا: (أنهاك عن الكذب)، وما يهم في هذا المقام هو أن الإنجاز يكون على جهة القوة، وهو ما يضيفي على هذا النوع من الأفعال صفة المباشرة، وقد وردت الانفاذيات في ثلاثة وثلاثين موضعاً^(٣) من شعر الوائلي، ومنها قوله: [البحر الخفيف]

أَيُّهَا الْحَاكِمُونَ جَدُّوا وَلَوْ يَو (م) مَا فَضْرِبُ الْعَدُوِّ فِينَا شَدِيدُ

جَرَّبُوا طَعْنَكُمْ بِهِ لَا بِصَدْرِ هُوَ أَصْلٌ لَهُ الْفُرُوعُ تَعُودُ

أَقْنَعُوا هَذِهِ النِّيَاشِينَ فِي الْأَكْم (م) سَتَافِ أَنْ الْمِيدَانَ فِيهِ جُنُودُ

وَتَسَاوُوا مَعَ السَّفُوحِ فَإِنَّ السَّـ (م) سَفَحَ يَأْبَى أَنْ تَمْتَطِيهِ النُّجُودُ

لَا تَحِيدُوا عَنْ دَرَبِهِ فَهُوَ الْجَدُّ (م) رُ الَّذِي رَبَّ عُودَكُمْ وَالرَّصِيدُ^(٤)

هذه الأبيات من قصيدة عنوانها خداع، انتقد فيها سياسة القمع التي تمارسها الحكومات ضدّ الشعوب، وتضمن هذا الخطاب أفعالاً كلامية مباشرة تمثلت بصيغة الأمر و النهي ولهذه الصيغ من الأفعال أثره ودلالته في الخطاب^(٥)؛ لأنّ صيغة الأمر بما تحمله من صفة الوجوب تكون أقوى في الخطاب من صيغ الطلب الأخرى؛ ولأنّ المتكلم يقصد بخطابه إرادة تحقيق ذلك الفعل، قال ابن الأثير: ((وكذلك يرجع عن الفعل الماضي إلى فعل الأمر، إلّا أنّه ليس كالأول، بل إنّما يفعل ذلك

(١) ينظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: ١٠، و: المقاربة التداولية: ٦٢.

(٢) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: ١٧٠/٢.

(٣) ينظر: ديوان الوائلي: ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٤، ٦٥، ٩٣، ٩٥، ١٠٥، ١٢٠، ١٤٥، ١٥٠، ١٥٢، ١٦٠، ١٦٦، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٦، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٧٧، ٣٠٩، ٣٣٩، ٣٥٢، ٣٥٦، ٣٥٧.

(٤) ديوان الوائلي: ٢١٦.

(٥) ينظر: الحجاج في الخطاب السياسي: ٣٩٠.

توكيداً لما أُجري عليه فعل الأمر لمكان العناية بتحقيقه، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف ٢٩] وكان تقدير الكلام: أمر ربي بالقسط وإقامة وجوهكم عند كل مسجد، فعدل عن ذلك إلى فعل الأمر، للعناية بتوكيده في نفوسهم^(١)، وصيغ الأمر والنهي من حيث قوة الدلالة تبعث على إنجاز الفعل من المتلقي على وجه الاستعلاء، لما تحتويه من معنى الوجوب، والإلزام إذ ((إنَّ ضرورة وقوع الأمر، والنهي بالفعل يعودُ إلى كونهما عمليين يقومان على ترجية المخاطب إلى أمرٍ؛ لإنفاذه وأدائه في الكون الخارجي))^(٢)، وقد تضمن الخطاب الشعري أفعالاً كلامية بصيغة الأمر، وهي قوله: جَدُّوا، جَزَبُوا، أَقْنَعُوا، تساووا، فهذه الأفعال تمثل خطاباً مباشراً لمن يمتلكون زمام الأمر أنْ كونوا جادين في مساعدة شعوبكم، وادخروا قوتكم للأعداء لا لشعوبكم المستضعفة، وقد تداخل الخطاب المباشر مع غير المباشر، وذلك بدخول صيغة فعل الأمر على أساليب الاستعارة، وذلك في قوله أَقْنَعُوا، وتساووا، وهذا لا يقلل من دلالة الصيغ المباشرة للفعل الكلامي؛ لأنَّ ((الاستعارة تكون موجودة في الكلام المباشر وغير المباشر بالدرجة نفسها في كثير من الأحيان، فالكلام غير المباشر في الجملة يحتوي على عناصر المعنى الاستعاري نفسها التي يحتويها الكلام المباشر))^(٣)، إنَّما يكون تحديد وجهة الخطاب للسياق الذي يندرج فيه، والسياق هنا يُشير إلى توجيه المتلقي للعمل الصائب، لكنَّ التوجيه اتخذ صورة فعل الأمر، وهذا يرجع إلى علاقة المتكلم بالخطاب فالمتكلم في هذا المقام ينطلق من سلطة دينية و إصلاحية، فلا بد أنْ يتخذ خطابه درجة من الاستعلاء الذي تمثل في صيغ الأمر.

الصورة الثانية من صور الفعل المباشر جاءت في صيغة النهي، ويختلف الأمر عن النهي في ((أنَّ صيغة النهي تدل على الفور والاستمرار جزماً؛ لأنَّه في الغالب لدفع مفسدة ما لم تقم قرينة على قصد التراخي))^(٤)، والمقصود من الفعل الكلامي الذي جاء بصيغة النهي أن تجعلوا طريقكم وطريق شعبيكم واحداً، ويسمى الحجاج في هذا النمط من الخطاب الذي يبنى على صيغ الأمر بالتوجيه الإلزامي، وما يميز هذا النوع من الخطاب أنَّ ((صيغته اللغوية هي الأمر، لكن ليس لهذه الصيغة قوة إقناعية، وذلك على عكس ما يُعتقد، إذ يستمد الأمر طاقته الإقناعية من شخص

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ١٤٥/٢.

(٢) الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية، د. خالد ميلاد: ١٣٢.

(٣) الاستعارة في النقد الأدبي الحديث الأبعاد المعرفية والجمالية: يوسف أبو العدوس: ١٢.

(٤) المنهاج الواضح للبلاغة: حامد عوني: ٩٣/٢.

الأمر وليس من ذات الصيغة^(١) وهذا يدل على أن الوائلي في خطابه أدى فعلاً كلامياً مباشراً، مسخراً صيغ الأمر والنهي التي مثلت خطاباً حجاجياً يعتمد على شخصية المتلقي التي تستند إلى سلطة دينية تخولها إصدار هذا الأمر.

٣ - الوَعْدِيَّات :

في هذه الأفعال يلزم المتكلم نفسه بأداء فعل ما في المستقبل مثل: وعد، أقسم نذر، راهن، عقد، عزم، نوى...^(٢)، ومن أمثلة هذا النوع من أفعال الكلام ما يتمثل بالوعد قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْمُونَ﴾ [النبا: ٤]، أو قول أب لولده، وهو فعل الوعد (سأمنع عنك المصروف)، ومن من أمثلة فعل الكلام الذي يراد به الوعد قوله تعالى: ﴿فَسَيُسْرِرُهُ لِّلسَّرِيِّ﴾ [الليل: ٧] ويلحظ أن هذه الأفعال تشترك في صفة الإنجاز مستقبلاً، ويشترك الأداء المباشر، وغير المباشر في هذا النوع من الأفعال الكلامية^(٣)، وقد ورد هذا النمط من الأفعال الكلامية في ستة وتسعين موضعاً من شعر الوائلي^(٤)، قوله: [البحر الطويل]

سَأَبْقَى إِلَى أَنْ نَلْتَقَى بِثَرَى الْحِمَى وَقَلْبِي لَصِيقُ بِالْثَرَابِ مُتَيِّمٌ^(٥)

هذا البيت من قصيدة يرثي بها زوجته، وهو هنا يعدها بالمجيء إليها، ولقائها وهذا إنجاز صريح لفعل الوعد، ويتضح ذلك المعنى إذا ربطناه بالبيتين السابقين لهذا البيت ليكونا قرينة دالة على إنجاز فعل الوعد، وهما قوله:

صَلِيهِمْ وَقَوْلِي رَحْمَةً مِنْ مُخَلَّفٍ يُقِيمُ قَلِيلاً بَعْدَكُمْ ثُمَّ يَقْدِمُ
وَإِنْ سَأَلُوا عَنِّي فَقَوْلِي حَبِيبُكُمْ يُصَلِّي عَلَى أَجْدَائِكُمْ وَيُسَلِّمُ

(١) في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات : عبد الله صولة: ٣٨.

(٢) ينظر : نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: ١٠، ومحاضرات في فلسفة اللغة :

١١٢، والتداولية بين النظرية والتطبيق: ٣٦٩.

(٣) ينظر : محاضرات في فلسفة اللغة: ١٢٠.

(٤) ينظر: ديوان الوائلي ٤٩، ٥٣، ٦٦، ٧١، ٧٥، ٧٦، ٨٣، ٨٤، ٩٩، ١٠٠، ١٠٨، ١١٦، ١١٧، ١٢٣، ١٢٥،

١٤٩، ١٥٢، ١٥٧، ١٦٢، ١٧٠، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٥، ١٩٤، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٧،

٢٠٩، ٢٢٠، ٢٢٦، ٢٣٨، ٢٤٤، ٢٥١، ٢٦٤، ٢٦٦، ٣٠٢، ٣٠٧، ٣١٤، ٣١٦، ٣٢٤، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤١،

٣٤٤، ٣٤٥، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٥، ٣٦٩، ٣٧٢، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨٧، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٩، ٤٠٤، ٤٠٦، ٤١٠،

٤١٥، ٤١٩، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٩، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٩، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٦، ٤٤٨، ٤٥٢، ٤٥٥، ٤٦٣، ٤٦٥،

٤٧٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٩، ٤٩١، ٤٩٢، ٥٠٣، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥١٢، ٥١٦، ٥٠٣.

(٥) ديوان الوائلي: ٤٣٢.

أما القرائن المقامية فإنَّ الخطاب جاء مطابقاً للوقائع المتمثلة بوفاة الزوجة وفراقها، مما أضفى على الخطاب صفة المباشرة، واستبعاد تأويلات أخرى، والمقام أيضاً يقتضي صدق المتكلم في إنجاز فعل الوعد، فإن لم يتحقق ذلك كان فعل الإنجاز فاشلاً، والمتكلم هنا صادق في وعده؛ لأنَّ الموت واقعٌ لامحالة، ولا يمكنُ التنصلُ منه بأي طريقة، وطبقاً لنظرية الفشل والنجاح^(١)، فإنَّ فعل الوعد الذي قام به الوائليُّ فعلٌ إنجازيٌّ ناجح وقد تضمن تدرجاً في عرض الحجج؛ ليصل بفعل الكلام إلى التأثير، والإقناع المتضمن فيه بوصفه فعلاً حجاجياً.

٤ - السلوكيات :

أفعالٌ كلامية تتمثل بالإفصاح عن حالاتٍ نفسية تجاه الآخرين، وتبين موقف المتكلم منهم، وقد تتمثل هذه الأفعال بسلوك اجتماعي، كقول أحدهم لصاحب المصيبة (عظم الله أجرك) ومن أمثلتها: شكر، هنأ، عزى، انتقد، مدح، هجا، اعتذر، وبَّخ،...^(٢) وقد ورد هذا النوع من أفعال الكلام في شعر الوائليِّ في خمسة وثلاثين موضعاً^(٣) من شعره قوله: [البحر السريع]

السَّعْيُ مشكورٌ لوادي منى والحجُّ مبرورٌ لبيتِ حرام^(٤)

هذا البيت من قصيدة قالها مُهَيَّئاً الشاعرة (نازك الملائكة) بعد أدائها لمراسيم الحج وعودتها، والخطاب من جانبه يمثل فعلاً كلامياً مباشراً، حقق غرضه فهو ملائم من حيث مقام التلطف، و القصد، و الوظيفة التي أداها، وهي فعل التهنة.

وقد استوفى الخطاب شروط الإنجاز من ناحية صدق المتكلم في أداء الفعل الإنجازي، أما القصد من الخطاب فيبدو ذلك من البنية اللغوية للخطاب نفسه، فهو خطاب مباشر لا يخرج مضمونه عن دائرة الشكل الذي صيغ به، فالمتكلم يسعى إلى تقديم التهنة وهو عرف وسلوك اجتماعي.

٥ - التبينات:

(١) ينظر: محاضرات في فلسفة اللغة: ١٠٦.

(٢) ينظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: ١٠، والتداولية بين النظرية والتطبيق: ٣٦٩.

(٣) ينظر: ديوان الوائليِّ: ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٩، ٦٠، ٦٦، ٨٣، ١١٥، ١٢٢، ١٥٣، ١٦١، ١٨٣، ١٩٠، ١٩٤، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٨٠، ٢٨٩، ٣٣٦، ٣٤٤، ٣٥١، ٣٨٦، ٣٩١، ٤٠٨، ٤١١، ٤٣١، ٤٤٧، ٤٥٣، ٤٧١، ٥٢١، ٥١٢.

(٤) ديوان الوائليِّ: ٥٢١.

هذا النوع من الأفعال يستعمل للمحاجة، والإبانة، وتوضيح تصورات المتكلم عن الأشياء، وبيان وجهة النظر مثل: شكك، وافق، خطأ، أثبت، أنكر، أجاب، اعترض استتبط، شرح، وضح...^(١)، وقد ورد هذا الاستعمال للفعل الكلامي المباشر في تسعة مواضع^(٢) من شعر الوائلي، ومن ذلك قوله: [البحر المتقارب]

وَلَسْتُ بَعِيداً عَلَى مَطْلَبِي	بَعِيدٌ ضَرِيحُكَ عَنْ رَاحَتِي
وَجَدْتُ لِرَاوِيَةِ مَرْكَبِي	وَحِينَ نَأَى الطَّفُ زُرْتُ الشَّامَ
تَحَدَّرَ مِنْ جَذَرِكَ الْمُنْجَبِ	إِلَى جَدَثٍ فِيهِ مِنْكَ الْمِثَالُ
هُنَا قَدْ تَجَسَّدَتْ فِي زَيْبِ	فَأَنْتَ أَرَاكَ بِكُلِّ غُلَاكِ
عَلَى عِيبٍ نَهَضَتْكَ الْمُصْعَبِ	مِثَالُ الْكِفَاحِ الَّذِي آزَرْتَكِ
جِهَادِكَ فِي مَنْطِقِ مُعَرَبِ	وَمَنْ وَقَفَتْ تَكْشِفُ السَّرَّ عَنْ
تَمَرَّغُ مِنْ جَبْهَةِ الْمُسْتَبِي ^(٣)	وَمَنْ هِيَ فِي السَّبِي لَكُنْهَا

هذه الأبيات من قصيدة عنوانها رسالة إلى الحسين (عليه السلام) نَظَمَهَا في ذكرى استشهاد الحسين (عليه السلام) مبيناً فيها عجزه عن الوصول إلى ضريح الإمام الحسين في العراق، ومبيناً وجهة نظره في أَنَّ عقيلة الطالبين زينب الكبرى (عليها السلام) هي شريك الحسين (عليه السلام) ليس في الدَمِّ فحسب، بل هي شريكه في ثورته الخالدة.

ليست غاية هذا الخطاب الإخبار عن حالة المتكلم فحسب، بل هو إيضاح لحالته أولاً وبيان فكرة تنتمي لثقافة الشاعر الدينية والعائدية، أراد إظهارها وشرحها وبيانها، فكان هذا الفعل الكلامي إنجازاً لهذا الإيضاح الذي بين فيه أَنَّهُ عجز عن زيارة العراق وزيارة الحسين (عليه السلام) التي كانت دأباً في حياته الماضية، وإنَّ ما منعه من زيارة الحسين (عليه السلام) هو وجود الحكم الظالم الذي كان يرى أَنَّ كلَّ ما يَمُتُّ إلى الحسين بصلة خطر عليه.

أما الإيضاح الثاني للفعل الكلامي فهو بيان العلاقة الوثيقة بين الوائلي، والحسين (عليه السلام)، والتي تجلت من استعمال الوائلي للضمائر وما تُشير إليه، وما لها من دلالة في الخطاب، فقد خاطب الوائلي الحسين (عليه السلام) بضمير الحضور (أَنْتَ) لابضمير الغائب، مع أَنَّ الحسين (عليه السلام) بعيد في أرض العراق، والوائلي كان مستقراً في الشام، فقد لايفي الضمير المخصص للغيبة في هذا المقام لأداء المعنى التداولي الذي يريده المتكلم فيلجأ إلى إبدال الضمير

(١) ينظر: محاضرات في فلسفة اللغة: ١١٢، و آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٤٥.

(٢) ينظر: ديوان الوائلي: ٤٦، ٥٦، ٥٧، ٩٥، ٩٦، ١٥١، ٢٠١، ٣٥٩، ٤٣٤.

(٣) ديوان الوائلي: ٩٩.

بما يتناسب مع الوجهة الحجاجية المقصودة^(١)؛ لأنه أراد أن يُبين مدى قرب الحسين (عليه السلام) إليه، وما للإمام من منزلة في نفسه، وقد جاء ذلك بقرينة في الخطاب، وذلك في قوله: (فَأَنْتَ أَرَاكَ بِكُلِّ غُلَاكَ)، ف((ضمائر الحاضر هي دائماً عناصر إشارية؛ لأنَّ مرجعها يعتمد اعتماداً تاماً على السياق الذي تستخدم فيه، وليس من شك في أنَّ الضمير (أنا و أنت) ونحوهما لهما دلالة في حدِّ ذاتهما على المتكلم أو المخاطب))^(٢) فالإشارات المتمثلة بالضمائر هي من الإشارات الشخصية؛ لأنَّ هذه الضمائر تشير إلى التخاطب وجهاً لوجه، فهذه الإشارات كشفت مدى التقارب بين المتكلم والمُخاطَب، فهي علاقة حضور دائم وحب وتقديس.

والإيضاح الثالث هو: بيان أهمية الدور الذي أدته زينب (عليها السلام) في وقعة الطف وما بعدها، وقد ضمن الوائلي هذا الخطاب الفكرة التي أراد إيصالها إلى المتلقي بأسلوب الخطاب الحقيقي بتعبير علماء البلاغة الذين قسموا الكلام بحسب صيغه في الاستعمال إلى مجاز، وحقيقة^(٣)، وقد عدل الوائلي عن الصيغ المجازية في هذا الخطاب، مع أنَّه أعملها كثيراً في شعره مما يجعل هذا الخطاب خطاباً مباشراً، وربما عمد إلى هذا الأسلوب لأنَّه يعتمدُ على الحُجة المبنية على مطابقة الواقع فزينب (عليها السلام) هي من تحمل أعباء الثورة بعد استشهاد الحسين (عليه السلام)، فكانت لها خطبٌ في عدَّة محافل بينت بها هدف ثورة الحسين (عليه السلام)، وكشفت زيف الادعاء الأموي، وبينت للأمة ما ارتكب هؤلاء من جريمة بحق أهل بيت النبوة، فتحوّلت إلى وبالٍ على من سبوا وأهل بيتها، ومرغت أنوفهم بالتراب بفضحها إياهم في الكوفة، والشام، وما بينهما من المدائن^(٤) التي كان يمر بها ركب سبائ آل الرسول (ﷺ).

والخطاب هنا إضافةً إلى أنَّه مثل فعلاً كلامياً تمثل بالتينينيات أو الإيضاحات فقد حمل معنىً حجاجياً تمثل بإيراد الحجج طبقاً للواقع، أمّا البناء الفني للخطاب فقد تضمن إيراد الفكرة بعدد من الأبيات لالبيت واحد، لأنها فكرة غزيرة لا يمكن أن يستوفيها بيتٌ أو بيتان ولا يمكن أن تتجزأ فيكون المعنى جزئياً، أو غير مفهوم، زيادة على ذلك أنَّ القيد الشعري المتمثل بالوزن والقافية لا يسمح للشاعر أن يتحرك بحرية كما هو الحال في الخطاب المنثور؛ لذا جاء هذا الخطاب وفق مبدأ التضمين^(٥)، وهو أنَّ معنى البيت يتعلق بالبيت الذي بعده حتى تستوفي الفكرة معناها كاملاً .

(١) ينظر : استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٢٨٦.

(٢) والتداولية بين النظرية والتطبيق: ٩٣.

(٣) ينظر: اسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني : تح: ه. رتير: ٢٣٦.

(٤) ينظر: الكامل في التاريخ: ١٨٩/٣.

(٥) ينظر: لغة الشعر بين جيلين: د. ابراهيم السامرائي: ١٥.

المبحث الثاني: الأفعال الكلامية غير المباشرة:

يمكن أن يُنظرَ إلى الأفعال الكلامية غير المباشرة على أنها الجزء المكمل لما قدمه أوستين، فقد انطلق سيرل في نظريته من التفريق بين الفعل الكلامي المباشر وغير المباشر، فالأفعال الكلامية المباشرة هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم أي أن يكون التركيب اللغوي الذي ينطقه المتكلم مطابقاً لما يقصده ويريده^(١)، أمّا الأفعال الكلامية غير المباشرة فعزفها (سيرل) بقوله: إنها ((الحالات التي يؤدي فيها المرء فعلاً كلامياً بصورة غير مباشرة من خلال أدائه فعلاً آخر [مباشرة] ^(*)))^(٢) فهو يرى أن هذه الأفعال صُرِفَتْ عن معناها الأصلي إلى معنى آخر، يُفهمُ بمجموعةٍ من القرائن السياقية، ويكون فيه الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى الذي يستند إليه المتكلم في قول ما بطريق القصد^(٣)، وهو بذلك خروج مسموح به ومستساغ على وفق أعراف لغوية معتمدة في مجتمع لغوي ما، ويتضح ذلك بالنظر إلى قوله تعالى: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠] ففعل الأمر الوارد في الآية الكريمة لا يرادُ به صيغة الأمر الحقيقي، ولا يمكن أن يصنّف ضمن التنفيذيات التي صنفها أوستين^(٤)، بل هو فعلٌ غير مباشر يرادُ منه الاستغاثة وطلب المعونة بشفقةٍ واسترحام؛ إذ لا استعلاء فيه ولا إلزام، فالمقام يقتضي أن أهل الجنة أعلى شأنًا، وأرفع منزلةً من أهل النار، فلا يمكن أن يكون الأمر صريحاً من أهل النار إلى أهل الجنة، وفي ذلك يقول الطاهر بن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا﴾ ((والاستغاثة من شدة العطش الناشئ عن الحر فيسألون الشراب))^(٥)، وجد (سيرل) أن أغلب الاستعمالات اللغوية تتضمن أفعالاً لغوية غير مباشرة والتواصل اللغوي بهذه الأفعال أكثر من التواصل بالأفعال المباشرة^(٦)، وعند دراسته لنظرية الأفعال الكلامية المباشرة وجد أن تصنيف (أوستين) يقتضي أن لكلٍ منطوق مغزى واحداً فقط ويعتمد هذا المغزى على إدراك المتلقي

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٥٠.

(*) هكذا وردت في النص الأصلي ويبدو أنه أراد مباشر وليس مباشرة.

(٢) العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي: جون سيرل: ترجمة: سعيد الغانمي: ٢٢١.

(٣) تجليات الفعل الكلامي عند جلال الدين القزويني: أ. ذيب بلخير: مجلة مقاليد: ع ٥: ديسمبر ٢٠١٣: ٥٨، وينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ٢٦٨.

(٤) ينظر: محاضرات في فلسفة اللغة: ١١٢.

(٥) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: ٣٠٨/١٥.

(٦) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٥١، واستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٣٩٥.

للمنطوق الموجه إليه وهذا الأمر لا يمكن قبوله لأنَّ المقولات قد تحمل أكثر من معنى واحد، وقد يدخلها الالتباس، إلا إذا ارتبطت هذه المقولات بسياقاتها^(١).

اعتمد (سيرل) على مبدأ (المستمع يعرف أكثر)^(٢)، في وضعه لنظرية الأفعال غير المباشرة، مستنداً إلى القصد الكامن في المنطوق^(٣)، وهذا يدل على أنَّ المنطوق اللغوي يحمل بصفة جوهرية خاصية حاجية تعمل على تغيير الواقع، فإذا قال أحدهم لصديقه : (لقد سَرَقْنَا الوقت) فَإِنَّهُ يَحْمِلُ خطابه نتائج متعددة، فقد يتضمن خطابه اقتراحاً (لِنَعُدَّ إِلَى المنزل)، أو التعبير عن الضجر (لقد حدث شيء لا أَرغبُ فيه) أو تحذيراً (إِنَّكَ لن تستيقظ باكراً في الغد) كل هذه يمكن أن تُعَدَّ نتائج للحجة التي قدمها المتكلم، وقد قدمها في صورة خطاب (استعاري) لاتدل على أمرٍ بالانصراف من المكان، بل هو فعل لغوي غير مباشر يراود منه ترك المكان.

يتضح مما تقدم أنَّ المتكلم يستعمل أكثر من آلية لإنجاز فعله اللغوي غير المباشر ويستثمر المعطيات اللغوية، والعناصر الحافة بالخطاب، والمعرفة المشتركة؛ لِيَصِلَ بِالْمُخَاطَبِ إِلَى مغزى الخطاب^(٤)، ويكشف الاستعمال اللغوي أنَّ الفعل الكلامي غير المباشر ما هو إلا مظهر من مظاهر الترميز في اللغة .

المحتوى القضوي والقوة الداخلة في القول :

ذهب (سيرل) إلى أنَّ الفعل الكلامي لا يقتصر على التأدية الحرفية، بل هو مرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي، والمعرفة المسبقة لكل من طرفي الخطاب، والظروف المقامية المتعلقة بالتلفظ، وبهذا يخرج سيرل الفعل الكلامي من إطاره الحرفي الذي يكون فيه فعلاً لغوياً مباشراً، ويدخله في إطار الأفعال غير المباشرة^(٥)، ولتحقيق الفعل غير المباشر عند سيرل لابد من وجود ثلاثة أسس يقوم عليها الفعل اللغوي وهي : الغرض الداخل في القول، واتجاه المطابقة، وشرط الصراحة^(٦).

١- الغرض المتضمن في القول، أو (المحتوى القضوي):

(١) ينظر : نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والاسلامي: أ. هشام عبد الله الخليفة: ١٠٧.

(٢) ينظر: العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي: ٢٠٩.

(٣) ينظر: نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والاسلامي: ١٠٨.

(٤) ينظر: الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي: ١٢١.

(٥) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٤٨.

(٦) ينظر : محاضرات في فلسفة اللغة: ١١٦.

لكي يتحقق شرط المحتوى القضوي لابد أن يكون هناك قصد من وراء القول متواضع عليه من طرفي الخطاب، أي أن يكون الخطاب بما يحمله من شفرات، ورموز له دلالة عند المتكلم والمتلقي، ويتحقق ذلك في سياق خاص، يعني أن الغرض من الخطاب هو ما يحققه المتكلم ويفهمه السامع، ففي فعل الوعد يُلزم المتكلم نفسه بأداء عمل ما في المستقبل^(١)، كقول أحدهم: (سأعود مساء الغد) فهذا الخطاب يتضمن معنى الوعد للمتلقي، وإذا قال أحدهم: (أتضرب أخاك) فشكل الخطاب هو الاستفهام لكن الغرض المتضمن فيه، والذي يقصده المتكلم هو: التعجب، والإنكار، والرفض، والاعتراض، وهذا الأمر هو ما يميز الأفعال اللغوية المباشرة من الأفعال اللغوية غير المباشرة، إذ إنَّ الأولى تعتمد أسلوب التعبير الحرفي عن قصد المتكلم، أمَّا الثانية فإنَّها تعتمد الغرض المتضمن في القول ((الغرض المتضمن في القول هو أهم أجزاء القوة المتضمنة في القول على الإطلاق))^(٢)، وتستمد الأفعال اللغوية وجهتها المحددة من السياق، إذ يمكن للمنطوق نفسه أن يكون فعلاً كلامياً مختلفاً تبعاً للسياق كقول أحدهم: (سأتي غداً) قد يكون هذا فعلاً كلامياً يراود منه الوعد، وقد يكون هذا المنطوق نفسه تهديداً إذا قاله المتكلم في سياق آخر^(٣)، إنَّ اللغة من الوجهة التداولية لا تدرس بوصفها نظاماً من العلاقات النحوية، بل بوصفها معاني ووظائف يستعملها المتكلم للتعبير عن المغزى الكلامي الذي يتحدد بالعرف، ومقاصد المتكلم وليس التراكيب النحوية^(٤).

٢- اتجاه المطابقة: يُقصدُ بالمطابقة ((تأدية المتكلم مراده من المعاني والأغراض والمقاصد، بإقامة العلاقات بين المعاني وبناء صورتها، وهيأتها في نفسه بما يتناسب مع اعتبارات خارجية (الواقع، العقل، الوضع، مقتضى الحال)، ومن خلال لغة يستخدمها ضمن مواضعة بينه وبين غيره من مستعمليها تضمن كشف مراده، وإبانتته والاستدلال عليه))^(٥) أمَّا اتجاه المطابقة: فهو الكيفية التي يرتبط بها المضمون القضوي مع العالم^(٦) وقد حدد سيرل ارتباط الفعل القضوي بالعالم بأربعة بأربعة اتجاهات .

(١) ينظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: ١٧.

(٢) نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: ١٤، وينظر: محاضرات في فلسفة اللغة: ١١٤.

(٣) ينظر: نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي: ١١٠.

(٤) ينظر: الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي: ١٠٧-١٠٨.

(٥) المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية د. شكري الطوانسي: عالم الفكر: م ٤٢: ١٤ لسنة: ٢٠١٣: ٧٧.

(٦) ينظر: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية: ٥٠٢، و نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: ٢٨.

- ١- اتجاه المطابقة من القول إلى العالم: ((وذلك بإنشاء فعل كلامي يطابق الواقع الخارجي كالتأكيد، والإنكار، والوصف، والمسؤول عن المطابقة فيه المتكلم، وهو شبيه بالأسلوب الخبري، وهو خاص بالتقريرات تطابق المحتوى القضوي مع واقعة مستقلة في العالم))^(١)
- ٢- اتجاه المطابقة من العالم إلى القول، ويتحقق ذلك بمحاولة المتكلم أن يجعل العالم مطابقاً للمحتوى القضوي، ويكون ذلك في الأمر، والوعد، والقسم.
- ٣- اتجاه المطابقة المزدوج : ((وفيه يتحد القول والعالم كالأستقالة، و الإقالة، ويرى سيرل أن المسؤولية مشتركة بين المتكلم والمخاطب))^(٢)
- ٤- اتجاه المطابقة الفارغ: وهو ما تختص به أعمال الإفصاح، والانفعال، مثل التعزية والتهنئة، والشكر^(٣).
- ٣- شرط الصراحة، أو شرط الإخلاص : يتحقق هذا الشرط إذا كان المتكلم مخلصاً في أداء الفعل فلايقول غير ما يعتقد^(٤)، ولا يزعم أنه قادرٌ على فعل ما لا يستطيع، فالوعد بشيءٍ يقتضي أن المتكلم قادرٌ على القيام به، وبخلاف ذلك لايتحقق شرط الصراحة .

فعل الكلام، وفعل الحجاج، و قوة فعل الكلام :

نظر أوستين إلى الجمل جميعاً بمنظارٍ واحد هو الإنجازية، أي أنَّ الجمل التي تُقال في سياقاتٍ معينة ماهي إلا إنجازٌ لأفعال، أو يرادُّ بها إنجازُ أفعال، وقد نظر ديكرو إلى الخطاب الحاجي على أنه فعل إنجازي يراد منه تأدية فعل (الحجاج)^(٥)، ولبيان ما للحجاج من قوةٍ، ولبيان أنَّ الحجاج ما هو إلا فعل كلامي يُرادُّ منه إحداث أثرٍ في المتلقي، أسوق هذا الخطاب ليكون منطلقاً نلجُ به إلى غاية الخطاب، وأثره الحجاجي، وقوة الإنجاز المتضمنة فيه: لنفترض أنَّ شخصين تربطهما صداقة نرزم للأول ب(س)، ونرزم إلى الثاني ب(ن)، (س) يوجه خطابه إلى (ن): (هناك أزمة مالية على وشك الحدوث)، إذا أخضع هذا الخطاب إلى التحليل التداولي سيُلحظ الآتي :

(١) تجليات الفعل الكلامي عند جلال الدين القزويني: (بحث منشور) : ٥٧.

(٢) نفسه: ٧٥.

(٣) ينظر : الأنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية : ٥٠٤،و تجليات الفعل الكلامي عند جلال

الدين القزويني: (بحث منشور): ٥٧

(٤) ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٤٨.

(٥) ينظر: الحجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) : ٥٢.

١- الخطاب خاضع لظروف مقامية، وسياقية، ولثقافة المتحاورين.

٢- يقوم (س) بتأدية فعلٍ كلامي هو فعل التحذير، ويمكن أن يكون الفعل الكلامي متضمناً معنى الوعظ، والتوجيه.

والخطاب يقتضي أن (ن) هو شخص مبذر، والخطاب أيضاً يقتضي أن (س) يتصف بالجدية، والمقام يؤهل المتكلم (س) أن يكون في موضع التوجيه، والإرشاد، وهذا الأمر هو أحد شروط نجاح الخطاب التداولي حيث يجب ((أن يكون المشارك في الإجراء صادقاً في أفكاره))^(١)، والصدق، والجدية في تأدية الفعل الكلامي تمنحه قوة كبيرة، وطاقة تأثيرية في هيمنته على المتلقي، فإن لم يتحقق ذلك كان الفعل مُراء^(٢)، كذلك يراعي المُخاطب ظروف القول التي يؤدي بها الخطاب، وملاءمته للواقع، والشخص الموجه إليه، ومن جملة الأمور التي يجب أن تتوفر في الخطاب مبدأ القصد، أو الغرض من الخطاب فمراعاة الغرض من الخطاب قرينة تداولية رئيسة تساعد في تحديد وبيان المراد من الخطاب^(٣)، والنتيجة أن الفعل الكلامي يسعى إلى تغير حالة المتلقي من الإنفاق غير المبرر إلى الادخار .

أما إذا نظرنا إلى الخطاب بوصفه خطاباً حجاجياً سنجد أنه خطاب ينتمي إلى منطق اللغة الطبيعية، وهو حوار بين طرفين يحاول المتكلم أن يُعَدِّل أو يبدل فكرة الطرف الثاني أو سلوكه، وما يلحظ في الخطاب الحجاجي أنه يقوم على أساس عرض الحجج على أنها مسلمات من قبل الطرفين قبل الوصول إلى النتائج المقصودة من الخطاب، فإن لم يتحقق ذلك الاتفاق بين طرفي الخطاب الحجاجي على التسليم بالحجج فإن هذا الخطاب محكوم عليه بفشل النتائج^(٤)، بمعنى آخر أن المتكلم والمتلقي يتفقان على أن الإنفاق غير المبرر يؤدي بصاحبه إلى الإفلاس، وهي النتيجة المضمرة في الخطاب الحجاجي، ومن السمات التي يتميز بها الخطاب السابق كونه خطاباً حجاجياً أنه يقتضي وجود قضية خلافية إذ إن أهم الركائز التي يقوم عليها الخطاب الحجاجي هي وجود قضية خلافية بين طرفي الحوار، وتختلف درجة هذا الخلاف بحسب القضية المطروحة للحوار، وبحسب الأفكار التي يحملها طرفا الحوار، هذا الأمر جعل من الحجاج دفاعاً عن فكرة

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٤٥.

(٢) ينظر: محاضرات في فلسفة اللغة : ١٠٧، وبلاغة الجاج الأصول اليونانية: د. الحسين بنو هاشم: ٣١٣-٣١٤.

(٣) ينظر: التداولية عند العلماء العرب : د. مسعود صحراوي : ٢٠٠-٢٠١.

(٤) ينظر: نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان : د. الحسين بنو هاشم : ٤١.

محددة أمام فكرة أو أفكارٍ آخر^(١)، كذلك يشترك الخطاب الحجاجي - بوصفه فعلاً كلامياً - مع فعل الكلام بإرادة القصد والعمل على تحقيقه، ومراعاة المقام في عملية التخاطب .

يتضح مما تقدم أنَّ الفعل اللغوي والفعل الحجاجي ينطلقان من رؤية واحدة، ويمتلكان نفس الخصائص بانتمائهما إلى منطق اللغة الطبيعي، ويتخذان من السياق، والقصد وظروف التلفظ منطلقاً إنجازياً يدخلهما في نظرية الفعل الكلامي، وكلاهما يسعى إلى تغيير فكرة أو سلوك المتلقي، بحمله على الاقتناع، أو تخويفه، أو تحذيره، أو تشجيعه أو مدحه أو إرشاده ... وهذا ما جعل ((نظرية الحجاج في اللغة امتداداً وتطويراً لنظرية الأفعال اللغوية، بل إنَّ ديكره يعتبر الحجاج فعلاً لغوياً خاصاً))^(٢).

أما قوة فعل الكلام فإنَّها مصطلح أطلقه أوستين على الفعل الانجازي إذا كان مطابقاً لظروف التلفظ، أي ليس مجرد منطوق عارٍ عن السياق، وفي ذلك يقول: ((ولقد شرحت إنجاز فعلٍ ما في هذا المأخذ الثاني الجديد على أنَّه إنجاز لقوة فعل الكلام أي إنجاز فعل في حال قول شيء ما (مع مراعاة مقتضى المقام) على خلاف إنجاز فعل ما بمجرد القول وإيراده عارياً عن القرائن الدالة، وأُسمي الفعل المنجز قوة فعل الكلام))^(٣).

تصنيف سيرل للأفعال اللغوية :

بعد الاعتراضات التي قدمها على تصنيف أستاذه لأفعال الكلام قام سيرل بتصنيف الأفعال الكلامية إلى خمسة أقسام هي :

١ - الإثباتيات أو الإخباريات^(*):

هي الأفعال الكلامية التي تمثل الواقع وتصفه، و ((هي أن تُقدم الخبر بوصفه تمثيلاً لحالة موجودة في العالم))^(٤) ويمكن أن توصف بالصدق أو الكذب^(٥)، ويكون اتجاه المطابقة في الإثباتيات

(١) ينظر: الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله: (بحث منشور): ٨٤.

(٢) نفسه: ٨٧.

(٣) نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام: ١٢٠.

(*) يسميها سيرل الإثباتيات بحسب ترجمة سعيد الغانمي، وتسمى أيضاً الحكميات، أو التقارير، أو التوضيحيات، أو التصويريات، أو التأكيدات، أو الإخباريات.

(٤) العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي: ٢١٧.

(٥) ينظر: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري: ٢٥.

من القول إلى العالم، أي أنّ هذه الأفعال تحاول جعل المنطوق مطابقاً للعالم، والأحداث المعبر عنها ((وغرضها هو بيان اعتقاد المتكلم بخبرٍ ما أو قضية ما))^(١) ويشترط فيها أنّ المتكلم يمتلك شواهد أو أسساً أو مبررات ترجح صدق المحتوى القضوي^(٢)، والغرض الإنجازي فيها هو وصف المتكلم لوقائع معينة، ويتمثل شرط الصراحة فيه بنقل ذلك الحدث، أو الوقائع نقلاً صادقاً، وقد ورد هذا النمط من أفعال الكلام في شعر الوائلي في مائة وأربعة مواضع^(٣) من شعره ومن ذلك قوله : [البحر الخفيف]

إِنْ تَهَاوَى الضَّرِيحُ وَالْإِيوَانُ مَا تَهَاوَى الشُّمُوحُ وَالْعَنْفَوَانُ
إِنَّمَا تُهْدَمُ الْحِجَارَةُ وَالْمَضُّ (م) مَوْنٌ يَبْقَى عَلَى الْمَدَى وَيُصَانُ
وَبَدِيَّةٌ أَنَّ الْحَقَّائِقَ تَبْقَى وَتَمُوتُ الْأَحْقَادُ وَالْأَضْغَانُ
أَنْتَ أَسْمَى مِنْ أَنْ يَنَالَكَ يَوْمًا مَدْفَعٌ حَاقِقٌ وَكَفٌّ جَبَانُ
أَنْتَ مُنْذُ الطُّفُوفِ فِي الْأُفُقِ صَوْتُ هَادِرُ الْوَقْعِ صَاخِبٌ مِرْنَانُ^(٤)

هذه الأبيات من قصيدة عنوانها (مدافع الجبن) عرّض فيها بالنظام الحاكم على إثر قيامه بقصف ضريح الإمام الحسين (عليه السلام)، والفعل الكلامي المنجز هو فعل الإخبار، وهو من الوجهة التداولية فعل كلامي مطابق لشروط الإنجاز، فوصف الحادثة تم بشكل غير مباشر، و تضمن الفعل الكلامي شواهد وقرائن تؤكد صدق وقوع هذا الحدث، وبذلك يكون مطابقاً للواقع، أمّا اتجاه المطابقة فكان الفعل الكلامي مطابقاً للموضوع الذي خصه المتكلم، ومعيار الصدق في ذلك هو التطابق بين الملفوظ والعالم فكل الأحداث التي تضمنها الخطاب هي واقع مشهودٌ بحصوله مما يجعل الإنجاز في الفعل الكلامي إنجازاً ناجحاً)) (إنّ فعل الكلام الإنجازي يتحدد بكونه فعلاً

(١) نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والاسلامي: ١٢٥.

(٢) ينظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: ٣٠، والأنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية: ٥٠٦، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٤٩.

(٣) ينظر: ديوان الوائلي: ٤٧، ٨٤، ٤٩، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٤، ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٤، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٥، ٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٤، ١٠٨، ١٠٩، ١١٣، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١٢٠، ١٢١، ١٢٥، ١٢٩، ١٣٠، ١٤٣، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٢، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٩، ١٧١، ١٧٢، ١٧٧، ١٧٦، ١٨٤، ١٨٨، ١٩٢، ١٩٩، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٤٣، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٢، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٨، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٨، ٣٠٣، ٣١٢، ٣٢٨، ٣٥١، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٧٩، ٣٨٤، ٣٩٣، ٣٩٧، ٤٠٣، ٤٢٧، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٨، ٤٩٤، ٥٠١.

(٤) ديوان الوائلي: ١٤٣.

أُنْجِرَ ضَمْنِ قَوْلٍ مَا))^(١) ففعل الإخبار هنا من الوجهة الحجاجية مبني على حجة الواقع، وهي من أقرب الحُجج إلى ذهن المتلقي.

٢- التوجيهيات، أو الأمرات :

في هذا النمط من الأفعال يحاول المتكلم أن يجعل المتلقي يتصرف بطريقة متلائمة مع ما يقصده المتكلم في خطابه^(٢)، ويعرفها أحمد المتوكل بقوله: ((هي أفعال يقصدُ بها المتكلم حَمْلَ الْمُخَاطَبِ عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ مَا))^(٣)، ويكون اتجاه المطابقة من العالم إلى القول، ويحاول المتكلم في هذه الحالة أن يُحَقِّقَ وضِعاً في المستقبل، وتتضمن هذه المجموعة من الأفعال الكلامية بصورة ضمنية أفعالاً مثل يدعو إلى، ويتحدى^(٤)، أو يُحَرِّضُ، ويتمثل شرط الصدق في هذه الأفعال برغبة المتكلم^(٥)، وقد ورد هذا النوع من أفعال الكلام في ثلاثة وثمانين موضعاً^(٦) من شعر الوائلي ومن ذلك قوله: [البحر البسيط]

وَلَا جَلَالَ لَهَا فِي جُرْحٍ مُحْتَجِمٍ	إِنَّ الدِّمَاءَ جَلَالٌ فِي جِرَاحٍ وَغَيٍّ
لَهُوَ وَأُصْلَى مِنَ الْبُلُوِّ بِمُحْتَدَمٍ	أَشْجَى وَأَنْتُمْ بِلَا شَجْوٍ وَيَغْمُرُكُمْ
وَالْدَهْرُ مَدْرَسَةٌ لِلْقَارِيِ الْفَهْمِ	مَا بِالْكُمِّ وَاللَّيَالِي كُلُّهَا عِبْرٌ
حَتَّى الدُّبَابِ عَلَى الْآنَافِ لَمْ يُرَمِ ^(٧)	أَلَا تَذُودُونَ عَنْكُمْ أَيَّ عَادِيَةٍ

تتضمن هذه الأبيات دعوة من الوائلي إلى أبناء شعبه بالثورة ضد الحكم الظالم، وهذا فعلٌ كلامي غير مباشر، عمد فيه لاستنهاض الهمم، وترميم الحماس في نفوس الشعب وتوجيههم إلى ثورة ضد الطغاة، من غير أن يتضمن قوله فعل أمرٍ دالٍ على ذلك، وهو ما نبه عليه القدماء في بحوثهم المستفيضة في التفسير والبلاغة من مثل تضمين الخبر معنى الأمر، وفي هذا المعنى قال

(١) البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل: ٥٧.

(٢) ينظر: العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي: ٢١٨.

(٣) اللسانيات الوظيفية مدخل نظري: ٢٥.

(٤) ينظر: نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي: ١٢٥.

(٥) ينظر: العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي: ٢١٨.

(٦) ينظر: ديوان الوائلي: ٤٥، ٤٨، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٦١، ٦٧، ٦٨، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٨١، ٨٤، ٨٥،

٨٨، ٨٩، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٠١، ١٠٢، ١١٢، ١٢٢، ١٤٣، ١٤٧، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٩، ١٦٦، ١٧٨،

١٩٩، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٨، ٢٢٨، ٢٤٠، ٢٥١، ٢٦٠، ٢٧١، ٢٨٥، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٠٢، ٣١٧، ٣٢٦،

٣٣٥، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٤٦، ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٥٨، ٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٧٣، ٣٧٨، ٣٨٧، ٣٩٥، ٤١١، ٤٢٢،

٤٢٨، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٩، ٤٤٣، ٤٤٦، ٤٤٨، ٤٦٣، ٤٧٣، ٤٨٦، ٤٩٨، ٥٠٣، ٥١٣.

(٧) نفسه: ٢٠٥.

الزَّجَاج (ت ٣١١هـ) في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢]: ((هذا لفظ خبر فيه معنى أمر))^(١)، وهذا يُكسِبُ خطاب الوائلي صفة فعل الأمر من غير أن يتضمن قوله أي صيغة لفعل الأمر وهذا ما أكسبه صفة الفعل الكلامي غير المباشر؛ لأنَّه يشير إلى معنى (يدعو إلى)، و يرى (كلاوس برينكر) أنَّ الجانب الاستثاري للنص لا يتضمن كلمات من مثل (يدعوا إلى) صراحة بل نادراً ما نجد تلك التعابير، وإنَّما يعبرُ عنها بطرق غير مباشرة^(٢)، ويعمد المتكلم في مثل هذا النوع من الأفعال الكلامية إلى إثارة مشاعر المتلقين فيحفز شعور المتلقي فيما يتعلق بالقضية التي يتحدث عنها^(٣) أو ينعته بصفات تستثيره للقيام بعمل يرغب فيه المتكلم، وقد ورد هذا في خطاب الوائلي في قوله: ((أَلَا تَذُودُونَ عَنْكُمْ أَيَّ عَادِيَةِ حَتَّى الذُّبَابِ عَلَى الْأَنَافِ لَمْ يُرَمِ) فهذا البيت يمثل استثارة صريحة لهم، إذ إنَّه ينعتهم بالتكاسل والتخاذل، من أجل أن يُثبتوا خلاف ذلك^(*)، فالمحتوى القضوي هو فعل الأمر، أو ما يفضي إليه الخطاب من صيغة الأمر.

يتضح مما سبق أنَّ التوجيهات، أو الأُمريات هي (استراتيجية) خطابية يلجأ إليها المتكلم موارياً فيها فعل الأمر واطهار ما يدلُّ عليه، ويتضح قصده من القرائن اللفظية، والمعنوية مضافاً إليها قرينة السياق^(٤) ويرى (سيرل) أنَّ ((كُلُّ توجيه هو تعبير عن رغبة، بأن يقوم المستمع بالفعل الموجه به))^(٥) فالخطاب الذي وجهه الوائلي إلى شعبه داعياً إياه إلى ثورة تطيح بعرش الطغاة هو فعل كلامي غير مباشر، هدفه إقناع متلقيه بتغيير واقعه الأليم إلى واقع أفضل، أو الموت دون ذلك، ويتضح الجانب الحجاجي للتوجيهات في أنها قد تقع أو لا تقع من جانب المتلقي، وفي ذلك يقول (سيرل): ((والتوجيهات من طراز الأوامر والطلبات لا يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة، لكن

(١) معاني القرآن وإعرابه: أبو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج: تح: د. عبد الجليل عبده شلبي: ٢/٤٧٥.

(٢) ينظر: التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج: كلاوس برينكر: ترجمة: د. سعيد حسن بجيري: ١٤٤.

(٣) ينظر: الحجاج في الخطاب السياسي: عبد العالي قادا: ٣٢٢.

(*) في بعض السياقات يلجأ المتكلم إلى هذه الأساليب الاستفزازية؛ ليحدث أثراً عند المتلقي يتمثل في إنجاز فعل يرغب فيه المتكلم، فينعت المتلقي بصفات غير محمودة، كأن أقول لشخص: أنت بخيل، حتى أحصل على كرمه، أو أقول لشخص: أنت فرار حتى يثبت أنه شجاع كرار، ومن ذلك قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في خطبته التي يحرض فيها أنصاره على جهاد أهل الشام: ((فَقُبْحاً لَكُمْ وَ تَرَحُّاً، حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَى، يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَ لَا تُغَيِّرُونَ، وَ تُغَزُّونَ وَ لَا تُغَزُّونَ، وَ يُغْصَى اللَّهُ وَ تَرْصُونَ)): شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: تح: محمد أبو الفضل ابراهيم: ٢/٧٤-٧٥.

(٤) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسَّان: ١٨٢.

(٥) العقل واللغة والمجتمع والفلسفة في العالم الواقعي: ٢١٨.

يمكن أن تُطاع أو تُهمل أو يُخضع لها أو تُستكر^(١)، وهي بهذا تلتقي مع الحجاج لأنه غير ملزم للمتلقي .

٣ - الالتزاميات أو التعهدات:

((هي أفعال كلامية يتعهد فيها المتكلم، أو الكاتب إزاء السامع، أو القارئ بأن يقوم بشيء، أو يمتنع عن القيام بشيء))^(٢)، وخلافاً للتوجيهيات فإن التعهدات تلزم المتكلم بها أن يقوم هو بإنجاز الفعل الكلامي وليس المتلقي، وفي التعهدات يتساوى التعريف بين أوستين، وسيرل^(٣)، ويكون اتجاه المطابقة من العالم إلى القول، ويدخل في هذه المجموعة من الأفعال الوعد، والوصية، والقسم، والوعيد، والنذر، والضمن^(٤)، ...، أعمل الوائلي هذا الفعل الكلامي في ستة وتسعين موضعاً^(٥) من شعره، ومن ذلك قوله: [البحر الكامل]

أَقْسَمْتُ إِنْ أَرَخَى الظَّلَامُ سَدْوْلَهُ أَنْ لَا أَفَارِقَ كَوْكَبَ الخِرْقَاءِ^(٦)

يمثل القسم وجهاً من وجوه الالتزاميات أو التعهدات، وقد أنجزَ الوائلي في هذا الخطاب فعلاً كلامياً غير مباشر هو فعل القسم، ويُقاس صحة إنجاز الفعل الكلامي الخاص بالتعهدات إذا تضمن شروطاً تؤكد صحة إنجاز هذا الفعل وهي :

- ١- أن يكون المتكلم هو المسؤول عن إحداث المطابقة .
- ٢- أن تكون تأدية الفعل في زمن المستقبل .
- ٣- أن يكون المتكلم في مقام يسمح له بتأدية ما ألزم نفسه به .
- ٤- وجود النية، والصدق في تأدية هذا الفعل^(٧) .

(١) نفسه: ١١٨.

(٢) نظرية نسقية في الحجاج المقاربة الذريعية الجدلية: ٨٤.

(٣) ينظر: نفسه: ٨٤، والمقاربة التداولية: فرانسواز أرمينكو: ٦٧.

(٤) ينظر: العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي: ٢١٨.

(٥) ينظر ديوان الوائلي: ٤٩، ٥٣، ٦٦، ٧١، ٧٥، ٧٦، ٨٣، ٨٤، ٩٩، ١٠٠، ١٠٨، ١١٦، ١١٧، ١٢٣، ١٢٥،

١٤٩، ١٥٢، ١٥٧، ١٦٢، ١٧٠، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٥، ١٩٤، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٧،

٢٠٩، ٢٢٠، ٢٢٦، ٢٣٨، ٢٤٤، ٢٥١، ٢٦٤، ٢٦٦، ٣٠٢، ٣٠٧، ٣١٤، ٣١٦، ٣٢٤، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤١،

٣٤٤، ٣٤٥، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٥، ٣٦٩، ٣٧٢، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨٧، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٩، ٤٠٤، ٤٠٦، ٤١٠،

٤١٥، ٤١٩، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٩، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٩، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٦، ٤٤٨، ٤٥٢، ٤٥٥، ٤٦٣، ٤٦٥،

٤٧٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٩، ٤٩١، ٤٩٢، ٥٠٣، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥١٢، ٥١٦، ٥٠٣.

(٦) نفسه: ١٢٣.

(٧) ينظر: الأنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية: ٥٠٧.

وإذا عدنا إلى الفعل الكلامي نجده طابق شروط الإنجاز، فالمتكلم هو الذي ألزم نفسه بالقسم وتأدية الفعل، والقرينة النحوية الدالة على ذلك ضمير المتكلم (التاء) في قوله: (أَقْسَمْتُ) الذي ينوب عن قوله أنا، فالمتكلم هو الذي يُقسم، وهو المسؤول عن إحداث المطابقة بين ما يقول ويفعل، ويتضمن الفعل الكلامي قرينة دالة على الاستقبال تمثلت بأسلوب الشرط؛ لأنَّ أسلوب الشرط أكثر ما يقع في المستقبل، قال ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) في أماليه: ((إِنْ جَعَلْتَ الْفِعْلَ دَالاً عَلَى الْإِسْتِقْبَالِ مِنْ قَبْلِ الشَّرْطِ، امْتَنَعَ دُخُولُ الْفَاءِ، وَهَذَا هُوَ الْكَثِيرُ؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ فِي أَصْلٍ وَضَعَهُ لَا يَدُلُّ عَلَى الْإِسْتِقْبَالِ خُصُوصاً فَصَارَ الْإِسْتِقْبَالُ فِيهِ مِنَ الشَّرْطِ))^(١)، فأسلوب الشرط هو من أضفى دلالة الاستقبال على الفعل الكلامي.

أما ما يخص الشرط الثالث من شروط إنجاز الفعل الكلامي، فهو متحقق لأنَّه متعلق بإرادة الإنسان، وقدرته وإمكانيته، فالخطاب هنا يشير إلى سهره، تعبيراً عن همه وحزنه الذي يلزمه حتى في ليل الشتاء الطويل، الذي عبر عنه بملازمته لكوكب الخرقاء^(*). والشرط الرابع من شروط الإنجاز، المتمثل بالصدق ووجود النية الحقيقية في الأداء يمكن أن نقول عنه أنَّه متحقق، وإن كان هذا الأمر لا يخضع لمعيار، لكنَّ المتأمل في حياة الوائليَّ سيجد أنَّه صادق في هذا؛ لأنَّه قضى شطراً طويلاً من حياته بعيداً عن أهله ووطنه فعبر عما يؤرق صفو حياته بهذا الفعل الكلامي، الذي أكدّه بالقسم، وصاغه بطريقة استعارية، وقد عبر عن هذا الأمر في كثير من قصائده.

٤ - التعبيرات^(٢):

هذا النوع من أفعال الكلام يعبرُ فيه المتكلم عما يشعر به تجاه الآخرين، والواقع ويتمثل الغرض الإنجازي في ((تعبير المتكلم عن الموقف النفسي تعبيراً يتوافر فيه شرط الإخلاص))^(٣) ويخلو هذا الصنف من أفعال الكلام من اتجاه مطابقة؛ إذ لا يوجد معيار محدد لمعرفة صدق المتحدث، ولا يمكن اختبار مطابقة الخطاب مع الواقع والمواقف المُعبر عنها، فقد يؤدي أحدهم فعل الاعتذار وهو لا يريد ذلك، ويمثل هذا الصنف من أفعال الكلام: الترحيب، والتهنئة، والشكر، والتعزية، والرفض، والتهكم، والإنكار والاعتراض ... فالمتكلم بمجرد التلفظ بالفاظ مخصوصة

(١) أمالي ابن الحاجب: أبو عمر عثمان بن الحاجب: تح: د. فخر صالح سليمان قدادة: ٧٣٢/٢.

(*) الخرقاء اسم امرأة نسب الكوكب إليها؛ لظهور جدها في تهيئة ملابس الشتاء بتفريقها قطنها في قرائبها ليغزل لها في زمان طلوعه الذي هو ابتداء البرد: دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد تكري: ١٠٧/٣.

(٢) وتسمى أيضاً البوحيات، والافصاحات، ينظر: الأنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية: ٥٠٧، و نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: ٣٢.

(٣) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٥٠.

متعارف عليها في مجتمع لغوي وفي سياق خاص، يكون قد أنجز فعلاً كلامياً من صنف التعبيرات، ومن التعبيرات قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى عامله على البصرة: ((أما بعد ، يا ابن حنيف، فقد بلغني أَنَّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، و تنقل إليك الجفان، و ما ظننت أَنَّك تجيب إلى طعام قوم، عائلهم مجفوّ، و غنيهم مدعوّ، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم))^(١)، فقله (عليه السلام) فعل كلامي غير مباشر يراد منه التوبيخ والتقريع، والعتاب، والرفض لهذا السلوك من رجل يفترض أن يكون مثلاً للزهد، والتواضع، والعدل بين الرعية، وهذا الفعل الكلامي من أكثر الأفعال الكلامية في شعر الواصل، إذ ورد في مائة وثمانية وتسعين موضعاً^(٢)، وذلك قوله: [البحر الطويل]

كفأكُم دِمَاءٌ يَا سَمَاسِرَةَ الْحَرْبِ أ فَيَكُم قُلُوبٌ أَمْ خُلِقْتُمْ بِلَا قَلْبٍ؟
أَمَّا هَزَكُم مَرَأَى يَتِيمٍ وَدَمْعَةً مُعَلَّقَةً مَا بَيْنَ جَفْنَيْهِ بِالْهُدْبِ؟^(٣)

يُشكل أسلوب الاستفهام مصداقاً من مصاديق الفعل الكلامي غير المباشر؛ لأنَّ الاستفهام لا يُستعملُ بمعناه الحقيقي إلا قليلاً، وأكثر ما يستعمل لأغراض و معان مقصودة يريد بها المتكلم^(٤) تتضح من السياق مثل الإنكار، والتوبيخ، والتعجب،... و من ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥] فالاستفهام هنا هو فعل كلامي غير مباشر متضمن معنى إنكار الفعل، وتوبيخهم على القيام به، و الفعل الكلامي الذي أنجزه الواصل ينتمي إلى مجموعة التعبيرات التي ينجز فيه المتكلم فعلاً كلامياً يعبرُ فيه عن شعوره تجاه

(١) شرح نهج البلاغة :ابن أبي الحديد المعتزلي:تح: محمد أبو الفضل ابراهيم:٢٠٥/١٦.

(٢) ينظر ديوان الواصل: ٤٥، ٤٧، ٥٥، ٥٩، ٦٤، ٦٩، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٦، ٩٣، ٩٤، ٩٦، ٩٨، ١٠١، ١٠٥، ١٠٦، ١١٠، ١١٢، ١١٥، ١١٦، ١١٨، ١١٩، ١٢١، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣١، ١٤٢، ١٥١، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٢، ١٦٥، ١٦٧، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٧، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٨، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣٠١، ٣١٠، ٣١٢، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٨، ٣١٩، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٤٦، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٨٠، ٣٨٣، ٣٨٦، ٣٩١، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٥، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٩، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٥٢، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٦٠، ٤٦٢، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٨، ٤٨٠، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٩٠، ٤٩٥، ٤٩٨، ٥٠١، ٥٠٤، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥.

(٣) ديوان الواصل: ٢٢٦.

(٤) ينظر: البلاغة العربية : عبد الرحمن بن حسن حَبَّكَّة: ٢٦٩/١.

الآخرين فيظهرُ فرحهُ، أو حزنهُ، أو سخطهُ، أو شكرهُ، أو أسفه^(١) ...، أمّا الفعل المنجز هنا فهو فعل الإنكار والرفض، وقد أُشرب معاني آخر مثل التوبيخ، والتعجب، والسخط ؛ لأنّ القتال ليس حلاً صالحاً بل هو أمرٌ يخلف الكثير من التعقيد، ويلقي بظلاله السلبية على المجتمع، والفعل الكلامي مطابقٌ لشروط الإنجاز التي بدت واضحةً من السياق اللغوي الذي استعمله الوائلي في خطابه الموجه إلى الساسة الذين شبههم بسماسرة الحرب، وهو تعبير عن سُخطه، وإنكاره لما يقوم به هؤلاء من أفعال بعيدة عن الإنسانية، والخطاب كشف عن المحتوى القضوي الذي تضمنه أسلوب الاستفهام، ومرونة هذا الأسلوب في التعبير عن أغراض متعددة وقدرته على توجيه الخطاب نحو إرادة وقصد المتكلم في رفض الحرب والدمار، وإنكار هذا الفعل الذي لا يمتُّ للإنسانية بصلة.

٥ - التصريحات :

يُحدثُ هذا النوع من الأفعال الكلامية تغييراً في العالم عند أدائه مثل قول رئيس دولة ما (أعلن الحرب)، ويتطلب هذا النوع من الأفعال الكلامية مؤسسة غير لغوية، كأن تكون مؤسسة دينية (كنيسة، أو مسجداً) ،أو سياسية^(٢) (ممثّل دولة، رئيساً، أو وزيراً...) أو اجتماعية (قاضي محكمة)، أو سلطة ربّ العمل في طرد موظف ما، أو قبول استقالة وهذا النمط من الأفعال الكلامية قليل الحدوث، و لايمكن إنجازهِ إلّا بوجود مؤسسات خارج اللغة^(٣)؛ لذا لم أجد له شاهداً في شعر الوائلي.

(١) ينظر: نظرية نسقية في الحجاج المقاربة الذريعية الجدلية :٨٥.

(٢) ينظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: ٣٤، و آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر :٥٠.

(٣) ينظر: العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي: ٢٢٠.

المبحث الثالث: الاستلزام الحواري:

يعد الاستلزام الحواري من الجوانب التي اهتمت الدراسات التداولية بالوقوف عليه وسبر أغواره، فهو محور رئيس من محاور التداولية، ويكشف الاستلزام الحواري الجانب الرمزي للغة الذي يعتمد على كفاية طرفي الخطاب، وعلى ثقافة المجتمع اللغوي الذي تحكمه سُننٌ لغوية يخضع لها السائرون على تلك السنن، وينسب الاستلزام الحواري إلى (غرايس)، ففي عام ١٩٦٧ قام الفيلسوف الأمريكي (بول غرايس) بإلقاء محاضرات في جامعة هارفرد عنوانها (المنطق والحوار)، ثم أخذت هذه الدراسات تتطور على يده حتى خرجت في صورتها النهائية في سنة (١٩٨١)^(١)، وينطلق الاستلزام الحواري عند غرايس من فكرة أنَّ الناس في حواراتهم يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون^(٢)، فكان جلُّ اهتمامه منصَّباً على إيضاح الاختلاف بين ما يقال وما يقصد، وهنا يلتقي فعل الكلام غير المباشر مع الاستلزام الحواري، ويُعرف الاستلزام الحواري أنَّه ((المعنى المُستفاد من السياق))^(٣)، فالجمل المنطوقة قد تحمل أكثر من معنى، فما يُقال هو صورة للألفاظ، أمَّا القصد فهو ما يبتغي المتكلم إيصاله إلى السامع، ولا يتضح إلَّا إذا اتصل بسياق^(٤)، و الاعتماد على المعنى الكامن في الخطاب يكشف صلة القرابة بين الاستلزام الحواري، والفعل الكلامي غير المباشر، فكلاهما يعتمد القصد الذي يسميه سيرل المحتوى القضوي للخطاب، يقوم مفهوم الاستلزام الحواري عند غرايس على الكيفية التي تستعمل فيها اللغة؛ لأنَّ اللغة بحسب نظريته نشاط عقلي هدفه فتح أبواب التعاون بين المتخاطبين^(٥)، على

(١) ينظر: ينظر: اللغة والحجاج: ١٠٨.

(٢) ينظر: دروب التداولية: محمد أمطوش: بحث ضمن كتاب التداولية مقاربات في المفهوم والتأصيل: ٢٠٠.

(٣) النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ: ٨٦.

(٤) ينظر: نفسه: هامش: ٨٦، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٣.

(٥) ينظر: محاضرات في فلسفة اللغة: ١٥.

هذا الأساس حاول أن يضع قوانين تخاطبية تحكم الخطاب كمّاً وكيفاً، أطلق عليها (مبدأ التعاون)^(١)، وهو ((مجموعة القواعد التي يخضع لها المتحاورون؛ ليتحقق التواصل بينهم، وليصلوا إلى فائدة مشتركة تتطور بقدر ما يساهم كل طرف مساهمة فعّالة في الحوار، وبما يراه مناسباً لمقام القول))^(٢)، وتنضوي تحت مبدأ التعاون مجموعة من القواعد التخاطبية تمثل القواعد التي تحكم سير الخطاب عند غرايس، و أهم هذه القواعد هي :

١ - قاعدة الكم: اجعل إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه الحوار، فلا تزيد أو تنقص^(٣).

٢ - قاعدة الكيف: ليكن قولك صادقاً، ولا تقل ما لا تمتلك دليلاً عليه^(٤).

٣ - قاعدة المناسبة: ليكن كلامك في حدود مناسبة القول، أي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فليس للمتكلم أن يخرج عن مناسبة الحديث^(٥).

٤ - قاعدة الطريقة: على المتكلم على وفق هذه القاعدة أن يتجنب الغموض، واللبس، وأن يكون كلامه واضحاً، ويراعي الترتيب^(٦).

لكنّ الحوارات لاتسير دائماً على وفق هذه القواعد، بل كثيراً ما تنتهك هذه القواعد، وهذا الأمر لم يغيب عن (غرايس)، بل إنّ هذا الأمر هو محور نظرية الاستلزام، إذ إنّ انتهاك إحدى هذه القواعد ((هو الذي يولد الاستلزام الحواري))^(٧)، لكن هذا الخرق لقواعد النظرية يبقى في إطار عام هو الالتزام بمبدأ التعاون، إذ كل ما يحرص عليه المتكلم هو إيصال وإبلاغ المعنى الذي يريده إلى المتلقي حتى لو كان ذلك على حساب خرق قواعد التخاطب، لكن هذا الخرق في حقيقته هو عملية تواضع على شفرات متعارف عليها في مجتمع لغوي تجعل المتخاطبين متعاونين فيما بينهم من أجل الوصول إلى المعنى، من ذلك ما جاء في جمهرة الأمثال: ((وقفت امرأة على بعض الأجواد فقالت: أشكو إليك قلة الجرذان فقال: ما ألطف ما سألت وأعطاها حتى أغناها))^(٨)، يلحظ

(١) ينظر: محاضرات في فلسفة اللغة: ١٥، والاستلزام الحواري في التداول اللساني: ١٧.

(٢) النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ: ٩٠.

(٣) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٤، و محاضرات في فلسفة اللغة: ١٥.

(٤) ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني: ٩٩، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٤.

(٥) ينظر: نفسه: ١٠٠.

(٦) ينظر: محاضرات في فلسفة اللغة ، و آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٤.

(٧) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٥.

(٨) جمهرة الأمثال: أبو هلال العسكري: تح : محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش: ١٧٥-١٧٦.

يلحظ أنَّ السياق هو الفیصل فی بلوغ قصد المتكلم، فالتكلم خرق قاعدة الطريقة فلم يكن كلامه واضحاً، وخرق قاعدة المناسبة فكلامه لم يكن جارياً على وفق هاتين القاعدتين، فالمعنى المعجمي الصريح قد يفى بغرض المتكلم^(١)، وقد يكون هناك ما يمنع من التصريح المباشر فالخطاب السالف الذي قدمته امرأة قد يكون معبراً عن خجلها وهذا من طبيعتها، فعمدت إلى الطريقة غير المباشرة للتعبير عن حاجتها بخرق القواعد التخاطبية، وهذا الخرق يعتمد على علاقة الاستلزام العقلية التي يستنتجها المتلقي من محتوى الخطاب، أي القصد الكامن في الخطاب وليس شكله المعجمي، فقلة الجرذان نتيجة لسبب هو قلة الطعام، أو انتفاء وجوده في بيتها، ويتضح من هذا الخرق قدرة المخاطب، وأثر الخطاب في تحقيق الحجاج، فقد أقنعت المتلقي وأثرت فيه بخرقها لقواعد التخاطب، أي بالاستلزام الحواري وهذا ما نجده في الكنايات العربية فقولهم كثير الرماد إنما هو علاقة استلزام، فكثرة الرماد تستلزم أنَّه يطبخ كثيراً وهذا يعني أنه كريم مضياف، كلُّ هذه المعاني يتوصل إليها المتكلم، والمخاطب عن طريق الاستلزام الحواري، وهو أمرٌ يجعل من الاستلزام أداة فاعلة في صياغة المعاني وتأديتها^(٢)، وقد يدخل في الاستلزام الحواري الأمثال والحكم، لما تحمله من قدرة إنجازية يأتي بها المتكلم لتتسجم في سياق المنطوق، فقولهم: (الصَّيْفُ ضَيَّعَتِ اللَّبَنَ) مثلاً يضرب لمن فاته الأمر، ويريد استدراكه^(٣)، وهو استلزام حواري؛ لأنَّ المعنى يُفهم من السياق والظروف المحيطة بالخطاب .

أولاً: خرق قاعدة الكم:

يتوخى المتكلم في أي حوار، أو خطاب أن يوصل المعنى إلى المتلقي بطريقة يفهمها، تبعاً لكفايته، وعلى وفق هذا المبدأ، أو القاعدة يجب أن يكون الكلام مطابقاً لسياقه من حيث الكم فلا يزيد، ولا ينقص، وهذا التوجه في تحليل بنية الخطاب من حيث الكم نجده عند علماء العربية، فقد عالجوا هذا الموضوع في بحوثهم عن الإيجاز والإطناب، والمساواة، وقاعدة الكم في مبدأ التعاون الذي وضعه (غرايس) لاتعدو ما قال به القزويني (ت ٧٣٥هـ) في تعريفه المساواة، إذ عرفها بقوله: ((والمراد بالمساواة أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد، لا ناقصاً عنه بحذف أو غيره، و لا زائداً عليه بنحو تكرير، أو تتميم أو اعتراض))^(٤)، فتعريف القزويني لا يكاد يختلف عن قاعدة الكم

(١) ينظر: المحاوراة مقاربة تداولية: حسن بدوح: ٨٣.

(٢) ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني: ١٩.

(٣) ينظر: جمهرة الأمثال: ٥٧٦/١.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة: تح: محمد عبد المنعم خفاجي: ١٧٣/٢.

التي وضعها غرايس بل هو عينها، وتخرق هذه القاعدة الحوارية إذا كان الكلام يؤدي المعنى المراد بنقص، أو زيادة.

أ- خرق القاعدة بالنقص:

لايتضح قصد المتكلم بكثرة الكلمات، إنما هناك ما يوضح قصده فقد تكون هناك أدلة، أو قرائن^(١) تدل على قصده، فالمتكلم ليس به حاجة إلى ذكر كل ما يتعلق بالحديث فهناك كثير من الأشياء يستنتجها المتلقي من كفايته الثقافية، واللغوية فيكون عامل الوضوح في الخطاب حاضراً عند المتلقي استناداً إلى القرائن، والكفاية، مثلاً إذا كان (أ) و(ب) صديقي خالد، خالد شاعر اشترك في مسابقة أدبية لاختيار أفضل شاعر، (أ) يسأل (ب): ما أخبار خالد ؟ يجب (ب): حصل على المركز الثاني، فما يلحظ من جواب (ب) أنَّ خالداً اشترك في المسابقة، وحصل على المركز الثاني، لكنه لم يأتِ على ذكر اشتراك خالد في المسابقة؛ لأنَّها معلومة واضحة لدى الطرفين، وكذلك السؤال الذي وجهه (أ) فهِمَ (ب) منه أنَّه يريد نتيجة خالد في المسابقة الأدبية، فالجواب اتكأ على معلومات مسبقة واضحة، متعارف عليها بين طرفي التخاطب، وهذا عند القدماء يدخل في موضوع الإيجاز، قال ابن رشيق القيرواني: ((هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف))^(٢)، ويمكن الإيجاز عندهم في تقليل الألفاظ ، وتكثير المعاني^(٣)، أي أن يؤدي المتكلم معنى تاماً بخطاب موجز، خُرِقتْ هذه القاعدة في أربعة وستين موضعاً من شعر الوائلي^(٤)، من ذلك قوله: [البحر الخفيف]

أَيُّهَا الْحَاكِمُونَ قَدْ طَفَحَ الْكَيْبُ (م) لُفَمَا فِي الْإِنَاءِ مَا يَسْتَزِيدُ^(٥)

هذا البيت من قصيدة قالها منتقداً السلطة الحاكمة، والممارسات القمعية، التي تقوم بها بحق الشعب، وقد أسسها على الاستلزام الحوارية، فقوله (طفح الكيل) يعني أنَّ الأمر بلغ حداً لا يطاق،

(١) ينظر: الاستلزام الحوارية في التداول اللساني ١٠٥.

(٢) العمد في محاسن الشعر وآدابه: ٢٥٠/١.

(٣) ينظر: كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ): تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم: ١٧٦.

(٤) ينظر: ديوان الوائلي: ٥٠، ٥٣، ٦١، ٦٥، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٦، ٨٧، ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٦، ٩٩،

١٠١، ١٠٤، ١٠٨، ١١١، ١١٢، ١١٦، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٤، ١٢٨، ١٥٢، ١٥٤، ١٦٨، ١٧٥، ١٨٥، ١٨٩،

١٩٤، ٢٠١، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١٢، ٢٢٦، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٦، ٢٥١، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٨٠، ٢٩٥،

٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٤، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣١، ٣٣٤، ٣٤٠، ٣٤٥، ٣٥٤، ٣٦٢، ٣٨٢، ٤٣٣.

(٥) نفسه: ٢١٢.

ولا يمكن السكوت عليه، فالوائلي لم يذكر أنهم قتلوا الشعب، وأذاقوه الويلات ورموا الناس في قعر السجون، و...، كل هذه المعاني استوعبها الخطاب بشكل موجز وهذا المعنى للاستلزام يتداخل فيما أرى مع معنى الكناية، فالكناية لفظ، أو خطاب يدل على معنى مستحصل بطريقة غير مباشرة، يعتمد على الاستنتاج^(١)، أي إنَّ اللفظ يكون دليلاً على ما يريده المتكلم، وليس بالضرورة أن تكون الكناية بإيراد لفظ يرادف المعنى وقول الوائلي (طفح الكيل) ما هو إلا دليل على أنَّ الظلم أخذ مأخذه من الشعب، وهو من الوجهة التداولية استلزام حوارى يقصد منه المتكلم أننا ظلمنا كثيراً، ولم نعد نحتمل أكثر وهذا الاستلزام خرق قاعدة الكم بالنقص فأورد المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ، وهو فعل كلامي غير مباشر يراد منه الرفض، وقد تداخل مع معنى التهديد، والوعيد.

ب- خرق قاعدة الكم بالزيادة:

يقع الخرق بالزيادة عندما يذكر المتكلم كل التفاصيل المتعلقة بموضوع الحديث، أو القسم الأكثر منها، ويكون لهذه الزيادة دواعٍ يقتضيها السياق، فقد يؤدي التعبير المباشر مثل رفض الطلب إلى إحراج المتلقي، فيعمد المتكلم إلى هذه الزيادة التي تتضمن جانب إيصال المعنى، وجانباً حجاجياً يتضمن إقناع المتلقي، فإذا طلب أحدهم من صديقه أن يُعيّره كتاباً من الكتب، فيجيبه صديقه: لقد أعرت كُتُباً كثيرة إلى الأصدقاء، ولم يرجعها أحد، يُلاحظ أنَّ الجواب هو رفض إعارة الكتاب، لكن هذا الرفض لم يكن بصيغة الرفض المباشر بل بطريقة الاستلزام، أي إنَّ المتلقي يستنتج، أنَّه يرفض إعارة الكتاب له، فالرسالة التي أبلغها المتكلم - تتضمن خطاباً حجاجياً - أنت مثل الآخرين لن تعيد إليّ الكتاب لذلك لن أعيرك الكتاب، ويسمى هذا الأسلوب عند القدماء الإطناب، أي إنَّ اللفظ يعبر عن المعنى مع زيادة، وهذه الزيادة هي لإفادة الحجاج فيما أرى، قال ابن الأثير في تعريف الإطناب: ((هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة))^(٢)، فالمتكلم في المثال السالف لم يرفض وينتهي الأمر بالرفض، إنَّما علل، وبين سبب الرفض، وهذه هي فائدة الإطناب، فالإيجاز أو الخرق بالنقص لا يفي بهذه الأغراض هنا، مع مراعاة القصد في الخطاب، فالقصد هو القوة التي تدفع الخطاب نحو تحقيق غايته، والقصد هو الذي يوضح الرسالة المضمرة^(٣).

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ١١٠.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢/٢٨٠.

(٣) ينظر: الاستلزام الحوارى في التداول اللساني: ١٠٦.

ووقع هذا الخرق في ستة وأربعين موضعاً^(١) في شعر الوائلي من ذلك قوله: [البحر البسيط]

أُمِّي إِذَا كَانَتْ الْجَنَاتُ مَصْدَرُهَا مِنْ تَحْتِ رَجْلِيكَ فِيمَا يَذْكُرُ الْخَبْرُ^(٢)

هذا البيت من قصيدة نظمها بمناسبة عيد الأم، وقد تضمن هذا البيت بحسب قاعدة الكم خرقاً بالزيادة، وهذه الزيادة تجلت في قوله: (فيما يذكر الخبر)، فقد ذكر ألفاظاً تدل، أو توصل إلى الحديث الشريف المعروف في الثقافة الإسلامية، وهو قول رسول الله الأكرم (ﷺ): (الجنة تحت أقدام الأمهات)^(٣)، فبحسب قاعدة الكم التي تقتضي أن يكون الكلام على قدر المعنى لا يزيد ولا ينقص، لكنَّ الوائلي خرق هذه القاعدة فزاد في ألفاظ الخطاب، وهذه الزيادة جيء بها لغرض التأكيد على قدسية الأم، فالرسالة المتضمنة في الخطاب هي أَنَّ الله قدس الأم على لسان رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا الزيادة هي ما يضيفي على الخطاب قوة إقناعية، قال ابن الأثير: ((وبعد أنَّ أنعمت نظري في هذا النوع الذي هو الإطناب، وجدته ضرباً من ضروب التأكيد التي يؤتى بها في الكلام قصداً للمبالغة))^(٤) وهذا يعني أنَّ الزيادة في الخطاب تخضع لوظيفة لغوية تتمثل في إقناع المتلقي، وتأكيد رسالة المتكلم للمتلقي، وقد يكون الغرض من هذا الإطناب إيضاح أمر بعد أن كان مبهماً، أو ليتمكن في النفس بإيراده مفصلاً، أو لتعظيم أمر وتقديره^(٥)، وهذا يؤكد سمة الحجاج في هذا النمط من الاستلزام.

ثانياً: خرق قاعدة الكيف:

تقتضي هذه القاعدة أنَّ يكون المتكلم صادقاً في قوله، ويؤدي خرقها إلى نوع من أنواع الاستلزام الحواري، ويتجلى هذا الاستلزام في وجه من وجوه البيان، وهو الاستعارة فالاستعارة خرق لقاعدة الصدق، وإذا ما وضعت في معيار الصدق والكذب فهي قول كاذب، و يؤكد الباحثان جاك موشر، وأن روبرول ذلك بقولهما: ((نؤكد أنَّ الاستعارة كاذبة من الوجهة الحرفية، ولكنها صادقة من الوجهة غير الحرفية))^(٦)، و خرق هذه القاعدة ليعني بالضرورة خروج الخطاب عن مبدأ

(١) ينظر: ديوان الوائلي: ٤٥، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٣، ٥٤، ٥٩، ٦٠، ٧٩، ٨٨، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٦، ١٠٠، ١٠٤، ١١٣، ١١٦، ١٢١، ١٢٤، ١٢٥، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٧، ١٤٩، ١٥١، ١٦٠، ١٧٣، ١٩٧، ٢٠٦، ٢١٢، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٦٠، ٢٦٥، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٦، ٣٠٠، ٣٠٣، ٣٣٢، ٣٤١، ٣٦٦، ٤٣٤.

(٢) نفسه: ٢١٨.

(٣) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: تح: بكرى حياني وصفوة السقا: ٤٦١/١٦.

(٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ١١٩/٢.

(٥) ينظر: شرح التلخيص في علوم البلاغة: ١٣ والبلاغة والتطبيق: أحمد مطلوب وكامل حسن البصير: ٢٠٢.

(٦) التداولية اليوم علم جديد: ١٩٢.

التعاون فما يوصف بالكذب هو الذي يؤدي إلى إعادة إنتاج المعنى، فالمتكلم حين يعدل بقوله من الخطاب الصريح إلى الاستعارة لم يخرج من دائرة الوضوح، ويدخل في دائرة الإبهام، بل إنَّ هذه الاستعارة هي ما يضيف زيادة إلى المعنى، وإنَّ ما يسمى كذباً في الاستعارة هو الذي يضيف عليها طابعاً حجاجياً؛ لأنَّه هو من يحدث أثراً في المتلقي^(١)، فقول شخص لطفلته: (أنتِ القمر) إنّما هو قول كاذب، لكنَّ الأثر الذي يحدثه أكثر تأثيراً من قوله: (أنتِ جميلة) فقوله الأول يضيف عليها صفة الجمال مع زيادة، وهذا ما يكسب قوله أثراً حجاجياً^(٢) لدى المتلقي ومن ذلك قولهم للكريم بحر، وللشجاع أسد، فهذه الأقوال تمثل خرقاً لقاعدة الصدق، لكنها من جهة أخرى تعني أنَّ كرمه غير منقطع مثل البحر، وأنَّ شجاعته وفتكه لا يضعفان كشجاعة الأسد، وهذا ما يكسب الاستعارة طابعاً حجاجياً ويجعلها وسيلة ناجعة من وسائل الإقناع، ورد هذا الخرق في مواضع متعددة^(*) في شعر الوائلي، من ذلك قوله: [البحر الخفيف]

إِنَّ هَذَا الزَّمَانَ لَابَدٌ يَصْحُو ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ بَعْدِ نَوْمٍ ثَقِيلٍ^(٣)

فهذا التعبير هو استعارة يُقصد بها الوصول إلى أمرٍ مفاده أنَّ الحقيقة ستتضح في يومٍ من الأيام، أو أنَّ العدل سيسود، لكنَّه عدلٌ عن القول الصريح إلى الاستعارة، فيكون بذلك قد خرق قاعدة الصدق، وهذا العدول لم يُخرج الخطاب من مبدأ التعاون، بل كان دالاً على المعنى المراد يفهمه المتلقي ويعيه.

و قد يكون ذلك الخرق من دواعي التهكم، فيقصد المتكلم عكس ما يقول، من ذلك قولنا لشخص يعمل عملاً غير صحيح: (عملٌ رائع)، وقد يكون التهكم استعارة يراد بها التعريض بالمستعار له كقولهم في الجبان عنتره، وفي البخيل حاتم، فاستثمار الاستعارة يكون على جهة خرق هذه القاعدة، قال العلوي في الطراز: ((اعلم أنَّ في الاستعارة ما يكون معدوداً في التهكم، وحاصل الاستعارة التهكمية، أن تستعمل الألفاظ الدالة على المدح في نقائضها من الذم والإهانة تهكماً بالمخاطب، وإنزالاً لقدره، وخطأ منه))^(٤)، من أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] قال الطاهر بن عاشور: ((خبر مستعمل في التهكم بعلاقة الضدية،

(١) يُنظر: السيميائية وفلسفة اللغة: أمبرتو أيكو: ترجمة: د. أحمد الصمعي: ٢٣٧.

(٢) يُنظر: محاضرات في فلسفة اللغة: ٢٧.

(*) سيأتي بيان عدد الاستعارات في مبحث الاستعارة .

(٣) ديوان الوائلي: ١٧٤.

(٤) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ١/١٢٧.

والمقصود عكس مدلوله، أي أنت الدليل المهان والتأكيد للمعنى التهكمي^(١)، ويحدث الخرق هنا بوجود قرائن تدل عليه ولا بد أن تكون هناك مقدمات لحدوث هذا النوع من الاستلزام، أو علاقة رابطة يمكن أن يتحقق الاستلزام منها، فإذا قال أحدهم: (زيدٌ جبل) فمرة تكون هذه الاستعارة بمعنى أنه رجل قوي، يتحمل المصاعب يمكن الاعتماد عليه، ومرة تكون بمعنى أنه رجل قاسٍ لا يعرف الرحمة، ومرة تكون دالة على الضعف جيء بها تهكماً، فالقصد، والسياق هما المعيار الذي يحدد معنى الاستلزام في هذه الحال^(٢)، وقد وردت صيغ الاستلزام بأسلوب التهكم في مواضع متعددة من شعر الوائلي من ذلك قوله: [البحر الكامل]

كَتَبُوا عَلَى أَبْوَابِهِمْ حُرِّيَّةً مِنْ بَعْضِهَا التَّكْبِيلُ وَالتَّدْمِيرُ^(٣)

هذا البيت من قصيدة عنوانها الذبابة المسافرة، انتقد الوائلي فيها سياسة الحكومات العربية التي قيدت حرية شعوبها، ويمثل خطاب الوائلي خرقاً لقاعدة الكيف، فالحرية لا تقيد بل على العكس، تعطي الشعب حق التعبير عن آرائه، ومعتقداته، إنما أراد بقوله هذا أن هذه الحكومات حرمت شعوبها من الحرية، واستبدلت العقوبة والقيود بالحرية، والقرينة الدالة على الاستلزام هي قرينة التناقض، فالحرية لا تتسجم مع التدمير، والتكبير، وهذا الأسلوب في البلاغة العربية يُسمى تعريضاً، ويُعرف التعريض أنه ((نوع لطيف من الكناية يطلق فيه الكلام مشاراً به إلى معنى آخر يفهم من السياق، أو المقام الذي يتحدث فيه))^(٤) وذلك مثل قول أحدهم للمتكبر: ما أجمل التواضع، فالذي يفهم من السياق أنه يعرض بالتكبر، ويقلل من شأنه، ويؤنبه على تكبره، ويلحظ الجانب الحجاجي في الاستلزام الحوارى باستثمار هذه الأساليب لتغيير سلوك المتلقي، فأحد تعريفات الحجاج هو توجيه خطاب إلى متلقٍ من أجل تغيير رأيه، أو سلوكه^(٥)، فالمثال السالف قد يجعل المتلقي يغير سلوكه من التكبر إلى التواضع، وهذا الأسلوب خلاف التصريح؛ لأن التصريح غير ممدوح في هذه المواطن، وهي مواطن الثلب أي إظهار عيوب المتلقي بالإشارة إليها، قال الميداني (ت ٥١٨ هـ): ((لا يُحْسِنُ التَّعْرِيزُ إِلَّا تَلْبِاً))^(٦) لذا يُفَضَّلُ التعريض على التصريح في هذه المواقف، فالاستلزام هنا ليس لإظهار العيوب فقط، وهي حظر الحرية على الشعب، إنما يراد به كشف الحقيقة، وربما يحتمل معنى التوبيخ، والتقريع لهذه الحكومات.

(١) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: ٣١٦/٢٥.

(٢) ينظر: الاستلزام الحوارى في التداول اللساني ١٠١.

(٣) ديوان الوائلي: ٣٩٤.

(٤) علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني: د. محمد أحمد قاسم و د. محيى الدين ديب: ٢٤٨.

(٥) ينظر: مدخل الى الحجاج افلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان: د. محمد الولي: (بحث): ١١.

(٦) مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني: تح: محمد محيى الدين عبد الحميد: ٢٣٥/٢.

ثالثاً: خرق قاعدة المناسبة:

على وفق هذه القاعدة لابد أن يطابق القول السياق الذي يقال فيه، فلا يخرج عن مناسبة الحديث، لكن هذه القاعدة لا تتحقق دائماً، إذ كثيراً ما تخرق، من أجل غاية ما مثل تنبيه المتلقي، فإذا كان أحدهم يتحدث عن خالد بسوء، فيجيبه المتلقي: (الغيوم كثيفة هذا الصباح)، فهذا خرق لقاعدة المناسبة، لكن هذا الخرق كان مقصوداً جاء به المتكلم لدواع مقصودة، إما أن يكون هذا الشخص غير راضٍ عن الكلام الموجه إلى خالد، أو أن يكون خالد، أو من يخصه بصلة قريباً منهم، وهذا يعني أن خرق قاعدة المناسبة هي (استراتيجية) خطابية يعمد إليها منشئ الخطاب لغاية يكشفها السياق، وهذا يدل على أن انتهاك قاعدة المناسبة يتحقق في كل خطاب يراود به عكس ما يُقال، أو قول شيء غير متوقع^(١)، لكن معطيات السياق هي التي تمثل علامات دالة للمتلقي يكشف بها قصد المتكلم، وغايته من الخطاب، ويدخل في خرق قاعدة المناسبة ((معرفة طرق افتتاح الكلام، وأنواع التدخل المناسب، وتغيير موضوع المحادثة، وحسن التخلص، واختتام التخاطب))^(٢)، وقع هذا الخرق في اثنين وعشرين موضعاً^(٣) من شعر الوائلي من ذلك قوله: [البحر الكامل]

لَا تَشْتِمَنَّ الْخَطْبَ أَوْ تَبْكِي لَهُ فَالْخَطْبُ لَيْسَ بِمِثْلِ ذَلِكَ يُدْفَعُ
فَلَقَدْ شَتَمْنَا الرِّزَّ حَتَّى أُتْخِمَتْ آذَانُهُ وَالرِّزُّ بَاقٍ مَرْمَعُ
لَكِنْ تَصْدَى لَهُ فَإِنْ أَخْضَعْتُهُ تَحِيَا وَإِنْ خِفْتَ الْمَمَاتَ سَتَخْضَعُ
قَالُوا بَأَنَّ الشَّعْرَ لَهْوَ مُرْقَةٍ وَسَبِيلُ مُرْتَزِقٍ بِهِ يَتَذَرَعُ^(٤)

هذه الأبيات من قصيدة عنوانها رسالة الشعر، ألقاها في مؤتمر الأدباء العرب في بغداد عام ١٩٦٥، ويلحظ أن الشاعر لم يدخل في موضوع الشعر إلا بعد عدة أبيات، إذ انتقل ليغير مناسبة الحديث من الوصف الذي قصد به حال الأمة التي لم تدفع عنها ظلم الطغاة إلا بالويل والثبور والكلام الذي لا يشبع من جوع، ليدخل في موضوع الشعر، وهذا يسمى حسن التخلص، وهو ((التخلص من المقدمة بأسلوب حسنٍ بديع، للدخول في الموضوع المقصود بالذات))، وهذا الأمر

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٨، و لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: محمد خطابي: ١٨٢.

(٢) محاضرات في فلسفة اللغة: ١٦.

(٣) ينظر: ديوان الوائلي: ٧١، ٩٦، ١٤٧، ١٥٠، ١٦٤، ١٨٤، ١٩٩، ٢١٢، ٢٩٥، ٣٩٦، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٢٦، ٣٣٤، ٣٤٣، ٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٧، ٣٩٢، ٤٠٢، ٤١٣، ٤٣٥.

(٤) نفسه: ٣٥٣.

يبدو واضحاً في المحاورات الكلامية، وله وجوه عدّة، لكنه في الشعر يأخذ صورة واحد هي حسن التخلص، ويلحظ أن الشاعر تدرج في تصوير التجربة الواقعية التي تعيشها الأمة، ثم غير هذا الحديث ليتلاءم مع المناسبة التي يُلقى فيها قصيدته وهي مهرجان الشعر، ولا يمكن هنا أن نفصل بين الخطاب الأدبي والاتجاه التداولي لهذا الخطاب فالاستلزام هنا له وظيفته التداولية، لاسيما إذا كان هذا الخطاب يعبر عن تجربة واقعية ((كل ما يوجد في النص يدل بشكل من الأشكال ويحيل على أدوار تداولية ومقاصد مباشرة، وغير مباشرة، فليس هناك في النص الأدبي ماهو مجاني و زائد، بل ترتبط الدلالة بالمعاني السياقية، والرسائل الظاهرة والمضمرة))^(١) فالانتقال الذي ذكره الوائليّ ممثلاً بما ذكره يعد خرقاً لمبدأ المناسبة، الذي استطاع به أن يخرق هذه القاعدة منتقلاً من وصف حال الأمة إلى وصف مهرجان الشعر ودفاعه عن الشعر.

رابعاً: خرق قاعدة الطريقة:

لابدّ للمتكلم على وفق هذه القاعدة أن يكون كلامه واضحاً خالياً من الغموض، و التطويل غير ملتبس؛ لأنّ ((وضوح معنى الجملة مرهون بوضوح مفرداتها، وكونها استعملت في المعاني الموضوعية لها))^(٢) فيكون خرق هذه القاعدة بخرق أحد هذه الأعمدة الثلاثة^(٣)، فقد يعتمد المتكلم إلى تلفظ بعض العبارات التي يشير بها إلى أشياء تثير الخجل عند التلفظ بها مثل ذكر بعض أعضاء الجسم، أو ذكر سلوك مخجل في مجتمع ما فيعتمد على عبارات غامضة، أو كلمات خضعت للتلفظ الدلالي؛ ليخفي تحتها قصده فيحدث الخرق، والخطاب الأدبي لا يخلو من هذا الاستلزام لأنّه مؤسس على واقع، وقد ورد هذا الخرق في تسعة مواضع^(٤) من شعر الوائليّ من ذلك قوله: [البحر البسيط]

مَمَّنْ إِذَا وَاجَهُنَا يَوْمَ مُعْتَرِكٍ عَاذُوا بِسَوَاتِهِمْ مِنَّا أَوْ انْهَزَمُوا^(٥)

فكلمة السوأة تعني العورة ((والسوأة: فرج الرجل والمرأة، قال الله عز وجل: ﴿فَبَرَكْتُ لَهُمَا سَوْءَ نُهُمَا﴾ [طه: ١٢١]... والسوأة: كلُّ عمل وأمر شائن))^(٦)، هذا البيت من قصيدة قالها في حجر

(١) المقاربة التداولية في الأدب والنقد : جميل حمداوي: مقال ضمن مجلة المثقف : ١٩٩١ع: لسنة ٢٠١٢:

<http://almothaqaf.com/index.php/qadaya2009/58914.html>

(٢) نظرية السياق دراسة أصولية: د. نجم الدين قادر كريم الزكي: ٢٥٢.

(٣) ينظر: محاضرات في فلسفة اللغة: ٢٩.

(٤) ينظر: ديوان الوائليّ : ٧٠، ٩٥، ١٦٧، ٢١٨، ٢٢٦، ٢٣٢، ٢٥٥، ٢٥٨، ٣٠٨.

(٥) ديوان الوائليّ: ١٧٧.

(٦) العين: مادة: (سوأة): ٣٢٨/٧.

حجر بن عدي الكندي، وأصحابه، أمّا قوله بسوأتهم فهو من باب التلطف في التعبير، وهو استلزام حوارى ناتج عن إرادة المتكلم في كشف شيء ما؛ لأنّ هذه الألفاظ لها ما يدل عليها، وعدول المتكلم عن اللفظ يدل على خروجه عن قاعدة الطريقة؛ ليعبر عن جبن هؤلاء القوم^(١)، فهم لا يتورعون عن فعل أي شيء يبعد الموت والأذى عنهم.

وقد يحدث الاستلزام بخرق قاعدة الطريقة نتيجة وجود مشترك لفظي في الخطاب يدل على أكثر من معنى لا يمكن أن يدركه السامع إلاّ بقرينة، وقد يعتمد المتكلم إلى مثل هذه الألفاظ التي تحتل معنيين، وقد تحدث العلوي صاحب الطراز عن استعمال المشترك اللفظي من الجانب الوظيفي، فعده من باب المغالطة التي يراد بها المعنى بالقصد من دون اللفظ فقال: ((إنّ المغالطة المعنوية هي أن تكون اللفظة الواحدة دالة على معنيين على جهة الاشتراك فيكونان مرادين بالنية دون اللفظ، وذلك لأنّ الوضع في اللفظة المشتركة أن تكون دالة على معنيين فصاعداً على جهة البدلية، هذا هو الأصل في وضع اللفظ المشترك، فإذا كان المعنيان مرادين عند إطلاقها، فإنّما هو بالقصد دون اللفظ))^(٢) فالمتكلم قد يقصد المعنيين معاً بإيراده للمشارك اللفظي، وقد ورد المشترك اللفظي في موضع واحد في شعر الوائليّ، من ذلك قوله في رثاء الشيخ المفيد: [البحر الخفيف]

كُلُّ ما لا يُفِيدُ يَمْضِي جُفَاءً وَالبَدِيهِيُّ أَنْ يَعْيشَ الْمُفِيدُ^(٣)

فكلمة المفيد هنا مشترك لفظي تدل على معنى الفائدة، وقد تدل على الملقب بها وهو الشيخ المفيد، وقد يقصد بها المعنيان معاً، أي إن الشيخ المفيد هو الذي يفيد الناس بعلمه، فالاستلزام هنا حدث لوجود مشترك لفظي في الخطاب فخرق القاعدة بقصده إلى الغموض، والالتباس لمعنى لا يمكن إدراكه إلا بالتأويل^(٤)، وما تكشفه القرائن.

(١) ينظر: الأخبار الطوال: أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت: ٢٨٢هـ): تح: عبد المنعم عامر: ١٧٧.

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٣٦/٣.

(٣) ديوان الوائليّ: ٤٤٠.

(٤) ينظر: محاضرات في فلسفة اللغة: ٢٩.

الفصل الثالث: الحِجَا جُ البَيَانِي .

المبحثُ الأولُ : التَّشْبِيه .

المبحثُ الثاني : الاستعارة .

المبحث الثالث : الكِنَايَةُ والتعريض .

يجد المتأمل في تعريفات البلاغة العربية صلة، أو رابطاً بين البلاغة والتواصل بوصفهما علمين لصيقين بالخطاب، قال أبو هلال العسكري: ((والإبلاغ إيصال ما فيه بيان للأفهام، ومنه البلاغة: وهي إيصال المعنى إلى النفس في أحسن صورة))^(١) وقد ناقش الباحثون الارتباط بين البلاغة والتداولية، وانتهى الدكتور صلاح فضل إلى أنَّ البلاغة العربية هي مستوى من مستويات

(١) الفروق اللغوية : أبو هلال العسكري : ٣٠، وينظر : لسان العرب : مادة : (بلغ) : ٨ / ٤١٩ .

الخطاب النحوي والدلالي، تجمعها التداولية و تكون عاملاً مشتركاً فيما بينهما^(١)، و تعريف القزويني للبلاغة: ((وأما بلاغة الكلام فهي مطابقتها لمتقاضى الحال مع فصاحته))^(٢) يكشف الصلة الوثيقة بين الاستعمال البلاغي والجانب التداولي للغة، فاعتماد أسلوب لغوي من دون غيره في سياق محدد هو خير دليل على ذلك الارتباط القائم بين التداولية والبلاغة^(٣)، فالأساليب البلاغية من أهم المرتكزات الحجاجية في الخطاب التداولي، إذ لم تكن هذه الأساليب المتضمنة في الخطاب مجرد حلية لغوية يراد منها تزيين الخطاب، بل تجاوزت الأطر الذوقية والجمالية لِتَخْتَصَّ بمهمة تداولية حجاجية كامنة فيه^(٤)، فهي تجعل منه خطاباً ذا طبيعة مركّبة يجمع بين الأسلوب، والجمال، والتواصل، والاستنتاج^(٥)؛ لذا تكمن أهمية الوسائل البلاغية فيما توفره من أوجه جمالية قادرة على الولوج إلى عواطف المتلقي والتأثير فيه، فإذا اندمجت هذه الأوجه الجمالية في حُجج متنوعة أصبح من السهل على المتكلم أن يحقق غايته من الخطاب، ويوجه المتلقي الوجهة التي يريد^(٦)، وهذا يُحيل إلى بعض تعريفات القدماء للبلاغة ومنهم أبو الحسن الرمانيّ (ت ٣٨٤هـ) الذي عرفها بقوله: ((إنّما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ))^(٧)، ويرى (ديكرو) أنّ آلية المعنى تتحقق من تواسج المستوى الدلالي والبلاغي، فالمستوى اللغوي هو الذي يحدد دلالة الملفوظ، أمّا المستوى البلاغي فهو الذي يحدد معناه^(٨).

إنّ القصد الذي يبتغيه المتكلم هو الذي يدفعه إلى صياغة خطاب بلاغي قصدي يجمع فيه عناصر الجمال اللغوي المتمثلة بأساليب البلاغة المتنوعة، والتأثير، والإقناع فتكون اللغة الوعاء الذي تتصهر فيه هذه العناصر، والوسيلة التي توصل المتكلم إلى غايته، فإذا كانت غاية الخطاب الحجاجي هي التأثير في المتلقي، فإنّ الوسيلة إلى إحداث ذلك التأثير هي الأساليب البلاغية، وهذا الأمر جعل من ((البلاغة في جوهرها حجاجاً خطابياً))^(٩)، وسيقتضى البحث مظاهر الحجاج الحجاج في ثلاثة أساليب من أساليب علم البيان هي التشبيه، والاستعارة، والكناية، بوصفها من

(١) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص: د. صلاح فضل: ٨٩.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة: ١/١٣٢.

(٣) ينظر: المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية: (بحث): ٥٩.

(٤) ينظر: الحجاج في الخطابة النبوية: ٣٤.

(٥) ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر: د. محمد سالم محمد الأمين الطلبة: ٩.

(٦) ينظر: الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه: ١٢٠.

(٧) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: تح: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام: ٧٦.

(٨) ينظر: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم: د. خليفة بوجادي: ١١١.

(٩) الحجاج في الخطاب السياسي: ٤٢.

الأساليب البارزة في شعر الوائلي معتمداً على تحليل الخطاب على وفق المنهج الحجاجي التداولي، الذي يعتمد السياق والمعطيات التي أنتجت الخطاب محوراً لهذا التحليل.

المبحث الأول : التشبيه.

يشكل التشبيه نبأً ثراً للحجاج فيه يُقَرَّبُ البعيد، وَيَتَضَحُّ المُبْهَم، وبه تُسْتَنَارُ العواطف، ولأنَّ الحجاج خطاب تشترك فيه العواطف والعقل، فالتشبيه يمثل محركاً فاعلاً له؛ لما يملكه من قدرة على التأثير في عواطف المتلقي، فخطاب من مثل (الأطفال يموتون جوعاً بسبب الحرب) هو خطاب مؤثر، لكن عندما يتحول الخطاب إلى صورة تُوجِّع العواطف كقولنا: (بدت أجسام الأطفال كأشجار الخريف بسبب الحرب) فهذا الخطاب يمثل بوابة أكثر سعة للولوج إلى قلب المتلقي وعواطفه وفكره؛ لأنَّه يجعل المتلقي يستحضر^(١) مجموعة من الأفكار التي حققها التشبيه ما يجعل يجعل الخطاب البلاغي المؤسس على التشبيه أكثر تحقيقاً للحجاج، وكثيراً ما تبرز هذه الخاصية في الخطاب الإشهاري الذي يستعمله الباعة في الأسواق، إذ يعمل هذا الأسلوب على جذب المتبضعين، وإقناعهم بشراء البضاعة المعروضة، فهو عامل يقوي قدرة الخطاب في التأثير في المتلقي، وقد يراود من التشبيه إغراء المتلقي لما هو آجل؛ لذلك ذهب البلاغيون إلى أنَّ إحدى غايات التشبيه هي بيان حال المشبه^(٢) ليتحقق للمتكلم إغراء المتلقي به، ومن أمثله في الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨]، وكثيراً ما يُعمدُ إلى أسلوب التشبيه في المدح؛ لأنَّ الشاعر يحاول جاهداً كسب رضا ممدوحه، وقد وجد النابغة في التشبيه السبيل الأقرب إلى ذلك، فقال يصف قوة النعمان: [البحر الطويل]

فإنَّكَ كاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ^(٣)

فالشاعر يقنع متلقيه أنَّه فكر بالابتعاد والهروب من سطوة النعمان لكنَّه عجز عن ذلك وبين سبب عجزه بصورة من صور التشبيه، فممدوحه كالليل، ولا يمكن لأي إنسان أن يبقى فاراً من الليل؛ لأنَّه لابدَّ محيطٌ به ومدركه.

هذا الأمر جعل أسلوب التشبيه عموداً من أعمدة البلاغة العربية، فاهتم به الباحثون أيَّما اهتمام، وفصلوا القول فيه من تعريفه إلى تقسيمه، ومن تعريفات التشبيه أنَّه ((صفة الشيء بما قاربه وشاكله، ومن جهة واحدة، أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنَّه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه))^(٤)، أمَّا من جهة التقسيم، فقد قسم البلاغيون التشبيه على أقسام متعددة وهذه الأقسام تخضع تخضع لمعايير محددة، ومن هذه المعايير: المشبه، والمشبَّه به، أداة التشبيه، ووجه الشبه.

(١) ينظر: منزلة العواطف في نظريات الحجاج: (بحث): ٢٦٦.

(٢) ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: عبد العال الصعيدي: ٤٥١/٣.

(٣) ديوان النابغة الذبياني: تح: محمد أبو الفضل إبراهيم: ٣٨.

(٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ٢٨٦/١.

و في هذه الدراسة أحاول الكشف عن العلاقة المتضمنة للحجاج في أسلوب التشبيه لأنَّ الحجاج خطاب ذو خصائص تتعلق بالمتكلم ((إنَّما تتميز لغة التشبيه من منشئ إلى آخر بحسب قدرة المتكلم، أو المنشئ الذاتية على إكساب كلامه في التشبيه طابعه الذاتي بالصدور عن خصائصه في الأداء والتعبير))^(١)، ولكل نوع من أنواع التشبيه دلالاته وخصائصه التي يتميز بها من غيره من أنواع التشبيه، فالخطاب المتضمن لنوع من أنواع التشبيه يحتمل دلالات محددة لانجدها في غيره من أنواع التشبيه الأخرى.

أقسام التشبيه:

للتشبيه تقسيمات مُتعدِّدة منها: تقسيمه بحسب أداة التشبيه، ويقسم فيها على قسمين:

الأول: التشبيه المرسل:

((وهو التشبيه الذي ذكرت فيه أداة من أدوات التشبيه))^(٢)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ [هود: ٤٢]، والغاية الحجاجية من هذا النوع من التشبيه هي بيان حال المشبه وتقريب الصورة إلى المتلقي كأنَّه يراها، والتشبيه بوصفه آلية حجاجية تهدف إلى الاقتناع يعمل على مد جسور التواصل بين المتكلم والمتلقي؛ لأنَّ ذكر صورة ما في التشبيه ما هي إلا تحفيز لمدرجات عقلية تربط بين المنطوق والصورة التي يحتفظ بها ذهن المتلقي عن مدلول تلك الصورة، وهذا ما يجعل الحجاج يحمل صفة الاستدلال العقلي الذي يعتمد على الاستنتاج من المعطيات، أو المقدمات التي يتأسس عليها الخطاب، فالقرآن الكريم عندما يصف مسير السفينة بأنَّه غير مستقر، والأمواج التي تتقاذفها كالجبال إنَّما يوحي بهول المشهد ورعبه لتحقيق الغاية الحجاجية من ورائه، وهي أنَّ الله تبارك وتعالى هو الذي ينقذ المؤمنين، ويتكفلهم ويخلصهم من كلّ هول عظيم وسياق النص يثبت ذلك، قال الطاهر بن عاشور في تفسيرها: ((وصفاً لعظم اليوم وعجيب صنع الله تعالى في تيسير نجاتهم))^(٣)، وقد أعمل الوائلي أسلوب التشبيه المرسل في مائة وواحد وعشرين موضعاً^(٤) من شعره، ومنها قوله: [البحر الخفيف]

(١) نظرية البيان العربي خصائص النشأة ومعطيات النزوع التعليمي: د. رحمن غركان: ٢٢٣.

(٢) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ١٧٣/٢.

(٣) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: ٧٤/٢١.

(٤) ينظر ديوان الوائلي: ٥٢، ٥٩، ٦٤، ٦٦، ٧٦، ٨٦، ٨٧، ٨٩، ٩٣، ٩٤، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨،

١٠٩، ١١٦، ١٢١، ١٢٣، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٧، ١٧١، ١٧٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦،

٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤٣، ٢٤٧، ٢٤٩،

٢٥١، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٧٠، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٣، ٢٩٩، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٢،

يَا مِزَاجاً بِهِ جِهَادٌ عَلَيَّ وَهَدَى أَحْمَدٍ وَصَبْرُ الْبَتُولِ
وَشُمُوحاً مَا أَرْكَعَتْهُ الرِّزَايَا يَوْمَ صُبَّتْ مَصَائِبُ كَالسِّيُولِ^(١)

هذان البيتان من قصيدة في رثاء السيدة زينب (عليها السلام).

إنَّ المعنى الحجاجي الذي أراد الشاعر إيصاله إلى المتلقي بأسلوب التشبيه هو أَنَّ هذه المصائب لا يحتملها إنسان، فكيف إذا كان ذلك الإنسان امرأة؟ والمرأة كائن رقيق، لا يملك قوة لتحمل عوادي الدهر، و هذا الوصف والإخبار بأسلوب التشبيه وجه من وجوه التداولية المدمجة^(٢)، فالخطاب يتضمن نتيجة مفادها، من كانت تنتمي للرسول محمد (ﷺ) وعلي (عليه السلام)، وفاطمة الزهراء (عليها السلام) لا تُكسَرُ شوكتها أمام الباطل ولاتلين عريكتها أمامه، و الخطاب يكشف أَنَّ أسلوب التشبيه صورة من صور البيان الذي يتوصل به المتكلم إلى ((إيراد المعنى الواحد، بطرق مختلفة، في وضوح الدلالة عليه))^(٣) ويكشف الخطاب الحجاجي أَنَّ المتكلم انطلق بحسب ثقافته العقائدية؛ ليكشف ذلك القرب عن عمق تأثير الحُجج التي يدلي بها المتكلم^(٤)، والوائي بحسب انتمائه الثقافي والعقائدي يبدو أكثر قرباً إلى شخص السيدة زينب (عليها السلام) فالخطاب الذي وجهه إليها بصيغة المُخاطَب الحاضر، وهو خطاب يحمل في ظاهره صورة من صور المدح، لكن التأمل في الجانب الحجاجي المتضمن في الخطاب يكشف صورة أكثر عمقاً وأكثر وضوحاً لاختيار كل مفردة في الخطاب، ولاختيار أسلوب التشبيه تحديداً ليعبر عن هذا المعنى، فيضفي دلالة تأثير أقوى في السامع، اتضحت هذه الدلالات باختيار بعض المفردات التي تحمل صفة التضاد وهي لفظة (شموخ) التي تمثل صيغة المفرد، في حين جعل في الجانب الآخر صيغاً تدل على الجمع، وهي: (رزايا)، (مصائب)، (سيول) وهذه الصيغ الدالة على الجمع قُوِّبَتْ بصيغة المفرد، وهي (شموخ) مما يدل على قوة تفوق الشموخ الوتر على الجمع، أي إِنَّ الحق لا تقاس قوته بالكمثرة، وهذا ما جعل الزمخشري يقول في التشبيه: ((الأمثال والتشبيهات إنما هي الطرق إلى

٣٠٤، ٣٠٧، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٧، ٣٤٠، ٣٤٤، ٣٦١، ٣٦٧، ٣٧٤، ٣٨١، ٣٨٣، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٤٠٤، ٤٠٦، ٤٠٨، ٤١٢، ٤٢٣، ٤٢٨، ٤٣٦، ٤٣٨، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٥٣، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٦٠، ٤٦٢، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٨٢، ٤٩٣، ٤٩٨، ٥٠٣، ٥٠٦، ٥٠٨، ٥١٢، ٥١٧.

(١) نفسه: ١٤٨.

(٢) ينظر: التداولية وتحليل الخطاب الرؤى والتمثيلات: د. باسم خيرى .

(٣) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ٥/٢.

(٤) ينظر: بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب: ٣٢٧.

المعاني المحتجبة في الأستار حتى تبرزها، وتكشف عنها وتصورها للأفهام^(١)، فهناك معنى يُرادُ إيصاله إلى المتلقي كان أسلوب التشبيه هو الأجدر ليخفي ذلك المعنى الإيحائي تحت جناحيه، فالصورة التي رسمها عن صمود زينب (عليها السلام) هي صورة إيحائية حجاجية تأخذ المتلقي إلى مدى قوة هذه المصائب، لأنَّ السيل عادة يطلق على الماء الذي يجرف كل شيء أمامه؛ لقوته^(٢)، واستعار الشاعر لفظ الشموخ الذي هو من صفات الجبال، ولفظة (صُبَّت) المستعارة من سكب الماء دفعة واحدة^(٣)، والتي تدل على أنَّ المصائب كانت تتراى على زينب من دون انقطاع، هذا هو ما تحمله الصورة الإيحائية معها من دلالات فهي تجعل من اللغة وسطاً محسوساً^(٤)، مما يجعل المتلقي يتألم ويحزن ويفرح؛ لأنَّ ((اللغة الفنية ليست سرداً تقريرياً للحقائق، أو بثاً مباشراً للأفكار ولكنها تجسيد وتمثيل لتلك الأفكار، والحقائق في صورة محسوسة يعاينها المتلقي ويدركها إدراكاً حسياً فيكون لها فعاليتها في نفسه، وعميق أثرها في وجدانه))^(٥).

الثاني: التشبيه المؤكد:

((وهو التشبيه الذي لم تُذكر فيه أداة من أدوات التشبيه))^(٦) وحذف الأداة يعدُّ من أساليب إيجاز القول، وإيجاز القول من المؤكدات؛ لذا سُمي تشبيهاً مؤكداً وفي هذا النوع من التشبيه يكون المشبه، والمشبه به كالشيء الواحد^(٧)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَى الْجِبَالِ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، أي كمر السحاب.

إنَّ الصورة الناتجة عن التشبيه ما هي إلا دلالة يبتغي المتكلم إيصالها إلى متلقيه لبلوغ معنى محدد عبر آليات تأويل متعددة؛ من أجل إحداث تأثير فيه؛ لذلك أعاب القدماء بعض التشبيهات التي لا تحدث أثراً عند المتلقي، قال الجرجاني: ((فإن التشبيهات سواء كانت عامية مشتركة، أم خاصية مقصورة على قائل دون قائل، تراها لا يقع بها اعتداد، ولا يكون لها موقع من السامعين، ولا تهزّ، ولا تحرك حتى يكون الشبه مقرراً بين شيئين مختلفين في الجنس))^(٨) فالجرجاني يشير

(١) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٤٥٥/٣.

(٢) ينظر: كتاب العين: مادة: (جرف): ١٠٨/٦.

(٣) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ): تح عبد الستار أحمد فرج: مادة: (صب): ١٨٤/٣.

(٤) ينظر: الصورة البيانية في الموروث البلاغي: حسن طبل: ١٥.

(٥) نفسه: ١٥.

(٦) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ١٧٣/٢.

(٧) ينظر: نظرية البيان العربي خصائص النشأة ومعطيات النزوع التعليمي: ٢٢٧.

(٨) أسرار البلاغة: ٩٩.

إلى الأثر الذي يحدثه الخطاب المتضمن للتشبيه، و ورد التشبيه المؤكد في شعر الوائلي في ثلاثة وثلاثين موضعاً^(١) من ذلك قوله: [البحر الخفيف]

قَدْ أُبِيحَتْ دِيَارُهُ وَهُوَ لَيْثٌ فِي الْمَقَاصِيرِ فَتَكُهُ وَالزَّيْرُ^(٢)

هذا البيت من قصيدة في مدح أمير المؤمنين (عليه السلام) ألقاها في مدينة النبطية في لبنان، واستذكر فيها مأساة لبنان، وفلسطين وما تمر به الشعوب العربية من ويلات .

قد تكشف مقارنة بين أثر الكلمة، وأثر وسيلة من وسائل التعبير الأخر ما للكلمة من أثر في المتلقي، فقد يكون للكلمة وقعٌ، ودلالةٌ، وأثر أقوى من بقية وسائل التأثير الفنية بالصورة أو اللوحة التي يرسمها فنان إنمّا تطابق الأشياء الموجودة بالفعل، لكنّ الكلمة تستطيع أن تشبه، أو تجمع أشياء بينها بون شاسع في صورة واحدة، مما يجعل منها طاقة حجاجية مؤثرة وفاعلة في الخطاب الشعري^(٣)، أعمل الوائلي أسلوب التشبيه المؤكد؛ لينتج هذه الصورة الزاخرة بالحجاج، إذ من غاية التشبيه إظهار وكشف حال المشبه، وكشف موقعه من العظمة، والقوة، والمنزلة؛ لذلك وصف المشبه أنّه (ليث)، فكان هذا التشبيه بياناً لمنزلة المشبه من القوة، وأضاف إليه شيئاً من لوازم الليث وهو الفتك، والزئير، لكن هذا التشبيه لم يكن يراد منه إثبات شجاعة المشبه، بل أريد منه التهكم، وما يدل على ذلك هو وجود قرينة سابقة في الخطاب، وهي قوله: (قَدْ أُبِيحَتْ دِيَارُهُ) فالليث لا يستباح عرينه، لكنّ المقصود من الخطاب هم قادة العرب الذين لم يكن لهم مكان يظهرون به قوتهم إلاّ مقاصير الخطابة، فكانوا فيها ليوثاً لا يجاريهم فيها أحد، والتشبيه بوصفه أسلوباً أسهم في إثراء النص الحجاجي، وإظهار قصد المتكلم من ورائه، وهو أنّ قادة العرب هم رجال أقوال لا رجال أفعال، و أسلوب التشبيه هو نوع من أنواع التعبير التداولي، أي إنّ هناك غاية أو قصداً يكشفه المتكلم بهذا الخطاب، وهو ما يسمى قانون الأنفع، إذ يعتمد المتكلم إلى الاستعمال البلاغي في إحدى صوره؛ لأنّه أسلوب ناجع، ويترك الاستعمال المباشر^(٤) من أجل كشف حقيقة، أو بيان قصد ما، وهذا ما يلحظ في إعمال أسلوب التشبيه لما يحمله من قدرة على التأثير في المتلقي سواء كان هذا الأثر جمالياً، أم حجاجياً فكلاهما يلتقيان في مفهوم عام هو البلاغة^(٥) .

(١) ينظر: ديوان الوائلي: ٧٦، ٩٨، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٩، ١١١، ١١٣، ١١٩، ١٢٠، ١٣٠، ١٤٨، ١٥٩، ١٨٨، ١٩٢، ١٩٦، ٢١٠، ٢٣٤، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٦٤، ٢٧٢، ٢٨٥، ٣٠٢، ٣١٩، ٣٣٠، ٣٧١، ٣٧٥، ٣٩٠، ٣٩٢، ٤٢٥، ٤٤١، ٤٤٩.

(٢) نفسه: ٧٦.

(٣) ينظر: الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية: د. عز الدين اسماعيل: ١٣٢.

(٤) ينظر: البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة أو الحجاج: (بحث): ٣٣/١.

(٥) ينظر: نفسه: ٣٨.

التشبيه بحسب وجه الشبه: يقسم التشبيه بحسب ذكر وجه الشبه وإضمامه على قسمين:
الأول: التشبيه المفصل:

((هو التشبيه الذي ذُكر فيه وجه الشبه))^(١)، وفي التشبيه المفصل يكون المعنى الظاهر واضحاً، فلا يحتاج إلى عناء، أو تفكير في إبراز العلاقات الجامعة بين أركان التشبيه^(٢) ويمثل وجه الشبه العلاقة الجامعة بين طرفي التشبيه، والتي تتضح بالاستنتاج العقلي^(٣).

إنَّ مهمة الخطاب البلاغي الإيصال و التأثير، وقد يقتضي إيصال دلالة ما ذُكر وجه الشبه في الخطاب، فلذا ذكر وجه الشبه في الخطاب غاية حجاجية؛ فهو بمثابة ربط النتيجة بالسبب، مما يُكسِبُ الخطاب قدرة إقناعية أقوى، لأنَّه إلى الاستنتاج العقلي أقرب، مع اشتراك الجانب التأثري الجمالي معه في التأثير بعواطف المتلقي، ويخضع ذكر وجه الشبه لقانون الأنفع، فهو يجعل الخطاب أكثر وضوحاً^(٤) لدى المتلقي، فيكون أكثر تقبلاً له، وربما يكون ذكر وجه الشبه سبباً في إفحام المتلقي، وإغلاق طرق يحاول فتحها لدحض حجة المتكلم، ويلحظ ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، إذ ذكر الله تعالى وجه الشبه في خلق نبيه آدم و عيسى (عليهما السلام)، وهو الخلق من التراب ويعمل الطاهر بن عاشور ذكر وجه الشبه في الآية الكريمة قائلاً: ((وَمَحَلُّ التَّمَثِيلِ كَوْنُ كِلَيْهِمَا خُلِقَ مِنْ دُونِ آبٍ، وَيَزِيدُ آدَمُ بِكَوْنِهِ مِنْ دُونِ أُمٍ أَيْضاً فَلِذَلِكَ اِحْتِيجَ إِلَى ذِكْرِ وَجْهِ الشَّبْهِ))^(٥) فقله احتيج إلى ذكر وجه الشبه إنَّما هو طبقاً لقانون الأنفع، فالخطاب هنا جاء لدفع شبهة، أو ردِّ عن سؤال يراد منه إحراج النبي (ﷺ) فجاء الخطاب التشبيهي متضمناً وجه الشبه ليبين كل التفاصيل، وليقطع الطريق أمام من أراد أن يُبين عجز النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن بيان حقيقة عيسى (عليه السلام)^(٦)، قال علي الجندي: ((إذا كان الغرض من التشبيه بيان إمكان الوجود، أو التحسين، أو التقبيح، يراعى أن يكون المشبه به حكماً صحيحاً مسلماً، وبرهاناً مقنعاً مقبولاً سائغاً، وأن يكون وجه الشبه فيه أظهر، وأشهر ليُستعان به على إزالة

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ١٧٣/٢.

(٢) ينظر: نظرية البيان العربي خصائص النشأة ومعطيات النزوع التعليمي: ٢٢٧.

(٣) ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى: ١٣٦.

(٤) ينظر: البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة أو الحجاج: (بحث): ٤٢/١.

(٥) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: ٢٦٣/٣.

(٦) ينظر: أسباب نزول القرآن: أبو الحسن الواحدي (ت ٤٦٨ هـ): تح: د. ماهر ياسين الفحل: ٢٢٦.

عناد المعترض، ومكابرتة، وتمهيد خضوعه وإذعانه^(١)، ورد هذا النمط من التشبيه في شعر
الوائلي في أربعة وثلاثين موضعاً^(٢) من شعره، من ذلك قوله: [البحر البسيط]

إِذْ وَجْهٌ لُبْنَانٍ كَالْمَجْدُورِ شَوْهَةٌ رَشَقُ الْقَذَائِفِ مِنْ قُرْبٍ وَمِنْ بُعْدٍ^(٣)

في هذا النمط من التشبيه أي ما ذكر فيه وجه الشبه، يعتمد المحاجج على الخطاب المؤسس على
الحُجة والنتيجة، وهذا لا يعني إلغاء جمالية الخطاب؛ لأنَّ الخطاب الحجاجي هو نتاج تعاضد
جزأين: الأول موجه نحو العقل، وهو ما يدفع المتلقي إلى الاستنتاج، والتبرير، والرد، والاعتراض،
أما الاتجاه الثاني فيتوجه نحو العاطفة^(٤)، وهذا الأمر يتحقق بالأساليب البيانية المختلفة، ومنها
أسلوب التشبيه، وهذا ما حمله الخطاب في طياته، فالجزء الأول من الخطاب كان بمثابة حُجة
أولى: (وجه لبنان كالمجدور)، أي الذي أُصيب بمرض الجدري فتشوه وجهه، أما الجة الثانية
فهي: (شَوْهَةٌ رَشَقُ الْقَذَائِفِ) إذ عمل وجه الشبه عمل الرابط الحجاجي الذي ربط بين حجتين
قائمتين على التعليل، إضافة إلى وظيفته التركيبية والدلالية، فأكسب الخطاب قوة تأثيرية أقوى،
فكان اختيار وجه الشبه مطابقاً للمقام الذي وُظف فيه، فجاء منسجماً دالاً رافعاً للغموض، ومبيناً
حال المشبه وهو وجه بلاغي يحسن فيه ذكر وجه الشبه، فمن جملة المواضع التي يحسن فيها
ذكر وجهه الشبه ((أن يكون وجه الشبه صحيحاً دقيقاً بيّناً شاملاً للطرفين مؤدياً إلى الغرض من
التشبيه، كاملاً وافياً بتحصيل ما عُلِقَ عليه))^(٥)، وقد اعتمد الوائلي على الأطراف المحسوسة
(المجدور)، (شوهه) في وصف المعقول، وهو (وجه لبنان)، وما جعله يعتمد هذا الأسلوب هو مراعاة
سياق الخطاب، إذ إنَّ أجواء الحرب وما يتعلق بها من الفوضى والصخب لا تترك فسحةً للتأمل
لدى المتلقي، فيكون اختيار الأشياء المحسوسة أقرب إلى الواقع، وأنسب للموقف، فالمقام ليس مقام
مدح، أو إظهار منزلة للمشبه، ولا يُراد من هذا التشبيه كشف صفات مبهمة، كي يغرق خطابه
بالمعاني التي تستوجب تأملاً وتأويلاً فجاء الخطاب الحجاجي على هذه الصورة أي في صورة
التشبيه المفصل^(٦).

(١) فن التشبيه : علي الجندي: ٥/٣.

(٢) ينظر: ديوان الوائلي: ٨٦، ٨٩، ٩٣، ١٠٧، ١٠٩، ١٢١، ١٤٧، ١٧٤، ١٨٥، ١٧١، ١٩٦، ٢٠٩، ٢٢١، ٢٢٥،
٢٦٣، ٢٧٠، ٢٣٤، ٢٣٥، ٣٠٢، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٤٠، ٣٨٣، ٣٩١، ٤٠٦، ٤١٢، ٤٢٣، ٤٢٨، ٤٣٦، ٤٥٧،
٥١٢، ٥١٧.

(٣) ديوان الوائلي: ٥١٧.

(٤) ينظر: الحجاج و الاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري: (بحث): ٤٥/٣.

(٥) فن التشبيه : ٦/٣.

(٦) ينظر: نظرية البيان العربي خصائص النشأة ومعطيات النزوع التعليمي: ٢٢٧.

الثاني: التشبيه المُجمل: ((هو التشبيه الذي لم يُذكر فيه وَجْهُ الشبه))^(١)، فتتأط مهمة تحديد وجه الشبه بالمتلقي، وما تستطيع كفايته الثقافية و اللغوية أن تستنتج من دلالات عن طريق تأويل الخطاب الموجه إليه^(٢)؛ لذا قيل في وجه الشبه أنَّه العلاقة الجامعة بين المشبه والمشبه به، وهذا التشبيه أعمق أثراً من التشبيه المفصل؛ لأنَّه يجعل المتلقي طرفاً في عملية إنتاج معنى الخطاب، بما يملكه من خزين للصور والأفكار التي تجعله يستنتج ويدرك المغزى من وراء ذلك التشبيه، ومن ذلك قولهم في الأمثال: ((كالقابض على الماء))^(٣)، فالصورة الناتجة عن هذا التشبيه تدلُّ على أنَّ العمل الذي يقوم به المقصود بالمثل لا قيمة له، بل لا جدوى من الاستمرار فيه، فيكون وجه الشبه في هذه الحال مما يُتوصل إليه بالاستنتاج العقلي فالعلاقة الجامعة بين من يؤدي عملاً لا طائل من ورائه وبين القابض على الماء هي وجه الشبه، وهي العمل العبثي، فكلاهما يؤديان إلى لاشيء وهذا الاستنتاج لا يحتاج إلى عناء كثير، فهو واضح بيّن قريب، مما يجعل هذا النمط من التشبيه يحمل أثراً حجاجياً.

و ورد هذا النمط من التشبيه في شعر الوائلي في ثلاثة وثمانين موضعاً^(٤) من شعره من ذلك قوله: [البحر الخفيف]

وَلَكُنْتُمْ كَالرَّوْحِ مِنْهُ فَحُزْنٌ حِينَ يَبْكِي وَحِينَ يَفْرَحُ عَيْدُ^(٥)

هذا البيت من قصيدة طويلة يستتكر فيها الوائلي أفعال الحكام العرب، وما تعانیه الشعوب من اضطهاد، وقمع.

ويمثل هذا الخطاب فعلاً كلامياً غير مباشر يراد منه التوبيخ، والتقريع، والرفض والاعتراض، وقد أُشربت هذه المعاني بأسلوب التشبيه لما يملكه هذا الأسلوب من سعةٍ يستطيع المتكلم بها أن يلج من أبواب التأثير للمتلقي، فيحقق مراده من الخطاب الحجاجي، وقد جاء التشبيه هنا من النمط

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ١٧٣/٢، وينظر : نظرية البيان العربي خصائص النشأة ومعطيات النزوع التعليمي: ٢٢٧.

(٢) ينظر: المحاوره مقاربه تداولية: ١٢٥.

(٣) مجمع الأمثال: ١٤٩/٢.

(٤) ينظر: ديوان الوائلي: ٥٩، ٦٤، ٦٦، ٧٦، ٨٧، ٩٤، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ١١٦، ١٢٣، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٧، ١٨٧، ١٩٧، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٤٣، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦٤، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٣، ٢٩٩، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣٣، ٣٣٧، ٣٤٤، ٣٦١، ٣٦٧، ٣٧٤، ٣٨١، ٣٨٩، ٣٩٠، ٤٠٤، ٤٠٨، ٤٣٨، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٥٣، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٦٢، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٩٨، ٤٨٢، ٥٠٣، ٥٠٦، ٥٠٨.

(٥) نفسه: ٢١٤.

المجمل وهو الذي لا يذكر فيه وجه الشبه، إنَّما يبقى للمتلقى أن يستنتج تلك العلاقة من الخطاب بعد ربطها بمعطيات السياق، وهنا يشير إلى علاقة القرب بين الحكومة والشعب، أي بحسب ما يفترض أن تكون تلك العلاقة لبحسب ما يرتئيه الحكام، فصورها أنَّها علاقة الروح بالجسد، أي أنَّها علاقة لا انفصام لها، لكن الواقع لا يشير إلى ذلك، بل هو بالضدِّ من ذلك، وهو ما أراد الوائليَّ بيانه في هذا الخطاب، وهذا الخطاب وجه من وجوه الاستلزام الحواري الذي من مبادئه أنَّ الناس يقولون ضدَّ ما يقصدون^(١).

القسم الثالث للتشبيه: التشبيه البليغ: ويكون ذلك إذا حُدِّث أداة التشبيه، ووجه الشبه ((وهو أعلى مراتب التشبيه في البلاغة وقوة المبالغة لما فيه من ادِّعاء أن المشبه هو عين المشبه به، ولما فيه من الإيجاز الناشئ عن حذف الأداة والوجه معاً، هذا الإيجاز الذي يجعل نفس السامع تذهب كل مذهب، ويوحى لها بصور شتى من وجوه التشبيه))^(٢)، ومن ذلك قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): ((فَصَبْرْتُ وَ فِي الْعَيْنِ قَذَى))^(٣)، أي صبرت كالذي في عينه قذى^(*)، فحذف وجه الشبه وأداة التشبيه؛ لأنَّ دلالة الخطاب هي دلالة استنتاج، فمن في عينه قذى لا يبصر، ومن لا يبصر يكون محدود الحركة، ومن كان كذلك فهو عاجزٌ عن أخذ حقه، والتشبيه البليغ بما يحمله من إضمار للأداة، ووجه الشبه يدفع المتلقي إلى تأمل عميق في بنية الخطاب ليصل إلى المغزى الحقيقي للمتكم؛ لأنَّ الانتقال من الصيغ المباشرة إلى الصيغ البيانية المتمثلة بالتشبيه والمجاز، والاستعارة، والكناية، ما هي إلَّا أساليب حجاجية، بها يحاول المتكلم إقناع المتلقي، فقولهم في التشبيه: (هو ضيغم) أي احذره، أو الجأ إليه، وقولهم في الكناية: (ما تهر كلابه)^(٤) أي اقصدته فهو مضياف.

وعلى وفق ما تقدم تكون علاقة الاستنتاج هي ما ينوب عن إضمار وجه الشبه، والأداة بمعنى آخر أنَّ إضمار وجه الشبه، والأداة هو الطريق المؤدي إلى القصد من الخطاب أو النتيجة، وهو الوجه الحجاجي للخطاب المتضمن للتشبيه البليغ.

(١) ينظر: دروب التداولية: محمد أمطوش: بحث ضمن كتاب التداولية مقارنة في المفهوم والتأصيل: ٢٠.

(٢) علم البيان: عبد العزيز عتيق: ١٠٥.

(٣) نهج البلاغة: تح: محمد أبو الفضل: ٣٦.

(*) القذى ما يقع في العين، وقذيت عينه تَقْذَى قَذَى فهي قَذِيَّةٌ... والتَّقْذِيَةُ: إخراج القَذَى من العَيْن، والإِقْدَاء: القَاوَه فيها: كتاب العين: مادة: (قذي): ٢٠٢/٥.

(٤) ينظر: البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة أو الحجاج: (بحث): ٤٣/١-٤٤.

وقد ورد هذا النمط من التشبيه في اثنين وثلاثين موضعاً^(١) من شعر الوائلي من ذلك قوله: [البحر البسيط]

وَمَارِدًا زَحَمَ الإِعْصَارَ مَنَكِبُهُ حَتَّى لَوَاهُ وَمَا أَلَوَتْ بِهِ الْغَيْرُ^(٢)

هذا البيت من قصيدة قالها مادحاً الإمام الحسين (عليه السلام) مُذكراً بموقفه ضدَّ سلطة الأمويين، ولفظة مارد تدل على معانٍ عدّة منها الرجل الشديد^(٣)، ومن معانيها التمرد والرفض، والعصيان^(٤)، استثمر الوائلي الدالّتين معاً؛ لينتج دلالة جديدة تتناسب مع شخص الإمام الحسين (عليه السلام)، إذ عمد إلى المعنى الأول، وهو معنى الشدة فصيره ليخص به الحسين (عليه السلام) فهو شديد في ذات الله و هو أتقى الناس، وأعلمهم بشرية الله، وسنة جده رسول الله (ﷺ)، أمّا المعنى الآخر الذي يُقصدُ به العناد والتمرد والرفض، فهو متحقق لكن بالضدِّ مما يفهم من المعنى المعجمي فالتمرد والرفض كانا من صفات الحسين (عليه السلام)، لكن أي رفض، وأي تمرد، إنَّه التمرد الذي يُراد به وجه الله تعالى، فهو تمرّد على كل ما خالف دين الله، ورفض لكل منهج مبتدع، أمّا من الوجهة البلاغية فالتشبيه الوارد هو من التشبيه البليغ، فالمشبه مضمّر، وهو الحسين (عليه السلام)، والمشبه به هو المارد، والأداة مضمرة، ووجه الشبه مضمّر، وهو القوة والشدة ولكي يكون وجه الشبه أكثر قوة، وتأثيراً جعل ما يقابله لفظاً يدل على قوة شديدة فاستُعير له لفظ الإعصار، و هو الريح الشديدة ، التي تدور في الأرض، فتصعدُ من الأرض إلى السماء ليس لها وجهٌ واحد^(٥)، فتكون الجهة الجامعة بين (المارد) و(الإعصار) هي قوة موقف الحسين (عليه السلام)، وهي وجه الشبه الذي أضمّره الشاعر، فالحسين (عليه السلام) هو أول من سجل موقف الرفض لسياسة الأمويين، فكان كمن يخالف سير التيار وليس هذا فحسب، بل تغلب على ذلك التيار وصرعه، وهذا ما مثله الحُجة القوية التي جاءت بعد الرابط (حتى) الذي أدرج حُجة أقوى من الحُجة الأولى، و أسلوب التشبيه البليغ يعمل على إثارة أفكار المتلقي؛ لأنَّه يُثير في نفسه رغبة البحث عن وجه الشبه، ما يدفعه إلى التأويل، والربط، والاستنتاج، وتوليد، وابتكار معانٍ جديدة، وهذا الأمر يأتي من الأثر الذي يُحدثه أسلوب التشبيه البليغ، ويظهر الأثر الحجاجي للخطاب من

(١) ينظر: ديوان الوائلي: ٧٦، ٩٨، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٩، ١١١، ١١٣، ١١٩، ١٢٠، ١٣٠، ١٤٨، ١٥٩، ١٨٨،

١٩٢، ١٩٦، ٢١٠، ٢٣٤، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٦٤، ٢٧٢، ٢٨٥، ٣٠٢، ٣١٩، ٣٣٠، ٣٧٥، ٣٧١، ٣٩٠، ٣٩٢، ٤٢٥، ٤٤١، ٤٤٩.

(٢) نفسه: ١٠٤.

(٣) ينظر: لسان العرب: مادة: (مرد): ٤٠٠/٣.

(٤) ينظر: كتاب العين : مادة: (مرد) : ٣٧/٨.

(٥) ينظر: لسان العرب: مادة: (عصر) : ٥٧٨/٤.

إبراز حال المشبه وبيان مكانته، إذ إنَّ من أغراض التشبيه ((تقرير حال المشبه، وتمكينها في نفس السامع بإبرازها في صورة هي فيها أوضح وأقوى، وذلك فيما إذا كان المشبه به مما يدرك بالحس))^(١)، وهذا ما حمله الخطاب، إذ بين فيه حال المشبه الإمام الحسين (عليه السلام) بأشياء حسية مُدركة.

القسم الرابع: التشبيه الضمني:

((هو تشبيه لا يوضع فيه المشبَّه، والمشبَّه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلحان في التركيب))^(٢)، لا تظهر في هذا النمط من التشبيه أدوات التشبيه المتعارف عليها، فالمتكلم في هذا النمط من التشبيه يُلَمِّحُ تلميحاً إلى معانٍ دقيقة، فلا تظهر صورة هذا التشبيه إلا بالاستنتاج، وهذا الاضمار يجعل من التشبيه الضمني أعلق في الأذهان وأقرب إلى عواطف المتلقي، وغالباً ما يُؤتى بهذا التشبيه لغاية حجاجية، يراد منها التعليل ومن ذلك قول أبي الطيب [البحر الطويل]

وَأَصْبَحَ شِعْرِي مِنْهُمَا فِي مَكَانِهِ وَفِي عُنُقِ الْحَسَنَاءِ يُسْتَحْسَنُ الْعِقْدُ^(٣)

فالمشبه: الشعر الذي يُقال في كرام الناس فيزداد الشعر حُسناً؛ لَأَنَّهُ قِيلَ فِي حَقِّ كَرِيمٍ مِنَ النَّاسِ، أَمَّا الْمَشْبَهُ بِهِ: فَهُوَ حَالُ عَقْدِ ثَمِينٍ مِنَ الْجَوَاهِرِ، يَزْدَادُ بِهَاءٍ وَحَسَناً حِينَ يَوْضَعُ فِي عُنُقِ فَتَاةٍ حَسَنَاءَ، أَمَّا وَجْهُ الشَّبهِ: فَهُوَ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي مَوْضِعِهِ فَيَزِيدُهُ ذَلِكَ جَمَالاً إِلَى جَمَالِهِ.

ولهذا النمط من التشبيه مزايا، وخصائص منها:

١- لا تظهر فيه الأداة أو وجه الشَّبه بشكل صريح، بل تستوحيان، ويُستدلُّ عليهما من فحوى الخطاب^(٤).

٢- يتكون التشبيه ضمن هذا النمط من جملتين الأولى جملة المشبه، والثانية جملة المشبه به فإذا كانت الجملة الأولى وصفاً كانت الثانية مؤكدة لها^(٥).

(١) المنهاج الواضح للبلاغة: ٨٠/١.

(٢) علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني: ١٧٣.

(٣) شرح ديوان المتنبي: عبد الرحمن البرقوقي: ١١١/٢.

(٤) ينظر: علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني: ١٧٣.

(٥) ينظر: نظرية البيان العربي خصائص النشأة ومعطيات النزوع التعليمي: ٢٣١.

٣- لأنَّ المراد من وراء هذا التشبيه هو غاية حجاجية، فلا يُظهر منشئ الخطاب قصده مباشراً صريحاً، بل يجعله متضمناً في حكمة، أو موعظة^(١)، وقد ورد هذا التشبيه في شعر الواصل في خمسة عشر موضعاً^(٢)، من ذلك قوله من [البحر البسيط]

أَيَّامَ أَسْكُرَتِ الدُّنْيَا الْفَتْوحَ لَنَا فِي كُلِّ دَالِيَةٍ لِلْمَجْدِ مُعْتَصِرُ
وَالْيَوْمَ تُهْدِي إِلَى تَشْرِيعِنَا فِكْرُ يَا وَهْبَ الثَّمَرِ لَا تَحْتَاجُهُ هَجْرُ^(٣)

يلحظ من الخطاب أنَّه يحمل في طياته معنى الاعتراض على ما صارت إليه الأمة فبعد أن كان العرب المسلمون هم من يبنون أفكار الإسلام عبر الفتح، أصبحت الأفكار الغربية هي البديل عن الفكر الذي قاد الأمة مئات السنين، ويمثل الشطر الأول من البيت و هو قوله: (وَالْيَوْمَ تُهْدِي إِلَى تَشْرِيعِنَا فِكْرُ) جملة المشبه الذي هو حال الأمة التي تمتلك فكراً سماوياً محوره العدل، أمَّا عَجَزُ البيت فيمثل جملة المشبه به، وهو قوله: (يَا وَهْبَ الثَّمَرِ لَا تَحْتَاجُهُ هَجْرُ)، أمَّا وجه الشبه فهو أنَّ الأمة الإسلامية تملك فكراً نيراً لا تحتاج معه إلى فكرٍ مستوردٍ من خارجها؛ لأنَّ هذا الفكر لا ينسجم مع البيئة الإسلامية، و ما لدينا أفضل إذا أحسنَّا توجيهه كما نريد، ثم إنَّ وجه الشبه توارى خلف المثل المعروف ((كُمُسْتَبْضِعِ الثَّمَرِ إِلَى هَجْرٍ))^(٤)، إذ يكشف هذا الأسلوب عن إمكانية الخطاب غير المباشر، وقدرته الحجاجية المتضمنة في الأمثال فالمثل هو نتاج تجربة فلا يُقال جزافاً، بل لابدَّ أن تكون وراءه غاية حجاجية متمثلة بمنع سلوك ما، أو التشجيع على القيام به، وهذا ما قصده الواصل من خطابه، إذا ما تأملنا ظروف القول فهو يقصد بالأفكار المهداة أفكار الغرب التي أخذت تنتشر في المجتمع العربي والإسلامي، ووجدت من يمهّد لانتشارها، وجلها أفكار تتنافى مع القيم الإسلامية، وحتى الاجتماعية، كل هذه الأفكار تضمنت في خطاب حجاجي اتخذ من التشبيه الضمني وعاء له، فكان ((أبلغ من غيره وأنفذ في النفوس والخواطر لاتخاذ جانب التلميح واكتفائه به))^(٥).

القسم الخامس: التشبيه التمثيلي: هو تشبيه ينتج من استنباط صورةٍ من عدّة أشياء؛ لذا يعرفه علماء البيان أنَّه ((ما كان وجه الشبه فيه وصفاً منتزعا من متعدد أمرين، أو أمور))^(٦)، ويقوم هذا

(١) ينظر: علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني: ١٧٣.

(٦) ينظر: ديوان الواصل: ٦٥، ٨٧، ٨٨، ١٠٦، ١٢٢، ١٣٤، ١٦٧، ١٩٩، ٢٣٣، ٣٥٧، ٣٨٨، ٤٠٩، ٤٦٥، ٤٨٧، ٤٩٠.

(٣) ديوان الواصل: ١٠٦.

(٤) مجمع الأمثال: ١٥٢/٢.

(٥) علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني: ١٧٣.

(٦) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ١٠٠/٢.

هذا النمط من التشبيه على إنتاج صورة مركبة تتلاءم مع سياق التلفظ فتكون أعلق في ذهن السامع ويكون أثرها أشد؛ لأنها صورة منتجة لصورة عدّة، فهي - في أغلب الأحيان - تكون مقترنة بفعل، أو حركة أي إنّها تجسد صورة حركية من نوع ما^(١)، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَاحُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨]، يلحظ أنّ الخطاب القرآني حشد مجموعة صور، اتسمت بطابع الحركة، وهي (اشتدت به الرياح)، (يوم عاصف)، (لايقدرون ممّا كسبوا)، وجمعت هذه الصور بين الإيحاء والحركة، فقله تعالى: (أعمالهم كرماد) يوحي بتفاهة أعمالهم؛ لأنّ الرماد يمتاز بخفة الوزن، فمحال أن يستقر على الأرض إذا حركته الرياح فكيف إذا كانت هذه الرياح ريحاً عاصفة!، ثم تنتقل الصور الحركية إلى نهاية المشهد الذي يمتاز بالترج وهي الصورة النهائية لأعمال الكافرين التي مثلها بالعجز، فقال تعالى: ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾، والذي يظهر من تحليل هذا الخطاب أنّ ((وجه الشبه معنى مستنتج من صورة تشبيهية، وهو معنى مركب من عناصر متعددة، جاءت إثر تشكيل طرفي التشبيه من تعدد، وتركيب))^(٢)، ولهذا النمط من التشبيه أثر بالغ في الحجاج فهو يجمع بين ما هو قصدي مقامي، وما هو جمالي قريب من الواقع منسجم معه؛ لذا يكون أثره الإقناعي^(٣) أبرز وأظهر، ورد هذا النمط من التشبيه في تسعة عشر موضعاً^(٤) في شعر الوائليّ من ذلك قوله: [البحر الطويل]

وَمَا مَسَحَ الْإِذْلَالَ عَنْ وَجْهِ أُمَةٍ كَمَثَلِ وَرِيدٍ بِالْدَمِ الْحَرِّ يَشْخُبُ^(٥)

هذا البيت من قصيدة قالها في حق المجاهدين في جنوب لبنان، استهلها بتأبين الفدائية الشهيدة (سناء محيدلي).

والتشبيه الوارد في البيت هو تشبيه التمثيل الذي يُشبه فيه المعنى بصورة مركبة، وقد عمد الوائليّ إلى تشبيه المعقول، وهو قوله: (مَسَحَ الْإِذْلَالَ عَنْ وَجْهِ أُمَةٍ)، بالمحسوس الذي هو قوله: (وَرِيدٍ بِالْدَمِ الْحَرِّ يَشْخُبُ) لأنّ تشبيه المعقول بالمحسوس أقرب إلى نفس المتلقي وأقرب إلى فكره؛ ولأنّ المحسوسات تساعد المتلقي على استنتاج الصورة، وبنائها بما يتناسب مع معطياته اللغوية من

(١) ينظر: نظرية البيان العربي خصائص النشأة ومعطيات النزوع التعليمي: ٢٣٣.

(٢) نفسه: ٢٣٣.

(٣) ينظر: نفسه: ٢٣٣.

(٤) ينظر: ديوان الوائليّ: ٨٩، ١٠٥، ١٠٨، ١١٦، ٢٥٣، ٢٩٩، ٣٠٢، ٣١٢، ٣١٤، ٣٣٧، ٣٤٧، ٣٨٩، ٤٠١،

٤٥٣، ٤٩٨، ٥٠٣، ٥٠٦، ٥١٢.

(٥) نفسه: ٣٨٩.

المعاني المخزونة، فيكون تأثيرها أقوى وأشد إذا كانت هذه المعاني مما يعرفها المتلقي بحواسه، وقد يكون هذا التشبيه خاضعاً لنوع من التدرج فالأشياء المحسوسة عند المتلقي أعلى من الأشياء غير المحسوسة في قيمتها؛ لأنها أقرب حضوراً عند المتلقي^(١)؛ ولهذا نجد الخطاب الذي يستهدف إغراء المتلقي يتدرج من المعقول إلى المحسوس؛ ليحدث أثراً حجاجياً يتمثل بإقناعه للدخول في العقيدة، أو الثبات عليها، أو الموت من أجلها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩] فوصف الحور العين اللاتي لم يَرَهُنَّ إنسان بالببيض المكنون الذي هو أقرب إلى مدركاته فالمسلم الذي يعيش في مجاهل الصحراء أتى له أن يعرف الحور العين؟ لكنه يعرف جزءاً من صفتها التي رآها وهي ((الببيض حين يُفْشَر قبل أن تمسّه الأيدي))^(٢)، فيكون ذلك قياساً في التشبيه كما صرح الجرجاني قائلًا: ((والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب وتُدركه العقول، وتُسْتَفْتَى فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والآذان))^(٣)، وقد عدَّ البلاغيون، هذا النمط من التشبيه أي تشبيه المعقول بالمحسوس من صفات البلاغة في الخطاب، قال العلوي: ((وما هذا حاله من التشبيه كثير الدور والجري ويختص بالبلاغة؛ لما فيه من إلحاق غير المحسوس بالمحسوس وإجرائه مجراه))^(٤)، والغاية من هذا الأمر هي العناية، والاهتمام بالمشبه^(٥) والخطاب يتألف من جزأين كلاهما يتكون من صورة مركبة من أجزاء عدّة، فجملة المشبه تتكون من صورة حركية بدأت بفعل (مَسَحَ) هي صورة متخيلة تشكلت من مفردات معقولة هي (الإذلال) و(وجه الأُمة)، أما صورة المشبه به فتشكلت من صورة حركية أيضاً لكنها صورة محسوسة، (فالشخب) هو صوت اللين حين يخرج من الضرع، وكل دمٍ سال فقد شخب^(٦) فصورة المشبه به هي صورة الوريد الذي يشخب دمه، وقد اختار الوائلي لفظة الشخب لما توحى به من دلالة على كثافة، وقوة تدفق الدم، وفي هذا النمط من التشبيه يكون وجه الشبه استنتاجاً من الخطاب، وهو هنا جامع بين الجزأين وهو التضحية وبذل المزيد من الدماء لأجل التحرر، والتخلص من الذل، أمّا الجانب الحجاجي للخطاب فقد تضمن في الفعل الكلامي غير المباشر الذي يدعو إلى التضحية؛ لأنَّ

(١) ينظر: الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل: ١٠٤.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري تح: أحمد محمد شاكر: ٤٣/٢١.

(٣) اسرار البلاغة: ١٧.

(٤) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ١/١٧٥.

(٥) ينظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: ٩/٢٦٣.

(٦) ينظر: لسان العرب: مادة: (شخب): ١/٤٨٥.

الأسلوب غير المباشر للتعبير عن المراد أكثر تأثيراً في النفوس من الأسلوب المباشر في أغلب الأحيان، ولاسيما في المجالات الأدبية، و الموعظة، وفي أكثر صور الإقناع^(١).

المبحث الثاني: الاستعارة الحجاجية:

الاستعارة من آلات البيان توصل المتلقي إلى المعنى، بوصفها وجهاً من وجوه البلاغة وهي طريقة إقناع مؤثرة، يرتقي بها الخطاب ليحقق الغاية الحجاجية، وتمثل روح اللغة لما لها من قدرة على اختراق الحواجز، والولوج إلى أعماق المتلقي؛ لتصل إلى غايتها الحجاجية في إحداث أثر فيه.

وعرفها الجرجاني بقوله: ((الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدلُّ الشواهد على أنه اختُصَّ به حين وُضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعاريّة))^(٢)، فهذا التعريف يبين دور المتكلم في توظيف الاستعارة لقصد يبتغيه، إذ إنَّ للمحتاج أن يستعمل كلَّ الوسائل اللغوية النحوية،

(١) ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ١٦٧/٢.

(٢) أسرار البلاغة: ٢٢.

والبلاغية، والصرفية للوصول إلى مراده فالغرض من نقل اللفظ هو إحداث أثر، وهذا الأثر يتمثل بالجانب القصدي للخطاب، وهذا من مزايا الاستعارة على الخطاب المباشر، إذ إنّ الخطاب المباشر لا يتضمن ذلك الأثر الذي يتضمنه الخطاب المؤسس على الاستعارة، وهذا يكشف عن عمق التأثير الذي يحدثه الخطاب المتضمن للاستعارة بوصفها أداة من أدوات الحجاج، وفي ذلك يقول أبو هلال العسكري: ((ولولا أنّ الاستعارة المصيبة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالاً))^(١)، فالخطاب المؤسس على الاستعارة خطاب حجاجي؛ لأنّه قائم على التفاعل بين المتكلم والمتلقي^(٢)، و الخطاب الحجاجي يتصف بهذه الصفة؛ لأنّه يهدف إلى توجيه المتلقي إلى غاية مقصودة، ويتحقق ذلك بإدراج الحجج على أن يتوخى المتكلم أن يأتي بأقوى أثراً في المتلقي، حتى يتمكن من أخذ زمام التوجيه لصالحه، لكنّ هذا الأثر لا يكون له أيّ وجود من دون السياق فالسياق هو إحدى أعمدة المعنى^(٣)؛ لذا تسمى الاستعارة التي تنسجم مع سياق الخطاب بالاستعارة الحجاجية؛ لأنّها تقصد إحداث أثر في المتلقي، فالاستعارة ليست مجرد نقل للكلمات من صيغها الحقيقية في أصل الوضع إلى الجانب الهامشي للدلالة، بل هي رموز للانفعالات وصياغة لما يتفاعل معه المتلقي على كل المستويات^(٤)، ويرى د. طه عبد الرحمن أنّ الخطاب المؤسس على الاستعارة يكتسب طابعه الحجاجي من ثلاث جهات الأولى قصد المتكلم في تحقيق المطابقة وتجاوز إطار التشبيه، الجهة الثانية هي المعنى إذ إنّ الاستعارة في المعنى وليست في الألفاظ، الجهة الثالثة وهي التركيب اللغوي الذي تندرج في سياقه، إذ يكشف هذا التركيب عن التوظيف المراد تحقيقه من الاستعارة^(٥) ويزخر شعر الوائلي بالاستعارات التي تمثل آلة إقناع وتأثير في المتلقي بما تشتمل عليه من طرق البيان، وتوليد المعاني التي تنسجم مع سياق إنتاج الخطاب، فتحمل المتلقي من المعنى غير المباشر إلى القصد الذي يبتغي تحقيقه.

أقسام الاستعارة:

-
- (١) كتاب الصناعتين: ٢٦٨.
 - (٢) ينظر: حجاجية المجاز والاستعارة: حسن المودن : بحث ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته : ١٦٥/٣.
 - (٣) ينظر: الرؤية التداولية للاستعارة: عيد بليغ: مجلة علامات: ع: ٢٣: لسنة: ٢٠٠٥: ٩٩.
 - (٤) ينظر: حجاجية المجاز والاستعارة: (بحث): ١٧٢/٣.
 - (٥) ينظر: الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج: طه عبد الرحمن: مجلة المناظرة: ع: ٤: ١٩٩١: ٦١ .

قسم البلاغيون الاستعارة على ثلاثة أقسام رئيسة: استعارة تصريحية، ومكنية، وتمثيلية ولم يكتف المتأخرون بهذا التقسيم، بل أدخلوا بعض التقسيمات الفرعية تحت هذه التقسيمات الرئيسية، ومنها: الاستعارة الوفاقية، والعنادية، والتحقيقية، والمرشحة، والمجردة والمطلقة...، والذي يُظهره ذلك التقسيم أنَّه مستمد من السياق الذي ترد فيه الاستعارة فهو تقسيم وظيفي لكن هذا التقسيم لا يخلو من جانب قصدي يتلاءم مع سياق الخطاب^(١) وهذا الأمر جعل من الاستعارة وسيلة من جملة الوسائل اللغوية التي يعتمد عليها المتكلم للوصول إلى النتيجة الحجاجية التي يقصدها من الخطاب^(٢).

١- الاستعارة التصريحية :

تُعرَّف بأنها الاستعارة ((التي يُصرَّح فيها بذات اللفظ المستعار، الذي هو في الأصل المشبَّه به حين كان الكلام تشبيهاً، قبل أن تُحذف أركانه باستثناء المشبَّه به، أو بعض صفاته، أو خصائصه، أو بعض لوازمه الذهنية القريبة، أو البعيدة))^(٣)، ومن ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧] فالمقصود بالآية الكريمة هي مريم بنت عمران (عليها السلام)، ويلحظ أنَّ أركان التشبيه من وجه الشبه، وأداة التشبيه والمشبَّه حُذفت، وبقي اللفظ الدال على المشبه به، وهو الإنبات، وهذا من أهم خصائص الاستعارة التصريحية، إذ يعتمد المتكلم على إثبات المستعار منه للمستعار له، حتى يكون شيئاً واحداً قال ابن الأثير: ((فإن الاستعارة لا تكون إلا بحيث يطوى ذكر المستعار له الذي هو المنقول إليه، ويكتفى بذكر المستعار الذي هو المنقول))^(٤)، أمَّا القراءة الحجاجية لهذا الخطاب بوصفه حجة تدل على نتيجة، فهي أنَّ الله تبارك وتعالى تكفل مريم رعايةً وأنشأها، كما يرعى الزارع زرعته حتى يكبر ويؤتي أكله وهذه الحجة تتضمن نتيجة مفادها تركية مريم وإحاطتها بهالة من التقديس والطهارة والإيمان، وهذا التعبير المؤسس على الاستعارة أكثر إيحاءً، وأعمق أثراً في المتلقي، فمن تغمدها الله سبحانه وتعالى برعايته، و أُوكل بها نبياً يرعاها تستحق أن تكون سيدة نساء عالمها، و الحجة التي أُسست على الاستعارة وما بعدها هي حجج مؤسسة على بنية الواقع

(١) ينظر: الحجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام): ١١٢.

(٢) ينظر : اللغة والحجاج: ١٠٥، و الحجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام): ١١٢.

(٣) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٢/٢٤٢.

(٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٦٠/٢.

مما يجعلها أقرب إلى ذهن المتلقي، وأقوى أثراً في جله يُدْعن للنتيجة المقصودة من الخطاب ^(١)،
ووردت هذه الاستعارة في ستين موضعاً من شعر الوائلي ^(٢)، من ذلك قوله: [البحر الخفيف]

مِشْعَلٌ لَمْ يَزَلْ يُضِيءُ وَإِنْ حَامَ (م) وَلَ إِخْمَادُهُ الظَّلَامُ الشَّدِيدُ ^(٣)

هذا البيت من قصيدة عنوانها الدم النائر، قصد بها الإمام الحسين (عليه السلام) فاستعار للإمام الحسين (عليه السلام) لفظ (مشعل) وهو وعاء توضع فيه النار لتضيء ما حولها، بعد أن حذف من أركان التشبيه أداة التشبيه، والمشبّه، ووجه الشبه، وأبقى المشبّه به، و تدلُّ مادة (شعل) في المعجمات العربية على معنى الانتشار و الكثرة ^(٤)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]، و يمثل الحسين (عليه السلام) رمزاً من رموز رفض الطغيان والاستبداد، وسراجاً يستضيء بنهجه كلُّ حُرٍّ، فالحسين (عليه السلام) لم يكن في يوم ما قضية، دينية، أو مذهبية، بل هو رمز إنساني، و هو معين تغترف منه الإنسانية جمعاء، فهو مشعل أزلي باقٍ ما بقي الخافقان، وقد اتخذ الشاعر هذه الاستعارة لمناسبة بين المستعار له الحسين (عليه السلام) والمستعار منه مشعل، وهذا من خصائص الاستعارة التصريحية، إذ يعتمد المتكلم على إيجاد ما يشترك فيه الطرفان فيجعل المستعار منه هو المستعار له، قال الرماني: ((وكل استعارة بليغة فهي جمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما يكسب بيان أحدهما بالآخر)) ^(٥) فالجامع بينهما هو أَنَّ الإمام والمشعل المضئ كلاهما يهديان إلى الطريق الصحيح، وهذه العلاقة يتوصل إليها المتلقي بالاستنتاج، وإعمال الروية وتقليب الفكر، ويرى بيرلمان أَنَّ هذا التناسب بين المستعار له والمستعار منه يأتي لبيان مكانة المستعار له؛ لأننا حين نستعير له هذه الأشياء نحاول أن نثير ردود أفعال عند الآخرين هي نفسها التي نشعر بها نحو ذلك الشخص ^(٦)، وقد تعاضدت الاستعارة في قوله (مشعل)

(١) ينظر: الحجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام): ١١٢.

(٢) ينظر ديوان الوائلي: ٥٣، ٥٥، ٧٠، ٨٥، ٨٦، ٩٤، ٩٦، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٥، ١١١، ١١٥، ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٦، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٩، ١٥١، ١٨٩، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٧، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٦٣، ٢٦٩، ٢٨٥، ٣٠٤، ٣١٦، ٣٦١، ٣٨٠، ٣٩٠، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤٠٩، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٤، ٤٢٧، ٤٣١، ٤٣٣، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٤٨، ٤٥٢، ٤٦٧، ٤٧٦، ٤٩٢، ٥٠٢، ٥٠٥، ٥١١، ٥١٣، ٥٢٤.

(٣) نفسه: ١١١.

(٤) ينظر: كتاب العين مادة: (شعل): ٢٥٦/١، والصاح (تاج اللغة وصحاح العربية): مادة: (شعل): ١٧٣٥/٥، و معجم مقاييس اللغة: مادة: (شعل): ١٨٩/٣.

(٥) ثلاث رسائل في إجاز القرآن: ٨٦.

(٦) ينظر : نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان: ٩٣ نقلاً عن: Perelman(ch) Analogie et metaphore en science, poesie et philosophie, in, le champ de l'argumentation, p,274.

(مشعل) مع العامل الحجاجي (لم يزل) لتضفي على الخطاب صفة الديمومة والاستمرار، فالنور الذي تمثله تضحية الحسين (عليه السلام) لن ينطفئ على مدى الدهر، ومازاد في قوة الحجة المؤسسة على الاستعارة وجود حجة مضادة، وهي محاولة إطفاء ذلك النور، إذ يعد هذا التباين بين الحجتين المدرجتين في الخطاب وهما: الضوء والظلام عنصران فاعلان في الخطاب الحجاجي وقد عدهما بيرلمان تقنية من تقنيات الوصل فطرائق الوصل في الحجاج تعتمد على العناصر المتباينة في الخطاب فتدمجها في علاقة تركيبية متخذة من طرق البيان وسيلة لذلك الوصل، فيكون أحدهما مسبباً للآخر، أو مؤكداً له، ويكون الخطاب مقبولاً ومشحوناً بطاقة إقناعية فاعلة^(١)، وعلى وفق هذا تكون الاستعارة الثانية مؤكدة ومعززة للحجة الأولى، لأنها مخالفة لها؛ ولأنَّ الحجة الأولى هي من يهيمن على الخطاب ويوجهه نحو القصد الذي يبتغيه المتكلم استناداً إلى معطيات مسبقة في الخطاب تدل عليها القرائن.

٢- الاستعارة المكنية :

في هذا الضرب من الاستعارة لا يذكر المستعار منه، بل يأتي المتكلم بشيء من لوازمه أو صفاته فيثبتها للمستعار له، وقد عرفها السكاكي بقوله: ((هي كما عرفت أن تذكر المشبه وتريد به المشبه به دالاً على ذلك بنصب قرينة تنصبها، وهي أن تنسب إليه وتضيف شيئاً من لوازم المشبه به المساوية، مثل أن تشبه المنية بالسبع ثم تفردا بالذكر مضيفاً إليها على سبيل الاستعارة التخيلية من لوازم المشبه به ما لا يكون إلا له؛ ليكون قرينة دالة على المراد))^(٢)، فاللفظ المستعار هو كناية عن المشبه به، أما المشبه فيذكر، ويصطلح عليها في البلاغة العربية الحديثة لغة التجسيد، والتجسيم^(٣)، ومن الاستعارة المكنية قول الله تبارك وتعالى في بيان حال نبيه موسى (عليه السلام): ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، إذ شبه الله تبارك وتعالى الغضب بشخص له سطوته فحذف المشبه به وهو الإنسان الغاضب وأبقى شيئاً من صفاته وهي السكوت وذكر المشبه وهو الغضب، فالخطاب القرآني يبين حالة الغضب التي اعترت موسى (عليه السلام) بعد أن ارتد بنو إسرائيل عن عبادة الله تعالى، واتخذوا العجل رباً من دونه، ويزخر الخطاب الأدبي العربي بشقيه الشعر والنثر بمظاهر الاستعارة المكنية؛ لما تشتمل عليه من جانب جمالي تستريح له النفوس، وجانب إقناعي تدعن له العقول، وقد اشتمل شعر الوائلي على العديد

(١) ينظر: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات: ٨١-٨٢.

(٢) مفتاح العلوم: ٣٧٨-٣٧٩.

(٣) ينظر: نظرية البيان العربي خصائص النشأة ومعطيات النزوع التعليمي: ٢٧٦.

من الاستعارات المكنية، فقد وردت في مائة وأربعة عشر موضعاً من شعره^(١)، من ذلك قوله:
[البحر البسيط]

يا ساسة السوءِ بَرُّ شَعْبُكُمْ بِكُمْ فَلَا تَكُونُوا وَقَدْ عَضَّ الْبَلَا عَقَقَا^(٢)

هذا البيت من قصيدة عنوانها بغداد، عرج فيها على أحداث كثيرة وقعت فيها، ومن جملتها الحكم السياسي الذي أودى بشعبها إلى ما وصل إليه من البؤس والشقاء، وقد أعمل الاستعارة المكنية في صدر البيت وعجزه، إذ مثلت الاستعارة حُجَّتَيْنِ أَمَّا صدر البيت ففي قوله: (بَرُّ شَعْبُكُمْ بِكُمْ) إذ استعار الإنسان البار بوالديه، فجعل الشعب كالابن البار بوالديه في طاعته لهم ومودته لهم فحذف المستعار منه وهو الابن، وأبقى البرّ الذي هو من لوازمه، ليدل على مدى طاعة الشعب لهم، والتزامه بامرهم ونهيهم، أَمَّا الاستعارة الثانية فهي قوله (عَضَّ الْبَلَا)، إذ شبه البلاء الذي جره السياسيون على الشعب بالأسد الضاري، فحذف الأسد وأبقى شيئاً من لوازمه وهي العَضُّ والفتك، وقد اعتمد في الاستعارتين على التشخيص الذي ((يتمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة، والظواهر الطبيعية والانفعالات الوجدانية))^(٣) و ما جعله يعتمد على التشخيص هو قدرته الإيحائية فأثره في المتلقي أقوى من الخطاب الصريح، فيمكن أن تتضوي تحت هذا الخطاب معاني متعددة وهي: الجوع، الفقر، الفاقة، البؤس، الشقاء، الظلم،...، والوائِيَّ أراد أن يعبر عن الحقيقة التي يعيشها الناس في ظلّ هذا الحكم، فكان سبيل الخلق الاستعاري هو الأسرع والأقرب إلى إيصال هذه المعاني جميعاً إلى المتلقي، فالاستعارة ليست خيالاً فحسب، بل هي مرآة عاكسة للحقيقة، و يرى د. طه عبد الرحمن أنَّ الاستعارة مع ما لها من ارتباط بالخيال تظلُّ محتقظة بصفة جوهرية هي صفة وصف الحقيقة، أو المبالغة في وصفها فقال: ((إِنَّ القول الاستعاري وإنَّ احتمل أن يكون مخالفاً للمقتضى المنطقي هو قول مُحَصِّلٌ للفائدة، بل إنَّ فائدته تزيد قوة عن القول الحقيقي الذي يفسرهُ))^(٤)، وهذا يكشف إمكانية القول الاستعاري على اختزال كم من المعاني

(١) ينظر: ديوان الوائِيَّ: ٤٦، ٤٨، ٥٠، ٥٣، ٥٦، ٥٩، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٩، ٧٥، ٧٨، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٥، ٨٧، ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٦، ٩٩، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١٢١، ١٢٣، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٨، ١٥١، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٤، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٣، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٣٢، ٢٣٧، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٦٦، ٢٨٣، ٢٩٣، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٩، ٣١٣، ٣١٥، ٣٢٠، ٣٣٤، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٧، ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٧٠، ٣٧٤، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٥، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٣٠، ٤٤١، ٤٥٢، ٤٥٦، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٣، ٤٩٧، ٤٩٨، ٥٠١، ٥١٠، ٥١٤.

(٢) ديوان الوائِيَّ: ١٩١.

(٣) التصوير الفني في القرآن: سيد قطب: ٧٣.

(٤) الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج: (بحث): ٥٤.

في لفظ موجز، وقد أشار الجرجاني إلى ذلك بقوله: ((إنَّها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ))^(١) أمَّا الجانب الحجاجي للخطاب فيتجلّى في تعرية المشار إليهم من كل فضيلة ونعتهم بالعقوق وذلك أنَّ شعبهم كان مطيعاً لهم، لكنَّهم كانوا على خلاف ذلك، إذ قابلوا الإحسان بالإساءة والوصل بالقطيعة.

٣- الاستعارة التمثيلية:

((هي تركيب مستعمل في غير ما وُضع له؛ لوجود علاقة مشابهة بين المعنى الحقيقي للتركيب والمعنى المجازي، مع وجود قرينة تصرف ذهن المتلقي عن المعنى الحقيقي لتقصد المعنى المجازي))^(٢)، ويستدل المتلقي عليها إمَّا بالقرينة اللغوية، وإمَّا بالسياقية ومنها قول رسول الله (ﷺ): ((لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ))^(٣)، فالاستعارة هنا مأخوذة من متعدد، إذ لا يدل عليها لفظ واحد، بل تشمل الخطاب كله، فالمستعار منه الشخص الذي يلدغ من جحر في مرة ولا يعتبر، بل يكرر فعلته، أمَّا المستعار له فهو من يكرر الفعل الذي لاطائل من ورائه، فيتعرض للأذى والفشل، فالحديث يدل على الاعتبار، وترك الأمر الذي فيه ضرر، واجتناب تكراره، ومن ذلك قولهم في المثل السائر: ((رَجَعَ بِخُفِّي حُنَيْنٍ))^(٤)، فالمثل كله استعارة تمثيلية، فالمستعار منه القصة المعروفة، والمستعار له الإنسان الذي يعود خائباً من شأنه الذي يطلبه فلا يدركه، وقد أعمل الوائلي هذه الاستعارة في خمسة عشر موضعاً^(٥)، من شعره، ومن ذلك قوله: [بحر الرمل]

قَدْ زَرَعْتُمْ نَبْتَةً أَعْطَتْكُمْ ثَمَرًا مُرًّا وَمَا بِالشُّوكِ قَمْحٌ^(٦)

في هذا البيت استعارة تمثيلية، والخطاب هنا يقع موقع المشبه به، أمَّا المشبه فهو حال من يزرع الشوك وينتظره لي طرح القمح، وهو خطاب غير مباشر، يراد به الإنسان الذي يعمل العمل السيئ وينتظر المجازاة بالإحسان، وهذا الخطاب مقتبس من قول رسول الله (ﷺ): ((لَا يُجْتَنَى مِنَ الشُّوكِ الْعِنَبُ))^(٧)، الذي يسير كالمثل السائر، وبحسب قرينة السياق فالخطاب موجه إلى حكام الخليج؛ لأنَّ الوائلي نظم هذه القصيدة بعد أحداث الخليج عام ١٩٩١، والخطاب يحمل في طياته

(١) أسرار البلاغة: ٣٠.

(٢) نظرية البيان العربي خصائص النشأة ومعطيات النزوع التعليمي: ٢٧٩.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ١٠/١٧٥.

(٤) مجمع الأمثال: ١/٢٥٦.

(٥) ينظر: ديوان الوائلي: ٥٣، ٦٦، ١٧٩، ١٨٣، ١٨٤، ٢٤٠، ٢٧١، ٣١٧، ٣٧٤، ٤٠٩، ٤١٤، ٤٢١، ٤٣٩، ٤٨٤، ٥٠٦.

(٦) نفسه: ٤٠٩.

(٧) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: ٤/١٦.

التعنيف، والتأنيب، واللوم، على ما اقترفت أيديهم، فهم الذين كانوا بوابة العون لرئيس العراق السابق، إذ إنهم كانوا يمدونه بكل وسائل القوة، وببدل أن يكون سعيهم هذا نافعا عاد وبالأعلى عليهم، فكان مثلهم وإياه كزارع زرع شوكة وانتظر أن يجني منه قمحا، فبدل أن يكون حاميا لهم اجتاحت أرضهم، وهذه هي الحقيقة التي سلط عليها الضوء، وكشف عنها، إذ ((لا بد لكل استعارة ومجاز من حقيقة وهي أصل الدلالة على المعنى في اللغة))^(١)، ويمكن أن نلاحظ هذه الحقيقة من علاقة الاستدلال التي يصل إليها المتلقي بعد ربط الخطاب بالسياق.

أقسام الاستعارة بحسب طرفيها:

إن وجود التلاؤم بين طرفي الاستعارة، أو انتقائه دفع البلاغيين إلى تقسيم الاستعارة -بحسب هذا التلاؤم- على استعارة وفاقية، واستعارة عنادية، وينطلق هذا التقسيم في الغالب من رؤية سياقية، ويزخر هذا التقسيم بالوظائف الحجاجية التي تعرف من سياق الخطاب:

١- الاستعارة الوفاقية:

أشار الجرجاني إلى هذه الاستعارة، وهي عنده استعارة خالصة؛ لوجود التلاؤم بين طرفيها، وعدّها ضرباً ثالثاً من ضروب الاستعارة، فقال: ((هو الصّميم الخالص من الاستعارة، وحدّه أن يكون الشبه مأخوذاً من الصّور العقلية، وذلك كاستعارة النور للبيان والحجة الكاشفة عن الحق))^(٢)، فالجامع المشترك بين النور والحجة أنّهما يبددان ظلام الأشياء، ويكشفان طريق الحق، وعلى وفق هذا التلاؤم بين طرفي الاستعارة عرفها المحدثون بأنّها ((الاستعارة التي يمكن اجتماع طرفيها المستعار منه والمستعار له في شيء واحد))^(٣)، فعلى وفق هذا التناسب بين طرفي الاستعارة لا يوجد بينهما ما يوحي بالتضاد أو التنافر^(٤)، فيكون اجتماعهما في الشيء الواحد مسلماً به عند المتلقي بطريق الاستدلال، والاستنتاج معتمداً على كفايته الثقافية، وردت هذه الاستعارة في خمسة وثلاثين موضعاً^(٥) من شعر الوائلي، من ذلك قوله: [البحر الكامل]

فَتَيْقُظَا أَنْ تُخْدَعَا فِي غَابَةٍ خَضْرَاءَ وَشَاهَا النَّدَى بِمَرْصَعِ

(١) كتاب الصناعتين: ٢٧٠.

(٢) أسرار البلاغة: ٤٢.

(٣) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٢٦١/٢.

(٤) ينظر: نظرية البيان العربي خصائص النشأة ومعطيات النزوع التعليمي: ٢٨٤.

(٥) ينظر: ديوان الوائلي: ٨٩، ٩٣، ٩٤، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٦، ١٢١، ١٢٣، ١٤٧،

١٤٨، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٧، ١٧١، ١٧٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠،

٢١٤، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣٠.

فيها الأفاعي الرُّبْدُ تَنْفُتُ سُمَّهَا وَالْعَقْرَبُ الشَّرْسُ الشَّدِيدُ الْمَلْسَعُ^(١)

فهذا الخطاب موجه إلى ابنتيه جمانة وخولة، اعتمد فيه على الاستعارة التصريحية في تأسيس خطاب يتضمن التحذير من الدخول في دوامة الحياة والتأثر بالأفكار التي لا تتلاءم مع الثقافة الإسلامية، ومبادئ الدين الحنيف، فاستعار للحياة الغابة الخضراء واستعار للأفكار الهدامة لدغ الأفاعي، ولسع العقارب، والتلاؤم بين الطرفين قائم على ما يشتركان فيه من الضرر، فسم الأفاعي والعقارب يسري في البدن رويداً رويداً حتى يتمكن منه فيهلكه، وكذلك الأفكار الهدامة تبدو في أول الأمر جميلة، وتلبي رغبات الإنسان، لكنّها في النهاية تؤدي إلى فقدانه لشوابته الثقافية، والدينية، فهاتان الاستعارتان وفاقيتان؛ لتوافق طرفي الاستعارة فيهما^(٢)، ويتجلى الجانب الحجاجي في هذا الخطاب في توظيف الاستعارة لتأخذ دور التحذير^(*) من الوقوع في شباك الأفكار المنحرفة والعمل بها.

ب- الاستعارة العنادية :

عند انتقاء التلاؤم بين طرفيها تسمى الاستعارة عنادية ((وهي الاستعارة التي لا يجتمع طرفاها المستعار منه والمستعار له في شيء واحد))^(٣)، ويؤتى بهذه الاستعارة لبيان أحد أمرين: التمليح، أو التهكم، ويتضح من التعريف أنّ هذا التقسيم مستمد من سياق الخطاب، فقد يُستعار النقيض في التهكم كقولهم في الجبان: أسد، وقولهم في البخيل: كريم، أي استعمال القول وإرادة

(١) نفسه: ٣٤٢.

(٢) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ١٥٤/٢.

(*) قد يقع هذا التحذير في صورة من صور الإخبار، إذ يحمل الإخبار أوجهاً عدّة، وأحد هذه الأوجه هو التحذير، فإذا قال أحدهم: (جاء الذئب و الثعلب) قاصداً بخطابه أشخاصاً معينين، فالفعل الكلامي الذي أنجزه هو فعل الإخبار، لكنّه يتضمن معنى التصنيف والتحذير، وهذه المعاني المتضمنة في الخطاب أوجدتها الصيغ الاستعارية فيه، فالمتعارف عليه أنّ (الذئب) يشير إلى الغدر، والفتك ويشير المعنى الاستعاري لكلمة (الثعلب) إلى المكر والخداع، فالمتكلم أنجز بهذا الإخبار أربعة أفعال كلامية هي: إخبار المتلقي، وتحذيره، وتصنيف الأشخاص المشار إليهم بهذه الصفات، أما الفعل الرابع هو فعل الحجاج الذي يُرادُ منه إقناع المتلقي بترك هؤلاء، كلّ ذلك تحقق بفضل الاستعارات التي أدت هذه المعاني ممّا يجعل من الاستعارة فاعلاً أساسياً في تحقيق المعنى الحجاجي.

(٣) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٢٦١/٢.

الضدّ منه^(*) من مثل قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣] فالبشرى لا تكون إلا في الأمر الذي يدل على السرور و جيء بها هنا لإرادة التهكم والاستهزاء بالكفار المعاندين، قال الطاهر بن عاشور: ((لأنّ تشبيه الضدّ بضدّه لا يروج في عقل أحد إلا على معنى التهكم أو التمليح))^(١)، وردت هذه الاستعارات في أربعة عشر موضعاً^(٢) من شعر الوائلي، من ذلك قوله: [بحر الرمل]

وَتَوَسَّمْتُمْ صَلَاحَ الدِّينِ فِي بَطْلٍ فِيهِ مَنَ الْأَسْلَافِ لَمْحُ^(٣)

هذا البيت من قصيدة قالها بعد حرب الخليج يؤنب فيها حكام الخليج الذين اتخذوا من رئيس العراق السابق قائداً للأمة العربية.

وقوله صلاح الدين استعارة يراد بها التهكم، إذ لا يوجد ما يشترك فيه الطرفان، فاستعارة الأشياء المتضادة، ودمجها في خطاب، وجعلها متناسقة من حيث التركيب والدلالة لا يكون إلا بداعٍ من دواعي التهكم والاستهزاء^(٤)، فالقرينة العقلية تدل على أنّ صلاح الدين كان قائداً مسلماً فرض سلطته على الأراضي الإسلامية في مصر وبلاد الشام، وحرر بيت المقدس من الصليبيين، فكان مثلاً للقائد الشجاع المنتصر، أمّا الطرف الثاني المستعار له فقد خاض حروباً خاسرة أضعفت العراق وشعبه، ويكمن الجانب الحجاجي في هذه الاستعارة في عقد مقارنة بين المقصود المضمّر في الخطاب والمذكور، إذ إنّ الحجاج ضمن هذا النمط يسمى حجاجاً بالمقارنة، وهو من جملة وسائل الحجاج شبه المنطقية^(٥) إذ يعتمد المتكلم إلى جعل المذكور، والمضمّر موضع مقارنة بين من يمتلك صفات حسنة ومن لا يمتلك، بين ما هو صالح وما هو طالح، إذ يترك الخطاب فسحة للمتلقّي في استحضار ما يتعلق بكل طرف، وله أن يستنتج بعد ذلك، ويمثل الخطاب رسالة إلى حكام الخليج وهي أنكم وثقتم بشخص لا يملك مؤهلات القائد الذي تتشدونه، وقد أثبت الواقع صدق هذا الادعاء فالحجاج المتضمن في الخطاب مؤسس على بنية الواقع^(٦).

الاستعارة المرشحة، والمجردة، والمطلقة:

(*) تقدم القول في ذلك في الفصل الثاني في مبحث الاستلزام الحواري، وتعد الاستعارة العنادية جزءاً مهماً فيه.

(١) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: ٢٠٧/٣.

(٢) ينظر: ديوان الوائلي: ١٢١، ١٢٣، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٨، ١٥١، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٢، ٤٠٩.

(٣) نفسه: ٤٠٩.

(٤) ينظر: مفتاح العلوم: ٣٧٥.

(٥) ينظر: نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان: ٦٩.

(٦) ينظر: نفسه: ٨٤.

أ- الاستعارة المرشحة:

لا يجري هذا التقسيم على أساس ملائمة المستعار منه، إلى المستعار له، بل على ما يندرج في سياقهما من ألفاظ، فإذا تلائم اللفظ الذي يندرج في سياق الاستعارة مع المستعار منه (المشبه به) سُمِيَتِ الاستعارة مرشحة^(١)، ويكون هذا في الخطاب الذي يتضمن استعارات متعددة من ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦] فالآية الكريمة تضمنت ثلاث استعارات الأولى قوله تعالى: اشتروا، وقد أورد في سياقها ما يتناسب مع الشراء وهو الربح والتجارة ويقابل مصطلح الاستعارة المرشحة في المفهوم العربي الحديث النظرية التفاعلية للاستعارة، إذ يرى أصحاب هذه النظرية أنَّ اللفظ الدال على الاستعارة يمثل بؤرة الاستعارة، أمَّا ما يتصل بها من كلمات في السياق فهي الإطار المحيط بالاستعارة والعلاقة بين البؤرة والإطار هي علاقة تفاعلية، إذ يكسب كلٌّ منهما دلالة للآخر^(٢)، وردت هذا النمط من الاستعارات في أحد عشر موضعاً^(٣) من شعر الوائلي، ومن ذلك قوله: [البحر المتقارب]

أَقَادَتْنَا يَا رُفَاتَ الرِّجَالِ وَيَا جَيْفًا نَنْتُهَا يَخْنِقُ^(٤)

فقوله: جيفاً استعارة، إذ استغنى عن ذكر المشبه بما سبقه ودلَّ عليه في صدر البيت وهو القادة، فاستعار لهم هذا اللفظ، وهي استعارة مرشحة، فقد ذكر ما يتناسب معها في سياق البيت وهو قوله: نَنْتُهَا يَخْنِقُ، فما يتناسب مع الجسد بعد موته الروائح المنتنة. والبيت من قصيدة عنوانها حديث فلسطين، والخطاب الاستعاري يكشف حقيقة القادة العرب الذين تخاذلوا عن قضيتهم، وناموا ملء جفونهم عنها، ليواجه شعبها مصيراً أسود فعبر عن هذه الحقيقة بموت القادة، ووصف تقاعسهم بأنَّهم جيف روائحها تتركب الأنوف وهذا الخطاب يتناسب مع جلوسهم عن مطالبتهم بفلسطين، أمَّا الجانب الحجاجي للخطاب فأرى أنَّه يتضمن محورين: المحور الأول هو محور الاختيار الأسلوبي، إذ إنَّه عدل عن أسلوب التشبيه إلى الاستعارة؛ لأنَّها في هذا السياق أقوى في تحقيق الدلالة .

(١) ينظر: تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: ابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـ): تح: د.

حفني محمد شرف: ٩٩/١، والطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ١١١/١.

(٢) ينظر: الاستعارة في النقد الأدبي الحديث الأبعاد المعرفية والجمالية: ١٣١.

(٣) ينظر: ديوان الوائلي: ٨٧، ١٠٩، ١٩١، ٢٣٣، ٢٧٥، ٢٨٩، ٣٠٢، ٣٢٢، ٣٦٧، ٤٠٩، ٤٧٦.

(٤) نفسه: ٣٦٧.

أمّا المحور الثاني فهو المحور القصدي للخطاب، إذ قدم الوائليّ بهذا الوصف حال القادة العرب فهم ليسوا كالأموات، وليسوا كجيف الأموات، بل هم أموات وموتهم مرّ عليه زمن حتى نتنت أجسادهم، فالصورة التي أنتجتها الاستعارة، هي صورة تتناسب مع فعل القادة العرب، ويسمى الحجاج المتضمن في هذا الخطاب حجاج التناسب^(١)، أي إنّ الحجج الواردة في الخطاب تتناسب وقصد المتكلم، وتتناسب مع الواقع، والقصد الذي أراده ليس تقريع القادة العرب، وكشف حقيقة تناسيهم وتجاهلهم لقضية فلسطين فحسب، بل هو توجيه الشعوب إلى التخلي عن الاعتماد على هؤلاء؛ لأنهم و الأموات سواء، فلا يدفعون عن أنفسهم، ولا عن غيرهم.

الاستعارة المجردة:

هي بخلاف الاستعارة المرشحة، فإذا تضمن سياقها ما يتناسب مع المستعار له (المشبه) سُميت الاستعارة مجردة، قال العلويّ: ((إذا استعير لفظ لمعنى آخر، فليس يخلو الحال إما أن يذكر معه لازم المستعار له، أو يذكر لازم المستعار نفسه، فإن كان الأول فهو التجريد))^(٢)، وردت الاستعارة المجردة في خمسة مواضع^(٣) من شعر الوائليّ من ذلك قوله [البحر المتقارب]

مُشَرَّدَةٌ لِلطَّوَى وَ الدُّبُولُ وَلِلنَّائِبَاتِ وَمَا يَطْرُقُ
وَلِلذَّلِ يَنْهَشُ فِي الْكِبْرِيَاءِ وَلِللَّهِمْ يُحْنِي لَهُ الْمَفْرُقُ^(٤)

فالمستعار له (المشبه) هنا هو حال أهل فلسطين من التشرد، وما يعانونه من البؤس، وقد جاء ما يناسب هذا الحال في البيت الثاني وهو قوله: (لِلذَّلِ يَنْهَشُ فِي الْكِبْرِيَاءِ)، إذ جعل نظرات الصهاينة إليهم، وخروجهم مرغمين من ديارهم، ونظرات الأسى في عيونهم، والذل الذي يلاقونه كالحوان الكاسر الذي ينهش في لحومهم، وكان لاختيار لفظ النهش دلالة التي تتناسب مع السياق، فالنهمش في المعجمات يدل على العض من بعيد^(٥)، وهو تناسب بين نظرة الاستهزاء في أعين الصهاينة، وبين الذل وانتهاك الكرامة الذي يشعرون به فالتناسب بين قوله: (لِلذَّلِ يَنْهَشُ فِي الْكِبْرِيَاءِ) جاء به ليتناسب مع حالهم من التشرد والجانب الحجاجي للخطاب يتضح من الوصف الذي عبر بدقة وصدق عن مأساة اللاجئين، فالخطاب ليس إخباراً فحسب، بل هو تجسيد للواقع، وكشف عن حقيقة يراد منها استنهاض همم العرب والمسلمين للوقوف بوجه الظلم، ونصرة المظلوم .

(١) ينظر: نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان: ٨٨.

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ١٢٢/١.

(٣) ينظر: ديوان الوائليّ: ٧٦، ١٩٤، ٢٦٣، ٢٩٩، ٣٦٦، ٤٨٦.

(٤) ديوان الوائليّ: ٣٦٦.

(٥) ينظر: كتاب العين: مادة: (نهمش): ٤٠٢/٢.

الاستعارة المطلقة:

عندما يكون السياق المقترن بالاستعارة خالياً مما يتناسب مع طرفيها تكون الاستعارة مطلقة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتُكُمُ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]، فقوله جل شأنه طغى استعارة مطلقة، إذ جعل من هذا الفعل دلالة على زيادة الماء الشديدة التي تؤدي إلى غرق كل شيء على الأرض، وموت كل روح، والخطاب من الوجهة الحجاجية إخبار عن أمرٍ قد حدث، لكنّه يحمل في طياته توجيهاً إلى المؤمنين الذين نجوا بقدرة الله تعالى أن اذكروا نعمة الله عليكم حين أنقذكم من الموت، والسياق القرآني يدل على ذلك، ورد هذا النمط من الاستعارات في تسعة عشر موضعاً^(١) من شعر الوائلي، من ذلك قوله [البحر الكامل]

فَدَعَ الْمَعَاوِلَ تَزْبِيرُ قَسَاوَةً وَضُرُوءَةً إِنَّ الْبِنَاءَ مَتِينٌ^(٢)

هذا البيت من قصيدة في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ولغة البيت توحى بما تعرض له أمير المؤمنين من الافتراءات الكاذبة، التي تريد إزاحته عن موضعه الذي اختاره الله تبارك وتعالى له، وتحاول جاهدة زعزعة مكانته في نفوس محبيه والبيت كله جملة استعارة، إذ شبه عمل الذين يتأفكون على أمير المؤمنين (عليه السلام) بالمعاول الغاضبة، فاستعار لها ما يناسبها من حالة الغضب وهي قوله: (تَزْبِيرُ) وهي صفة للحيوان ينتفش شعره استعداداً للقتال^(٣)، إذ إنّ هذه الاستعارة قائمة على تقنية أسلوبية تبت الحياة بالكلمات المهجورة فتحبيها بما يتلاءم مع السياق، وما يكون أكثر أثراً في المتلقي إذ إنّ ((هناك تقنيات أسلوبية متنوعة لإحياء المعنى الاستعاري للاستعارات الميتة، لكن التقنية الأكثر نجاعة للحجاج تقوم على توسيع الاستعارة الميتة وتمديدتها؛ لتعطي للأسلوب قوة إيحائية غير مألوفة))^(٤)، فمن يدفعهم حقدهم على أمير المؤمنين (عليه السلام) إنّما يعملون عملاً لاجدوى منه؛ لأنّهم يحاولون نقب أسس متين فالإمام أسمى وأجلُّ من أن ينال منه المبغضون الذين يحاولون أن يخفوا فضائله، أو يثيروا الشبهات من حولها، أو ينسبوا فضائله لغيره.

(١) ينظر: ديوان الوائلي: ٨١، ٢١٢، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٩، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٦، ٢٥٥، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٨٤، ٣٠١، ٣١١، ٣١٦، ٣١٩.

(٢) نفسه: ٨١.

(٣) ينظر: جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ): تح: رمزي منير بعلبكي: مادة (مزبئر): ١٢٢٠/٢-١٢٢١.

(٤) نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان: ٩٤.

إنَّ وجود خطاب مؤسس على الاستعارة لتحديد قضية معينة، يسمى في الحجاج تناسب العلاقة^(١) ويقوم هذا التناسب على ذكر خطاب أشبه بالمثل الذي يستدل المتلقي به على العلاقة الحقيقية بين المثل والقضية المشار إليها، وما يساعد المتلقي في إدراك المعنى المراد من الخطاب قصد المتلقي، والقرائن السياقية، والعقلية التي يصل إليها بالاستنتاج^(٢) فالمتلقي يقف تجاه صورتين، صورة المعاول التي يحركها الحقد لردم بناء متين، وصورة حقيقية تتمثل في توجيه البعض لأفكار تحاول تشويه صورة الإمام (عليه السلام)، فالصورة الأولى تمثل خرقاً للقانون اللغوي، لكنَّ هذا الخرق لا يخرج الخطاب من حدود المعقول لوجود قرينة يتكئ عليها المتلقي في عملية التأويل^(٣)، ليصل إلى المعنى الحجاجي المقصود من الخطاب، وهو أنَّ الإمام (عليه السلام) كثيراً ما تعرض لهذه التيارات التي تحاول النيل منه، لكنها تفشل في ذلك.

(١) ينظر: نفسه : ٨٩.

(٢) ينظر: الحجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام): ١١٠.

(٣) ينظر: تكوين البلاغة قراءة جديدة ومنهج مقترح: علي الفرج: ٢٤٤.

المبحث الثالث: الكِنَايَةُ والتَّعْرِيزُ:

أَوَّلًا: الكِنَايَةُ:

الكناية باب دقيق من أبواب البيان العربي، وأصلها اللغوي مصدر من الفعل (كَنَى) قال ابن فارس: ((الْكَافُ وَالنُّونُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ يَدُلُّ عَلَى تَوْرِيَةٍ عَنِ اسْمٍ بغيرِهِ يُقَالُ: كَنَيْتُ عَنْ كَذَا إِذَا تَكَلَّمْتُ بِغيرِهِ مِمَّا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَيْهِ))^(١)، وهي استعمال لغوي يُظهِرُ المتكلم بها شيئاً وَيَسْتَبْطِنُ شيئاً آخر يَسْتَدَلُّ عليه المتلقي من القرينة و السياق المحيط بالخطاب، وعَرَّفَهَا الجرجاني بقوله: ((المراد بالكناية ههنا أن يُريدَ المتكلم إثباتَ معنى من المعاني، فلا يذكرُه باللفظِ الموضوع له في اللغة، ولكنَّ يَجِيءُ إلى معنى هو تاليه ورِدْفُه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قولهم: هو طَوِيلُ النَّجَادِ يَريدُونَ طَوِيلَ الْقَامَةِ))^(٢) ولا شك في أنَّ ركون البُلغَاءِ إليها، وعدولهم عن التصريح دليل على عظيم أثرها في المتلقي، وهذا الأمر يسمها بميسم الحجاج قال القزويني: ((الكناية أبلغ من التصريح فيما قُصِدَ بها، فكان تقديمها أعون للمعنى الذي [جلباً]^(*) لأجله))^(٣)، ولا تخلو الكناية من جانب قصدي كما يتضح من قول القزويني زيادة على الجانب الفني لها، فالجانب القصدي للخطاب المؤسس على الكناية هو الذي يكشف مكنونات الحجاج في الخطاب من ذلك قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في وصف الخوارج: ((جُفَاءً عَنِ الْكِتَابِ، نُكْبٌ عَنِ الدِّينِ))^(٤)، فقوله (جفأة عن الكتاب) كناية عن تركهم للعمل به فهم يقرؤون الكتاب من دون تدبر، وقوله (نُكْبٌ عَنِ الدِّينِ) كناية عن ترك أحكام الدين والعمل بغير علم فيه وتغليب الرأي على ما شرَّع الله تعالى؛ لأنَّ النكب في اللغة يدل على اجتناب الشيء وتركه^(٥).

بِنْيَةُ الكِنَايَةِ:

(١) معجم مقاييس اللغة: مادة : (كَنَى): ١٣٩/٥.

(٢) دلائل الإعجاز: ٦٦.

(*) هكذا وردت في النص المحقق، والصواب (جَلِبَتْ)

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة: ٧٣/٢.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩٤/٢.

(٥) ينظر: العين مادة: (نكب): ٣٨٥/٥.

تتألف بنية الكناية من قسمين رئيسين، أحدهما ظاهر يمثل الخطاب المنطوق، وهو الذي يصطلح عليه البلاغيون (الملزوم)، والثاني فحوى الخطاب، أو القصد المراد إيصاله إلى المتلقي، ويسمى (اللازم)، ويتم الانتقال من الملزوم إلى اللازم بطرق الاستدلال، الذي يعتمد على التأويل، والكفايات، و الخزين المعرفي لدى المتلقي، فهذه الأدوات تُعينه في الانتقال من الملزوم إلى اللازم^(١).

أقسام الكناية:

قسم البلاغيون الكناية بحسب ما تدل عليه على ثلاثة أقسام:

أ-الكناية عن الصفة.

ب-الكناية عن الموصوف.

ج-الكناية عن النسبة.

الحجاج المتضمن في الكناية:

تسعى الكناية شأنها شأن أساليب البيان الأخرى إلى إظهار الحقيقة، أو المبالغة فيها بطريقة تدفع المتلقي إلى استخلاص القصد المراد بعد تأمل و روية؛ لأنَّ المعنى الكنائي يثبت ويتقرر بتدخل العقل في استخلاص اللازم من الخطاب^(٢)، فالكناية هي جزء من الحقيقة التي يريد المتكلم إظهارها، فيعمد إلى ترك الكل بذكر جزءٍ من أجزائه، وللمتلقي أن يستدل من هذا الجزء على الحقيقة الكلية، ويرى الباحث أنَّ الحجاج بالكناية من أساليب المنطق غير المباشرة التي يستعملها الناس في خطاباتهم، فهي من جهة تمثل صورة من صور المنطق الطبيعي، وهي في عمقها تمثل صورة من صور المنطق الاستدلالي، من ذلك قول الواصل: [البحر الكامل]

وَمِنْ الْبِدَاهَةِ وَ الدُّيُونُ ثَقِيلَةٌ فِي أَنْ يُقَاضَى دَائِنٌ وَ مَدِينٌ^(٣)

هذا البيت من قصيدة قالها في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهو كناية عما تعرض له (عليه السلام) من الأذى، وانقسام الناس من حوله بين مؤيدٍ ومعارض، والحروب التي

(١) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ١٩/٢.

(٢) ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى: ١٨٨.

(٣) ديوان الواصل: ٨٤.

أجبتها الحمية الجاهلية بغضاً وحسداً وانتقاماً، فعبر عنها الشاعر بأنها ديون، ولا بُدَّ لهذه الديون أن تُقضى، فأُمير المؤمنين (عليه السلام) كان السيف الذي قطع رؤوس الكفر من قريش، وسائر العرب، وكان لبني أمية السهم الأوفر من القتل، فكان هذا دافعاً لهم أن يجعلوا من قتاله استرداداً لدينهم، وهذا الخطاب نوع من الكناية، يشتمل على التعريض ببني أمية ومن سار على نهجهم، وهذا النمط يشار إليه إشارة، أو يلمح من الكلام^(١)، ويستند المتلقي في هذا الخطاب إلى الكفاية الثقافية والمعرفة السابقة، التي تكون دليلاً في معرفة فحوى الخطاب.

وعلى وفق ما تقدم يمكن إعمال رؤية (تولمن) للحجاج التي تقسم الخطاب الحجاجي بحسب حجته ونتيجته على ثلاثة أركان: المعطى، والنتيجة، والضمان^(٢)، ويمكن تمثيل الحجاج المتضمن في الخطاب على وفق الخطاطة الآتية:

(معطى) بنو أمية موتورون (النتيجة) قتالهم له كان ثأراً وجاهلية و استرداداً لدينهم
(الضمان) علي (عليه السلام) قتل آباءهم

ويكشف هذا الخطاب عن حقيقة كل طرف من الأطراف المكنى عنهم، وهو على وفق منطلقات الحجاج عند بيرلمان يسمى حجاجاً بالمعطيات ((فكل حجاج ينطوي على انتقاء سابق للوقائع والقيم))^(٣)، وقد وظف الوائلي هذا النمط من الكناية لينتج خطاباً حجاجياً تأسس على حقائق تاريخية .

أ- الكناية عن الصفة:

وهو أن يتضمن الخطاب معنى يسعى المتكلم فيه إلى إثبات صفة من الصفات مثل الجود، والشجاعة، والمروءة، والصدق، والندم، والفرح...، ويُستدل على هذه الكناية بالقرينة الإدراكية، وما يوفره السياق من معطيات تدل على ذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ

(١) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٥٧/٣.

(٢) ينظر: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: ٢٢.

(٣) نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان: ٤٩.

﴿[الفتح: ٢٢]، فقله تعالى: ﴿لَوْلَا الْأَذْبَرُ﴾ كناية عن صفة الخوف، وهي بيان لحالهم من الخوف الذي ينتابهم من ملاقاته المسلمين.

وردت هذه الكناية في ثمانية وثمانين موضعاً في شعر الوائلي^(١)، من ذلك قوله: [البحر الطويل]
وَمَا عِنْدَ بَابِ الْأَنْبِيَاءِ مَعْرَةٌ فَلَيْسَ عَلَى مَنْ أُمَّ بَابُكَ مَعْتَبٌ^(٢)

هذا البيت من قصيدة خاطب فيها الرسول الأكرم (ﷺ)، وتتجلى الكناية في قوله: (معرة)، فالمعرة في اللغة تعني الإثم قال ابن فارس: ((الْمَعْرَةُ: مَا يُصِيبُ الْإِنْسَانَ مِنْ إِثْمٍ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَتُصِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الفتح: ٢٥])^(٣) والكناية الواردة في الخطاب تنفي صفة، و تثبت صفة، أمّا نفي الصفة فقصد به نفي صفة الكفر عَمَّن التجأ إلى قبر النبي الأكرم (ﷺ)؛ لأنّ هذا العمل، أي زيارة قبور الأنبياء والصالحين هو إثم عند مذهب من مذاهب المسلمين، فكل من زار قبراً، أو التجأ إليه للتوسل هو آثم كافر عندهم والخطاب المتضمن للكناية نفى الإثم، وأثبت صفة الإيمان لمن زار قبر الرسول المصطفى (ﷺ)، ويرى الباحث أن هذا الخطاب موجّه إلى من يؤمنون بهذا الفكر - أي فكرة التكفير -، ويدخل هذا النمط من الكناية في باب الحجاج بالقدوة، أي استعمال الأشخاص الذين يقصدهم الناس لمكانتهم المقدسة كالأنبياء، أو لمكانتهم الاجتماعية، أو السياسية، يقول الدكتور الحسين بنو هاشم: ((بدل أن تُستخدم الحالة الخاصة كشاهد أو مثال، يمكن أن تُقدّم كقدوة يُحتذى بها، غير أننا لا نقتدي سوى بمن هم أهل لذلك، أي هؤلاء الذين نعجب بهم والذين يتوفرون على سلطة أو صيت اجتماعي يعود إلى كفاءتهم))^(٤)، والوائلي يبيّن للمتلقي أنّ زيارة القبور هي سنة نبوية^(٥) والاقتداء بسنة النبي

(١) ينظر: ديوان الوائلي: ٤٧، ٤٨، ٥٢، ٥٥، ٦٥، ٦٧، ٧٣، ٧٥، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٧، ٨٨، ٩٢، ٩٤، ١٠٣، ١٠٩، ١١١، ١١٩، ١٤٢، ١٤٩، ١٥١، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٥، ١٧٣، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٩٥، ٣٠٣، ٣١٢، ٣٣٢، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٥٢، ٣٥٨، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٥، ٤٠٤، ٤٠٨، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤٢١، ٤٢٥، ٤٥١، ٤٨١، ٤٨٨.

(٢) نفسه : ٥٩.

(٣) معجم مقاييس اللغة: مادة: (عَرَّ): ٣٤/٤.

(٤) نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان: ٨٦.

(٥) روى الطبراني: ((أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما أقبل من غزوة تبوك واعتمر فلما هبط من ثنية عسفان أمر أصحابه أن يستسندوا إلى العقبة حتى أرجع إليكم فذهب فنزل على قبر أمه فناجى ربه طويلاً ثم إنه بكى فاشتد بكاءه...))،

الأكرم (ﷺ) عمل لا تشوبه شائبة، و لا يدخله الإثم، وهي في الخطاب من أساليب الحجاج بالقدوة الحسنة.

ب- الكناية عن موصوف:

في هذا النمط من الكناية يصرح المتكلم بالنسبة والصفة ويريد الموصوف، فيكون المقصود في الخطاب موصوف بعينه، لكنه يتوارى خلف أستار الكناية التي يلمحها المتلقي بتأويله واستدلاله، من ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ بُلِيَ السَّرَافُ﴾ [الطارق: ٩] فالآية الكريمة تعبر عن موصوف بعينه هو يوم القيامة، ويلاحظ أن الخطاب القرآني صرح بصفة ذلك اليوم الذي تفصح فيه الأسرار وتهتك فيه الأستار، وصرح بالنسبة، أي نسبة فضح السرائر إلى ذلك اليوم، لكنه لم يصرح بلفظه وهو يوم القيامة.

وقد وردت هذه الكناية في مائة وثلاثة وعشرين موضعاً في شعر الوائلي^(١)، من ذلك قوله: [البحر البسيط]

و الْبَيْتُ وَالْكَعْبَةُ الْغَرَاءُ مُثْقَلَةٌ بِوَاقِعٍ لِلْهَوَى وَالْجَهْلِ مَشْدُودٍ
حَتَّى أَفَاضَ بِهَا النُّعْمَى وَأَكْرَمَهَا رَبُّ السَّمَاءِ وَأَعْلَاهَا بِمَوْلُودٍ^(٢)

هذان البيتان من قصيدة في حب النبي المصطفى (ﷺ) وأهل بيته، والبيت الثاني يتضمن كنايتين عن موصوف، الأول في قوله (النعمى)، فالنعمى هي الخير الكثير ويشار بها إلى العمل الحسن، قال الجوهري: ((النعمَةُ: اليدُ، والصنِيعَةُ، والمنَّةُ، وما أُنْعِمَ به عليك وكذلك النُّعْمَى))^(٣)، وهذه الكناية تحتمل وجهين من التأويل كلاهما يصح أن يقع موصوفاً بها، أمّا الوجه الأول:

المعجم الكبير للطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ): تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي: ٣٧٤/١١.

(١) ينظر: ديوان الوائلي: ٤٥، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٦، ٥٨، ٦٠، ٦٤، ٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٧٣، ٧٤، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٥، ٨٨، ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١١٣، ١٢٠، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٤، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٤، ١٦٧، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٣، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٨، ٢١٥، ٢٢١، ٢٣٠، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٨٤، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٣، ٣١٧، ٣٣٨، ٣٤٣، ٣٤٦، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٦، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٥، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨٩، ٣٩٧، ٤٠٠، ٤٠٨، ٤١٤، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٦، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٥٣، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٧، ٤٨٧، ٤٩١، ٤٩٣، ٤٩٨، ٥٠١، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٧، ٥١١، ٥١٧.

(٢) ديوان الوائلي: ٦٥.

(٣) الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): مادة: (نعم): ٢٠٤١/٥.

فيحتمل أن يكون الموصوف بها دين الإسلام لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وأمّا الوجه الثاني فيمكن أن يكون الموصوف بها الرسول الأكرم (ﷺ)؛ لأنّه رحمة من الله تعالى لخلقه، وهي أعظم النعم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ويحتمل أن تدل الكناية على الموصوفين معاً، أي الإسلام والنبوة هما الموصوفان في الخطاب، أمّا الكناية الثانية وهي عن موصوف، فقوله: (بِمَوْلُودٍ) فالمقصود بالمولود في هذه الكناية هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)؛ لأنّه وُلد في جوف الكعبة المشرفة، ويُلحظ أنّ هناك علاقة رابطة بين الكنايات الواردة في الخطاب، وما تُشير إليه من أشخاص، أو أشياء؛ لأنّها تمثل إشارات أو علامات إيصالية للمتلقّي^(١) يستدل بها على ما كان من أمر العرب قبل الاسلام، وما صاروا عليه بعده، وكيف أعزّ الله دينه برسوله (ﷺ) وأيده بعلي (عليه السلام).

ج- الكناية عن نسبة:

وهو تعبير يراد به إثبات الصفة للموصوف، أو نفيها عنه، فبنية الكناية في هذا القسم تتضمن الصفة والموصوف، وفي الغالب يكون اقتران الصفة بالموصوف بالمجاز^(٢) فالكناية عن النسبة هي إضافة صفة أو مجموعة صفات إلى موصوف، وكأنّها مقصورة عليه، لاعلى غيره، وقد وردت الكناية عن نسبة في أربعة وعشرين موضعاً من شعر الوائلي^(٣)، من ذلك قوله: [البحر الطويل]

لَمَحْتُ رُسُومَ الْمَجْدِ بَيَضاءَ حُرَّةً عَلَى كُلِّ عَضْوٍ مِنْكَ قُطْعٌ بِالْمُدَى^(٤)

هذا البيت من قصيدة قالها في الإمام الحسين (عليه السلام)، ويُلحظ أنّه ذكر الموصوف وهو الحسين (عليه السلام) وذكر الصفة وهي المجد، ولم يذكر النسبة إلى الموصوف إنّما يُستدل عليها من السياق.

وقد ضَمَّنَ الوائلي خطابه مجموعة صور، أو معطيات ليَجعلها أكثر تأثيراً في المتلقّي ((فاختيار المعطيات وطريقة عرضها وإبراز بعضها دون بعض أمور لا تخلو من بعدٍ حجاجي، بل إنّها تلعب دوراً أساسياً في فعالية الحجاج ونجاعته))^(٥)، إذ أعمل أسلوب الكناية القريبة، فجعل المجد كُله في

(١) علم الإشارة السيميولوجيا: بيير جيرو: ترجمة د. منذر عياشي: ٩٤.

(٢) ينظر: نظرية البيان العربي خصائص النشأة ومعطيات النزوع التعليمي: ٣٨٠.

(٣) ينظر: ديوان الوائلي: ٤٨، ٥٨، ٥٩، ٦٩، ٧٤، ٨٣، ٩٥، ١٠٣، ١١٠، ١١٦، ١٢٢، ١٢٤، ١٥٧، ١٧٦، ١٧٧،

٣٠٦، ٣١٣، ٣٦٦، ٣٨٩، ٤٤٢، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٨٨، ٤٩٥.

(٤) ديوان الوائلي: ١١٠.

(٥) نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان: ٤٩.

الإمام، وجعل الإمام كله مجداً، كأنَّهما شيءٌ واحد وهذا التداخل بين الصفة والموصوف يعطي الخطاب قوة وفخامة، وهذا أدلُّ في الحجاج فالمجد صفة يراد بها احتواء كل معاني الشرف والنُّبل^(١)، فهذه الصفات جميعاً هي جزء من شخص الإمام (عليه السلام)، وأنَّما قتلوا بقتله كل هذه الصفات النبيلة .

ثانياً: التعريض:

التعريض في اللغة جانب الشيء لا وجهته، قال ابن الأثير: ((إنما سُمِّيَ التعريض تعريضاً؛ لأنَّ المعنى فيه يفهم من عرضه أي: من جانبه، وعرض كل شيء جانبه))^(٢) والتعريض وجه من وجوه الكناية، لكنَّه أكثر خفاءً منها، فقد تُفهم الكناية فيما تدل عليه من اللفظ؛ لأنَّ الكناية تتصل بالحقبة من جهة اللفظ بطريق الاستدلال، فقولهم هو جبان الكلب، إنَّما هو كناية عن الكرم؛ لأنَّ الكلب إذا تعود كثرة القادمين إلى الدار صار قدوم الأضياف مألوفاً لديه، فلا يهر في وجوهم، فهذا المعنى يستنتج المتلقي من اللفظ، أما التعريض فإنَّه مما يشار إليه إشارة وتُفهم هذه الإشارة من مطابقة السياق كقولهم للبخل الشحيح، الكرم من خصال النجباء، فهذا الخطاب تعريض به لكثرة بخله، وقد يكون التعريض بمثل سائر، أو عبارة نادرة، أو بيت شعر قالته العرب فذهب مثلاً، أو حكمة، أو حديثاً نبوياً شريفاً، لكنَّ ذلك لا يتضح إلّا من السياق التخاطبي الذي يندرج فيه، فالتعريض أسلوب من أساليب التعبير غير المباشرة ((ويدخل في أسلوب العرض غير المباشر التعريض والتلميح ومعاريض الأقوال، والإشارة الخفية، وفحوى الكلام، ولهذا الأسلوب صور كثيرة جداً))^(٣)، وينفرد الخطاب الأدبي بمزية اعتماده على الخطاب غير المباشر لأنَّ هذا الأسلوب يمنح الخطاب سعةً، وتأثيراً في المتلقي^(٤)، ويختلف التعريض عن الكناية في كونه لا يقع إلّا في تركيب، أمّا الكناية فقد تقع في تركيب وقد تقع مفردة^(٥) ولأنَّ التعريض أكثر خفاءً من الكناية فإنَّه يعتمد أدوات لهذا الغرض، وهي الإشارة والإيماء، والرمز^(٦)، وقد يقع بالتلميح.

أ- الإشارة:

الإشارة من جملة طرق الكناية التي يعتمد إليها المتكلم؛ لإيصال المعنى إلى المتلقي وهي إيجاز يحمل في طياته معاني كثيرة، قال أبو هلال العسكري: ((الإشارة أن يكون اللفظ القليل مشاراً به إلى

(١) ينظر: كتاب العين: مادة: (مجد): ٨٩/٦.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٥٧/٢.

(٣) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ٦٦/١.

(٤) ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: د. جابر عصفور: ٢١٣.

(٥) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٥٧/٣.

(٦) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ٢١٨/٢.

معان كثيرة، بإيماء إليها ولمحة تدل عليها^(١)، والإشارة والإيماء لا يدلان على خفاء تام^(٢)، بل يجعلهما المتكلم دليلين على ما يريد إيصاله إلى المتلقي وقد ورد التعريض بالإشارة في تسعة وأربعين موضعاً من شعر الواصل^(٣)، من ذلك قوله: [البحر الخفيف]

رَانَ صَمْتُ فَلَمْ يَعْدُ غَيْرَ صَوْتٍ قَالَ زُوراً وَأَحْسَنَ التَّطْيِيلَا^(٤)

هذا البيت من قصيدة يُعَرِّضُ فيها بالنظام الحاكم في العراق، ويبدو التعريض واضحاً من عتبة القصيدة التي وسمها بعنوان لغة السياط، فقوله رَانَ صَمْتُ دال على غلبة الصمت، فلم يعد هنالك صوت يُسْمَع؛ لَأَنَّ أساليب البطش وإسكات الأصوات بأساليب شتى أنضجت الخوف في نفوس الشعب، فليس لديه إلا الصمت، أمّا الأصوات الناشئة فكانت من نصيب المتزلفين للسلطة الذين يُجْمَلُونَ قبائح الأفعال بالكذب والتزوير، ويُلاحظ أَنَّ انتقاء العبارات الواردة في الخطاب كان لقصد أرادها الشاعر، والقصد بطريق الإشارة لا يخلو من صياغة حجاجية، إذ يُلاحظ أَنَّ كُلَّ ما ورد في الخطاب نتائج لأسباب لم يذكرها الشاعر، وهي تأخذ بعداً حجاجياً، إذ إِنَّ هذا النمط من الحجاج مؤسس على بنية الواقع وفي هذا النمط يسعى المتكلم إلى تقويم حدثٍ ما بوساطة ذكر نتائجه^(٥)، فالخوف والبطش والتسلط، وغياب العدل، كلها أسباب عدل الشاعر عن ذكرها، واكتفى بما تؤدي إليه والقرائن التي اعتمدها، وهي قرينة الواقع المدرك، التي تكون من أقرب الحجج إلى ذهن السامع لأنها مما يُحسُّ به ويدرك.

ب- الرمز:

الرمز في اللغة همس بالشفيتين لا يكاد يُعرف، وإيماء بالحواجب والعينين^(٦)، وهو في علم البيان ((أَنَّ تشير على قريب منك على سبيل الخفية))^(٧)، وكثيراً ما يعتمد المتكلم إلى الرمز إمّا تعريضاً يراد منه التهكم كقولهم عريض القفا للأبله، أو لإخفاء أمرٍ وقصره على متلقي بعينه، قال

(١) كتاب الصناعتين: ٣٤٨.

(٢) ينظر: مفتاح العلوم: ٤١١.

(٣) ينظر: ديوان الواصل: ٦٠، ٦٥، ٧١، ٧٤، ٩٣، ١١٦، ١١٩، ١٢٠، ١٤٧، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠، ٢١٣، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣٠٧، ٣٤١، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٦٨، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٦، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٥، ٣٩٨، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٩، ٤١٤، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٤٣، ٤٥٠، ٤٦١، ٤٩٢، ٤٩٦، ٥١٠.

(٤) نفسه: ١٩٩.

(٥) ينظر: نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان: ٧١.

(٦) ينظر: لسان العرب: مادة: (رمز): ٣٥٦/٥.

(٧) مفتاح العلوم: ٤١١.

ابن أبي الأصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) في باب الرمز والإيماء: ((هذا الباب فحواه أن يريد المتكلم إخفاء أمر ما في كلامه، مع إرادته إفهام المخاطب ما أخفاه فيرمز له في ضمنه رمزاً يهتدي به إلى طريق استخراج ما أخفاه في كلامه))^(١)، وقد ورد التعريض بالرمز في واحد وأربعين موضعاً من شعر الوائلي^(٢)، من ذلك قوله: [البحر الطويل]

وَأَلْعَنُ مَا حَاكَ الزَّمَانُ حَكْمَةً تَقُومُ عَلَى التَّرْوِيرِ وَالْفَلَتَاتِ
يَجِيءُ بِهَا لِلْحُكْمِ رَهْطٌ مُغَامِرٌ فَحَفْنَةُ غَوَغَاءٍ وَحِقْدُ تِرَاتٍ
عَلَى مَرْكَبٍ رُبَانُهُ مُتَمَيِّزٌ بِغُوصٍ وَ إِبْحَارٍ بِكُلِّ قَنَاقَةٍ^(٣)

هذه الأبيات من قصيدة يصف بها حال العراق وما حلَّ به، مُعْرِضاً بحكومته وسياستها الفاشلة في إدارة شؤون البلد.

ويمكن الرمز في البيت الثالث، الذي أراد به خلاف ما يفهم من الخطاب^(*)، إذ أراد به أن من يدعي أنه القائد الذي يستطيع تجاوز كل الأزمات ويقود البلد إلى برِّ الأمان هو شخص فاشل بقرينة ما سبقه من كلام، وبقرينة الإدراك، فالمطلع على أحوال العراق يعلم علم اليقين أن هذا الكلام لا يطابق الواقع، بل يخالفه تماماً، إنَّما جيء به للتعريض والتهمك والاستهزاء بالمشار إليهم في هذا الخطاب، ويستند الحجاج في هذا النمط إلى ما يسمى عند بيرلمان بعلاقة التعايش الذي تمثله ((الصلة الموجودة بين الشخص وتجلياته أي ما يصدر عنه من أعمال، أو أحكام، أو ما يخلفه من آثار))^(٤)، فالشخص المرموز إليه في الخطاب معروف لدى المتلقي من أعماله وهذا ما جعله يكتفي بالرمز إليه من دون التصريح.

ج- التلميح :

التلميح هو ((أن يشير المتكلم في أثناء كلامه ومعاطف شعره، أو خطبه إلى مثل سائر أو شعر نادر، أو قصة مشهورة فيلمحها فيوردها لتكون علامة في كلامه))^(٥)، والتلميح في الكلام بمنزلة

(١) بديع القرآن: ابن أبي الأصبع المصري: تح: حفني محمد شرف: ٣٢١/٢.

(٢) ينظر : ديوان الوائلي: ٦٠، ٧١، ٧٦، ١١٩، ١٢٠، ١٤٣، ١٩٧، ٢٠٠، ٢١٢، ٢١٤، ٢٢٥، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٦٣، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٤، ٣٣٣، ٣٤١، ٣٨٤، ٣٨٦، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٧، ٤٠٣، ٤١٣، ٤٢٤، ٤٩٣، ٤٥١، ٤٦١، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٩٧.

(٣) نفسه : ٢٨٦.

(*) وهذا يدخل في باب الاستلزام الحواري، فالمتكلم في أحيان كثيرة يقول عكس ما يقصد، وقد تم تفصيل ذلك في المبحث الثالث من الفصل الثاني.

(٤) نظرية الحجاج عند شايبم بيرلمان: ٧٦.

(٥) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٩٧/٣.

الومضات الخاطفة التي تمر بذهن المتلقي وتستحضر معها الحوادث والأمثال من دون أن تُشير إليها صراحة^(١)، وكثيراً ما يتضمن الخطاب العربي مثل هذه الأشياء يعبر المتكلم بها عما يجول في نفسه، فيعدل بها من التصريح إلى التلميح، وقد كنى الله تبارك وتعالى عن نقض العهد بالتلميح إليه فقال جلّ شأنه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا﴾ [النحل: ٩٢] فناكثة الغزل هي قصة معروفة لامرأة خرقاء^(*)، وقد أعملها الخطاب القرآني ليدل بها على من نقض عهده مع الله بعد ميثاقه بطريق التلميح، فالقصص، والأمثال، والحكم هي روافد للخطاب الحجاجي، وعلى المتكلم أن يأتي بما يتناسب مع القصد والسياق الذي يندرج فيه الخطاب، إذا كان يقصد به التعريض، وقد ورد التعريض بالتلميح في ثلاثة عشر موضعاً من شعر الواصل^(٢)، من ذلك ما قاله مادحاً السيدة رقية بنت الحسين (عليهما السلام) ومُعَرِّضاً بسلطان بني أمية: [البحر الخفيف]

أَيْدَانِيكَ ظَالِمٌ بِسَرِيرٍ وَقَدْ انْحَطَّ لِلْهَوَانِ سَرِيرُ
مِمَّنْ اجْتَرَّ حَقْدَ بَدْرٍ وَأَحَدٍ وَتَمَادَى سُعَاةُ الشَّرِيرِ
وَلِأَسْنَانٍ أَمِّهِمْ فِي لُحُومٍ مِمَّنْ اسْتَشْهَدُوا بِأَحَدٍ صَرِيرٍ^(٣)

أسس الشاعر خطابه على مثالين مختلفين، المثال الأول تمثل في شخص السيدة رقية بنت الحسين (عليهما السلام) التي تمثل فرعاً من شجرة الإيمان المحمديّ النقيّ، مبتدئاً خطابه باستفهام إنكاري يريد به النفي؛ لأنّه متضمن فيه، أي لايدانيك ظالم، أما المثال الثاني فيتمثل في انتقال الخطاب إلى التعريض باستحضار شخص، أو أشخاص ممقوتين ويكون هذا أشبه بالمقايضة بين المثالين، ليميز المتلقي بين الطرفين ((فالتعريض يعتمد على الحركة الذهنية عند المتلقي وقدرتها على تجاوز المستوى السطحي المباشر))^(٤)، إذ يستطيع من خلال ما يتصل بالمشار إليهم أن يُكوّن صورة ذهنية تامة، تعتمد على الحقائق، وقد جاء بهذه الحقائق في صورة تلميح، وهذا التلميح

(١) ينظر: منزلة الكلمة الشعرية في مجموعة (أقول لكم) لصلاح عبد الصبور: د. سيف الدين بنزید: عالم الفكر: ٤٤ ع: ٤: ٧٢.

(*) ((ناقضة غزلها، وهي امرأة كانت من قريش يقال لها: أم رَيْطَة بنت كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة، وهي التي قيل فيها "خَرَقَاءُ وَجَدَتْ صُوفاً" والتي قال الله عز وجل فيها: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا﴾ قال المفسرون: كانت هذه المرأة تغزل وتأمّر جَوَارِيهَا أن يغزلن ثم تنقض وتأمرن أن ينقضن ما فتلن وأمرن، فضرب بها المثل في الخُرْقِ)): مجمع الأمثال: ٢٥٥/١.

(٢) ينظر: ديوان الواصل: ٥١، ٥٤، ١٠٦، ١٧٢، ١٧٥، ٢٠٢، ٢٢٦، ٢٤٣، ٤٠٩، ٤١٤، ٤٢٢، ٤٥٢، ٥١١.

(٣) ديوان الواصل: ١٧٢.

(٤) البلاغة العربية قراءة أخرى: ١٩٣.

يعتمد على وقائع تاريخية وقد اعتمدها الوائلي لتكون شواهد حجاجية يستطيع من خلالها إثبات قاعدة عامة هي فساد حكم بني أمية، وليس هذا فحسب، بل هو ردم للأسس التي قامت عليها هذه السلطة ويتمثل ذلك في الشواهد التاريخية التي تسقط عنهم صفة الاسلام الذي يدعونه، وأول هذه الشواهد ما يخص يزيد بن معاوية، وإعلانه الكره لآل الرسول (ﷺ) جهراً^(١)، أما الثاني فهو تلميح بشاهد تاريخي يقصد به هند بنت عتبة وما فعلته بشهداء أحد^(٢)، فالحجاج ضمن هذا النمط يسمى الحجاج بالشاهد، لأنَّ التعريض المتضمن في الخطاب يشير إلى هذه الحقائق، ليتأسس عليها أن هذا الحكم تأسست أصوله وفروعه على معاداة الإسلام والمثال الآخر هو ما يمثل صوت الحق، وهو أولى بالاتباع والنصرة، وزيادة على ما تضمنه هذا الخطاب من حجاج بالشاهد التاريخي الذي لمح إليه والذي يستدل عليه المتلقي من كفايته الثقافية، فقد تضمن حجاجاً بالقُدوة والقُدوة المضادة^(*)، إذ مثلت شخصية السيدة رقية (عليها السلام) القُدوة الحسنة، ومثل بنو أمية القُدوة السيئة.

(١) ينظر: مقاتل الطالبين: أبو الفرج الاصبهاني (ت ٣٥٦هـ): تح: السيد أحمد صقر: ١١٩، والبداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ): تح: علي شيري: ٢٠٩/٨.

(٢) ينظر: البداية والنهاية: ٤/٤٢، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله الذهبي (ت ٧٤٨هـ): تح: عمر عبد السلام التدمري: ٢/٢٠٥.

(*) الحجاج ضمن هذا النمط كثير ورود في الخطاب الذي يستهدف إقناع المتلقي، إذ يقدم على أنه حجة وحجة مضادة، و يتوخى المتكلم أن يستعرض خصائص كل حجة مقدمة، ليقنع المتلقي باختيار الحجة الإيجابية، الأحق بالاتباع، وترك الحجة المضادة من ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَقُضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، إذ قدم الله تبارك وتعالى قدوتين ورجح الثانية على الأولى، ويمكن أن يتمثل الحجاج على وفق الاستنتاج الآتي:

١- القُدوة السيئة (الشيطان) القصد من الخطاب: تجنب اتباع القُدوة السيئة، إذ يجب على الإنسان أن يتجنب السير في طريق الشيطان؛ لأنه يمثل محور الشر، ويأمر الانسان بالعمل السيء الذي يؤدي به إلى الفقر.

٢- القُدوة الحسنة (الله تبارك وتعالى) القصد من الخطاب: اتباع القُدوة الحسنة؛ لأنَّ الله تبارك وتعالى يوجب على الإنسان أن يعمل كل عمل حسن، وينهى عن كل عمل سيء، ليكون الإنسان سعيداً في الدنيا والآخرة.

الختمة

بعد رحلة طويلة من البحث والتنقيب، وطول تأمل في شعر الشيخ أحمد الوائلي والنظر في عمق القصائد، لاستجلاء البعد الحجاجي الذي تضمنته، ها أنا أخط رحلي لجمع ما توصلت إليه من النتائج التي تضمنت الآتي :

١- الخطاب الحجاجي خطاب يوجه إلى متلقٍ ما، سواء كان ذلك المتلقي ذاتاً حاضرة، أم متخيلة، بعيدة أم قريبة، وهو خطاب مرن يأخذ شكلاً محدداً من السياق الذي يحتويه، إذ إنَّ لكلِّ خطاب حجاجي صورة تميزه من خطاب آخر، في سياق آخر، وهو خطاب ينتمي إلى منطق اللغة الطبيعي، وانتماء الحجاج إلى منطق اللغة الطبيعي يجعله غير ملزم للمتلقى .

٢- الخطاب الحجاجي عند الوائلي خطاب سياقي، فكلُّ ما تم إحصاؤه من قصائده، وكلُّ بيت أعمله الباحث شاهداً في الدراسة كان مرتبطاً بسياق محدد، وهذا يعطي صفة الإنجاز الناجح للخطاب الحجاجي في شعر الوائلي؛ لأنَّ أهم ما يميز الإنجاز الناجح هو مطابقته للسياق.

٣- الحجاج صفة متأصلة في الشعر، بوصفه خطاباً تأسس لغاية محددة يقصد منتجه إنجاز أثر في المتلقي، ومثل الحجاج في شعر الوائلي ظاهرة متميزة، فالشعر عنده لا ينحصر في التعبير عن تجربة شخصية عاشها الشاعر فحسب، بل هو موقف يتجلى في كل قضايا الأمة، وكان الوائلي يتحرك من منطلق الإصلاح وتوجيه الأمة الإسلامية لما يجمع كلمتها ويوحد صفوفها، وكان الخطاب الحجاجي من أنجع الوسائل التي توصل إلى ما يطمح إليه.

٤- الروابط الحجاجية أدوات تعمل على ربط أجزاء الخطاب الحجاجي، وهي كثيرة ومتنوعة، منها ما يربط بين حُجّة ونتيجة، ومنها ما يربط بين حُجّتين، وقد تكون النتيجة مضمرة تعتمد على تأويل المتلقي و استنتاجه، أو تكون ظاهرة، وقد استعمل الوائلي روابط كثيرة، كلٌ بحسب ما يقتضي سياق استعماله، و لا تنتهي مهمة الروابط الحجاجية عند ربط أجزاء الخطاب، بل تتعدى هذه الوظيفة إلى الإسهام في إضاءة مقاصد المتكلم وبيان غرضه من الخطاب، وتسهم في تحقيق انسجام الخطاب.

٥- تمثل العوامل الحجاجية من أدوات، وتراكيب، وسائل تحدد وجه الخطاب الحجاجي نحو قصده المراد ولا تشتت المعنى، فيتجه الخطاب نحو جهات ثانوية، فهي من يوجه الخطاب إلى وجهته المقصودة، فبها يعرف المتلقي مقاصد المتكلم، ومعها لا يحتاج الخطاب الحجاجي إلى تشتت المعنى، وإغراق الخطاب بتأويلات ثانوية؛ لذلك وُصفت أنها موصلات قضوية، وهي لا تقتصر على الأدوات، والتراكيب النحوية، والأساليب الأخرى فحسب، بل كل ما من شأنه أن يحدد مقاصد الخطاب يمكن أن يكون عاملاً حجاجياً.

٦- هناك بعض الأدوات لها وظيفة ثنائية مثل (بل، لكن) فهي تعمل على الربط بين الحجتين، وهي عامل حجاجي إذا ما دلت على العطف، وأريد بها القصر.

٧- كشف السلم الحجاجي أنّ الحُجج تتشكل في صور مختلفة، تتناسب في قوتها مع الموضوع الذي يقصده المتكلم، فتكون متدرجة على وفق قوتها التدليلية في صورة سلم حجاجي، إذ يراعي المتكلم كلّ الظروف المحيطة بالخطاب، منها السياق، وذات المتلقي وكل ما يسهم في اختيار قوة الحُجّة، وملاءمتها للسياق، والشخص الموجهة إليه، ويأخذ شكل السلم الحجاجي ثلاث صور، فهو إما أن يكون تصاعدياً، وإما تنازلياً، وإما تراكمياً وتمثل صيغ المبالغة، وصيغة أفعل التفضيل، والحجج المسبوقة بروابط تدرج حُججاً قوية والقياس الضمني أبرز صور السلال الحجاجية في شعر الوائلي، وكشف استعمال السلم الحجاجي بوصفه آلية تخاطبية عن إمكانية تغير الحجج بما

يتلاءم مع السياق، ويمكن للمتكلم أن يُعيد بناء هذه الحجج ويدعمها، ويعيد توجيهها نحو المتلقي بما يتناسب مع إرادته وقصده من الخطاب.

٨- الحجاج فعل كلامي يقصد المتكلم إنجازَه، مثلما يحاول أن يعتذر، أو يواسي، أو يَعد،...، فإنَّه يؤدي فعل الحجاج بوصفه فعلاً كلامياً يحاول المتكلم به إنجاز فعل الإقناع، و الفعل الكلامي المباشر هو فعل حرفي يطابق شكله مضمونه، ويكون المتكلم في هذا النمط ذا سلطة من نوع ما، فالفرق في المنزلة بين المتكلم والمتلقي من أهم الأسباب التي يكون فيها الفعل مباشراً، أو غير مباشر، و يمثل فعل الأمر المباشر صورة من صور الحجاج بالسلطة، أمَّا الفعل الكلامي غير المباشر فيقصد منه المتكلم إنجاز أمر ما، لكنه لا يعتمد الأسلوب المباشر، بل يعتمد أساليب أخرى يفهمها المتلقي، وتعتمد على كفاية الطرفين، فقد يكون شكل الخطاب استفهاماً، لكن المقصود منه الأمر، أو التوبيخ أو...، وهو ما يسميه سيرل المحتوى القضوي للخطاب، و يشكل الحجاج عنصراً فاعلاً، ومحوراً رئيساً في الفعل الكلامي غير المباشر فكلاهما قائم على القصد الكامن في الخطاب.

٩- أثبت المنهج الإحصائي الذي اتبعه الباحث صحة القاعدة التداولية القائلة إنَّ الفعل الكلامي غير المباشر هو الأكثر استعمالاً في اللغة، وهذا ما ثبت في شعر الوائلي، إذ كشف هذا المنهج أنَّ الأفعال المباشرة تمثل ما نسبته (١٤٨٥، ١٢٢٥، ٦٤%)، وهذا يدلُّ على كثرة استعمالها في شعره. المباشرة مثلت ما نسبته (٨٥، ١١٤، ٢٥%)، وهذا يدلُّ على كثرة استعمالها في شعره.

١٠- الاستلزام الحواري صورة من صور التعبير الرمزي للغة، يستمد معناه من السياق التخاطبي، فكلُّ خرق لقاعدة من قواعد التخاطب سواء كان ذلك بالكم، أم بالكيف أم بالطريقة، أم بالمناسبة، ما هو إلاَّ عدول لغاية مقصودة، يراد منه تنبيه المتلقي، أو إزعاجه، أو إقناعه أو...، لأنَّ هذا الخرق لابدَّ أن يقع ضمن سياق يقود إلى قصد المتكلم وقد اعتمد الوائلي كل أساليب التخاطب التي تنوعت في شعره بين الفعل الكلامي المباشر والفعل الكلامي غير المباشر، وصيغ الاستلزام الحواري؛ من أجل إيصال مقاصده الحجاجية.

١١- أثبت البحث أنَّ هناك علاقة تداخل بين الأساليب البلاغية والاستعمال التداولي الحجاجي لهذه الأساليب، فهما يشتركان في معنى التواصل، ويتخذان من اللغة وسيلة لهما، وهما يؤسسان من أجل غاية نفعية يقصدها المتكلم، وقد استعان الوائلي كثيراً بأساليب البيان من تشبيه، واستعارة، وكناية، فهذه الأساليب مثلت جسراً موصلاً إلى المبتغى الحجاجي في الخطاب، وهي آلة من آلات

المتكلم للتأثير في المتلقي، فهذه الأساليب ليست مجرد زينة لفظية تضاف إلى الخطاب، بل هي جزء من المعنى المراد إيصاله إلى المتلقي.

١٢- بحسب المنهج الإحصائي الذي سار عليه البحث، شكلت أساليب البيان من تشبيه واستعارة وكناية، ما نسبته التقريبية (٨٠%)، وبحسب ما أثبتته البحث من تجليات صور الحجاج في هذه الأساليب، فهذا يدل على أن شعر الوائلي مؤسس لغرض الحجاج، بل إنَّ الحجاج متأصل في خطابه الشعري.

١٣- كشف المنهج الإحصائي أنَّ الحجاج في شعر الوائلي تجلّى بكل صورته المعروفة وكشفت عنه مظاهره اللغوية التي تمثلت في بناء الخطاب من روابط، وعوامل وسلالم حجاجية، وما مثله قصد المتكلم الذي تجلّى بأفعال الكلام المباشرة وغير المباشرة، وطرق الاستلزام الحوارية، و مثلت الأساليب البيانية الصورة الأكثر قرباً من الواقع؛ لما لها من تأثير في المتلقي، ولأنَّ الحجاج في هذه الأساليب كان في صورة حجاج بالشاهد، أو بالقدوة، أو مؤسساً على بنية الواقع، وغيرها من صور الحجاج التي تتناسب والمقام الذي يرد فيه .

روافد البحث

- القرآن الكريم
- المصادر والمراجع

(الألف)

- الاتجاه التداولي و الوظيفي في الدرس اللغوي، د.نادية النجار: مؤسسة حورس الدولية: ط١ : ٢٠١٣ .
- الإتيقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ): تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب: (د.ط): ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ .
- الأخبار الطوال، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢هـ) : تح: عبد المنعم عامر،مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة: ط١ : ١٩٦٠ .

- أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (ت ٤٦٨هـ): تح: د. ماهر ياسين الفحل: دار الميمان: المملكة العربية السعودية: ط ١ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥.
- استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري: دار الكتاب الجديد المتحدة: بيروت: ط ١: ٢٠٠٤.
- الاستعارة في النقد الأدبي الحديث: د. يوسف أبو العدوس: الأهلية للنشر والتوزيع: عمان : ط ١: ١٩٩٧.
- الاستلزام الحوارية في التداول اللساني: العياشي أدراوي: دار الأمان: الرباط: ط ١: ٢٠١١.
- أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ): تح: ه. رتير: دار إحياء التراث العربي: بيروت: ط ١: ٢٠٠٩.
- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل ابن السراج (ت ٣١٦هـ): تح: عبد الحسين الفتلي: مؤسسة الرسالة: بيروت: ط ٣: ١٩٩٦.
- أمالي ابن الحاجب، أبو عمر عثمان بن الحاجب (ت ٦٤٦هـ): دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان: دار الجليل: بيروت: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م: د. ط.
- أمير المنابر: صادق جعفر الروازق: دار المحجة البيضاء: بيروت لبنان: ط ١: ٢٠٠٤.
- الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية: د. خالد ميلاد: المؤسسة العربية للتوزيع: منوبة - تونس: ط ١: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١.
- الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين القزويني (ت ٧٣٩هـ): تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي: دار الجيل: بيروت: ط ٣: ١٤١٣هـ - ١٩٩٣.

(الباء)

- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ): تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي: دار هجر للطباعة والنشر: القاهرة: ط ١: ١٤١٨هـ - ١٩٩٧.
- بديع القرآن، ابن أبي الأصبع المصري (ت ٦٤٥هـ): تح: حفني محمد شرف، مكتبة نهضة مصر (د. ط.).
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١٠هـ): دار إحياء التراث العربي: بيروت: ط ٣: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- البعد التداولي والحاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل، د. قدور عمران: عالم الكتب الحديث: إربد - الأردن: ط ١: ٢٠١٢.

- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: عبد العال الصعيدي : مكتبة الآداب: (د.ط): ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩.
- بلاغة الإقناع في المناظرة، د. عبد اللطيف عادل: منشورات ضفاف: بيروت: ط: ١: ٢٠١٣.
- بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، د. الحسين بنو هاشم: دار الكتاب الجديد المتحدة: بنغازي- ليبيا: ط: ١: ٢٠١٤.
- بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، د. حسن المودن: دار كنوز المعرفة : عمان- الأردن: ط: ١: ٢٠١٤ .
- بلاغة الخطاب وعلم النص، د.صلاح فضل: سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت ١٩٩٢.
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني: دار القلم: دمشق: ط: ١: ١٩٩٦.
- البلاغة العربية قراءة أخرى، د. محمد عبد المطلب: دار نوبال للطباعة: القاهرة- مصر: ط: ٢: ٢٠٠٧.
- البلاغة فنونها وأفنانها، د. فضل حسن عباس : دار الفرقان للنشر: إربد-الأردن: ط: ٤: ١٩٩٧.
- البلاغة والتطبيق، د.أحمد مطلوب و د.كامل حسن البصير: مطابع بيروت الحديثة: بيروت- لبنان: ط: ٣: ٢٠١١.
- بنية النص القرآني، د.إبتسام المدني: دار النهضة العربية: بيروت لبنان: ط: ١: ٢٠١٠.
- البيان والتبيين: عمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥هـ) :تح: عبد السلام هارون : مكتبة الخانجي : القاهرة : ط ٧ : ١٩٩٨.

(التاء)

- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ): تح: عبد الستار أحمد فرج: مطبعة الكويت: ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥ .
- تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني المصري (ت ٦٥٤هـ): تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف: ط: ١: الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.

- تاريخ الإسلام و وفیات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ): تح: عمر عبد السلام التدمري: دار الكتاب العربي: بيروت - لبنان: ط ٢: ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣.
- تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ): تح: محمد أبو الفضل ابراهيم: دار المعارف: مصر: ط ٢: ١٩٦٨.
- تحليل الخطاب القرآني دراسة أسلوبية تطبيقية لسورة الملك، سعيد تومي: دار نيبور: ط ١: ٢٠١٤.
- التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج: كلاوس برينكر: ترجمة د. سعيد حسن بحيري: مؤسسة المختار: القاهرة - مصر: ط ٢: ٢٠١٠.
- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور: الدار التونسية للنشر: تونس: ١٩٨٤.
- التداولية بين النظرية والتطبيق، د. أحمد كنون: دار النابغة للنشر والتوزيع: القاهرة: ط ١: ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- التداولية عند العلماء العرب، د. مسعود صحراوي: دار الطليعة: بيروت - لبنان: ط ١: ٢٠٠٥.
- التداولية مقاربات في المفهوم والتأصيل، محمد امطوش: دار نيبور للطباعة والنشر، العراق القادسية: ط ١: ٢٠١٤.
- التداولية والحجاج مداخل ونصوص: صابر الحباشة: صفحات للدراسات والنشر: دمشق سوريا: ط ١: ٢٠٠٨.
- التداولية وتحليل الخطاب الرؤى والتمثلات، د. باسم خيري: الناشر الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات: القاهرة: ط ١: ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥.
- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول و وياك موشر: ترجمة: د. سيف الدين دغفوس د. محمد الشيباني: دار الطليعة للطباعة: بيروت - لبنان: ط ١: ٢٠٠٣.
- التعليقة على كتاب سيبويه، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي أبو علي: (ت ٣٧٧هـ) تح: د. عوض بن حمد القوزي: دار المعاف - القاهرة: ط ١: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب: دار الشروق: القاهرة: ط ١٦: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ): تح: سامي بن محمد سلامة: دار طيبة للنشر والتوزيع: ط ٢: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

• تكوين البلاغة قراءة جديدة ومنهج مقترح، علي الفرج: دار المصطفى لاهياء التراث: قم إيران: ط ١.

• تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور (ت ٣٧٠هـ): تح: محمد عوض مرعب: دار إحياء التراث العربي: بيروت ط ١ : ٢٠٠١م.

(الثناء)

• ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: للرماني والخطابي والجرجاني: تح: محمد خلف الله أحمد: د. محمد زغلول سلام: دار المعارف: القاهرة- مصر: ط ٣: ١٩٧٦.

(الجميل)

• جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) تح: أحمد محمد شاكر: مؤسسة الرسالة: ط ١: ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠.

• جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ): تح: محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش، دار الفكر: ط ٢: ١٩٨٨.

• جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ): تح: رمزي منير بعلبكي: دار العلم للملايين: بيروت- لبنان: ط ١: ١٩٨٧ .

• الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ): تح: د فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل: دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان: ط ١: ١٩٩٢.

(الحاء)

• حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت ١٢٠٦هـ): دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان: ط ١: ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧.

• الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، د. محمد سالم محمد الأمين الطلبة: دار الكتاب الجديد المتحدة: بنغازي - ليبيا: ط ١: ٢٠٠٨.

• الحجاج في الخطاب السياسي: د. عبد العالي قادا: دار كنوز المعرفة: عمان- الأردن: ط ١: ٢٠١٥.

• الحجاج في الخطاب القانوني: عز الدين الناجح: دار بو جميل للطباعة والنشر: تونس: ٢٠١٢ .

• الحجاج في الخطابة النبوية: د. عبد الجليل العشراوي: عالم الكتب الحديثة: إربد-الأردن: ط ١: ٢٠١٢.

- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه: د. سامية الدريدي :عالم الكتب الحديثة: إريد الأردن: ط٢: ٢٠١١ .
- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية :د.عبدالله صولة :دار الفارابي: بيروت لبنان: ط٢: ٢٠٠٧.
- الحجاج مفهومه ومجالاته : حافظ اسماعيل علوي : عالم الكتب: إريد الأردن: ط١: ٢٠١٠.
- الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، د. علي الشبعان: دار الكتاب الجديد المتحدة: بنغازي- ليبيا: ط١: ٢٠١٠.
- الحجاج والمواطنة ، د.توبي لحسن: دار رؤية: القاهرة - مصر: ط١: ٢٠١٤ .

(الهاء)

- الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه :د.هاجر مدقن:منشورات الاختلاف :الجزائر: ط١: ٢٠١٣.
- الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي:د. مؤيد آل صوينت : مكتبة الحضارات: بيروت- لبنان: ط١: ٢٠١٠.
- الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط:د. أحمد المتوكل: الدار العربية للعلوم ناشرون: بيروت- لبنان : ط١: ٢٠١٠ .
- الخلاصة النحوية د.تمام حسان : عالم الكتب: القاهرة - مصر: ط١: ٢٠٠٠.

(الذال)

- دراسات في الحجاج قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم: د.سامية الدريدي: عالم الكتب الحديث: إريد الأردن: ط١: ٢٠٠٩.
- دَرْجُ الدُّرِّ فِي تَقْسِيرِ الْآيِ وَالسُّورِ،أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني(ت٤٧١هـ):تح: طلعت صلاح الفرحان و محمد أديب شكور: دار الفكر: عمان- الأردن: ط١: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩.
- الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ):تح:د. عبد الله بن عبد المحسن التركي:مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية: القاهرة- مصر: ط١: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
- دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري :عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص: دار الكتب العلمية لبنان - بيروت :ط١: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١هـ): تح د رضوان الداية د.فايز الداية :دار الفكر :دمشق - سوريا: ط١: ٢٠٠٧.
- ديوان الأفوه الأودي: صلاة بن عمرو بن مالك اليميني: تح: محمد ألتونجي: دار صادر بيروت - لبنان: ط١: ١٩٩٨.
- ديوان النابغة الذبياني: تح: محمد أبو الفضل ابراهيم: دار المعارف: القاهرة: ط٢: ١٩٨٥.
- ديوان مصطفى جمال الدين : دار المؤرخ العربي : بيروت لبنان : ط١ : ١٩٩٥ .
- ديوان الوائلي: شرح وتدقيق: سمير شيخ الأرض: ط١: ٢٠١٢.

(السين)

- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ): تح: شعيب الأرناؤوط و عادل مرشد و محمد كامل قره بللي و عبد اللطيف حرز الله: دار الرسالة العالمية: ط١: ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- السياب ونازك والبياتي دراسة لغوية، د.مالك يوسف المطليبي: دار الشؤون الثقافية العامة: بغداد: ط٢: ١٩٨٦.
- السيميائية وفلسفة اللغة: أمبرتو أيكو: ترجمة: د. أحمد الصمعي: مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت - لبنان: ط١: ٢٠٠٥.

(الشين)

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله ابن عقيل ، العقيلي الهمداني المصري (ت ٧٦٩هـ): تح: محمد محيي الدين عبد الحميد: دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاه: ط٢٠: ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م
- شرح التسهيل: جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الجبائي الأندلسي (ت ٦٧٢هـ): تح: د. عبد الرحمن السيد و د. محمد بدوي المختون: هجر للطباعة والنشر والتوزيع: ط١: ١٩٩٠.
- شرح التلخيص في علوم البلاغة : محمد هاشم دويدري: دار الجيل: بيروت - لبنان: ط٢: ١٩٨٢.

- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: علي بن محمد بن عيسى أبو الحسن نور الدين الأشموني الشافعي (ت ٩٠٠هـ): دار الكتب العلمية بيروت - لبنان: ط ١: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨.
- شرح ديوان المتنبي: عبد الرحمن البرقوقي: دار الكتاب العربي: بيروت - لبنان: ط ٢: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦.
- شرح الرضي على الكافية، تعليق وتصحيح: يوسف حسن عمر: منشورات جامعة قان يونس - بنغازي: ط ٢: ١٩٩٦.
- شرح المفصل: موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت ٦٤٣هـ): تح: إميل بديع يعقوب: دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان: ط ١: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: تح: محمد أبو الفضل إبراهيم: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه: ط ٢: ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.
- شظايا لسانية: د. مجيد الماشطة: دار السياب للطباعة و النشر: لندن: ط ١: ٢٠٠٨.
- الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية: د. عز الدين اسماعيل: دار الثقافة: بيروت - لبنان: د ط.

(الصاد)

- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ): تح: أحمد عبد الغفور عطار: دار العلم للملايين - بيروت ط ٤: ١٩٨٧.
- الصورة البيانية في الموروث البلاغي: د. حسن طبل: مكتبة الإيمان: القاهرة: ط ١: ٢٠٠٥.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: جابر عصفور: المركز الثقافي العربي: بيروت - لبنان: ط ٣: ١٩٩٢.

(الطاء)

- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي (ت ٧٤٥هـ): تح د. عبد الحميد هنداوي: المكتبة العصرية: صيدا - لبنان: ط ١: ٢٠٠٢.

(العين)

- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي: تح: د. عبد الحميد هنداوي: المكتبة العصرية للطباعة والنشر: بيروت: ط ١: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣.

- علم الإشارة السيميولوجيا: بيير جيرو: ترجمة د. منذر عياشي: دار طلاس :دمشق سوريا: ط١: ١٩٩٢.
- علم البيان: عبد العزيز عتيق: دار النهضة العربية للطباعة والنشر : بيروت – لبنان : د ط : ١٩٨٢.
- علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، د. محمد أحمد قاسم، د: محيي الدين ديب: المؤسسة الحديثة للكتاب: طرابلس – لبنان : ط١: ٢٠٠٣.
- العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل: ترجمة: سعيد الغانمي: منشورات الاختلاف: الجزائر: ط١: ٢٠٠٦.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣ هـ): تح: محمد محيي الدين عبد الحميد: دار الجيل للنشر و الطباعة: بيروت لبنان : ط٥: ١٩٨١ .
- العوامل الحجاجية في اللغة العربية، د. عز الدين الناجح: دار نهى: صفاقس – تونس: ط١: ٢٠١٢ .

(الفاء)

- الفروق اللغوية : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥ هـ): تح: : محمد إبراهيم سليم: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع: القاهرة – مصر: ١٩٩٧: دط.
- فضائل الصحابة: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل: تح: د. وصي الله محمد عباس: مؤسسة الرسالة: بيروت – لبنان: ط١: ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣.
- فنّ التشبيه : علي الجندي: مكتبة نهضة مصر – الفجالة: ط١: ١٩٥٢.
- فنّ الشعر :أرسطو: ترجمة: د. ابراهيم حمادة: المكتبة الأنجلو المصرية(د.ط) .
- في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم: د. خليفة بوجادي: بيت الحكمة للنشر والتوزيع:العلمة- الجزائر: ط١: ٢٠٠٩.
- في النحو العربي نقد وتوجيه: د. مهدي المخزومي: دار الرائد العربي: بيروت – لبنان: ط٢: ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.
- في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، د. عبد الله صولة :الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم: ط١: ٢٠١١.

(القاف)

- قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب، محمد محمد يونس علي :دار الكتاب الجديد المتحدة:بنغازي –ليبيا: ط١: ٢٠١٣.

(الكاف)

- الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ): تح: عمر عبد السلام تدمري: دار الكتاب العربي: بيروت - لبنان: ط١: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧.
- الكتاب: أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر (ت ١٧٥هـ): تح: عبد السلام محمد هارون: مكتبة الخانجي: القاهرة - مصر: ط٣: ١٩٨٨.
- كتاب الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ): تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم: دار إحياء الكتب العربية: ط١: ١٣٧١هـ - ١٩٥٢.
- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ): تح: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي: دار الحرية للطباعة، بغداد: ١٩٨٥: دط.
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): تح: عبد الرزاق المهدي: دار إحياء التراث العربي: بيروت - لبنان: ط٢: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي: تح: بكري حياني وصفوة السقا: مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان: ط٥: ١٤٠١هـ - ١٩٨١.

(اللام)

- لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ): دار صادر بيروت - لبنان: ط٣: ١٤١٤هـ.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: د. طه عبد الرحمن: المركز الثقافي العربي: الدار البيضاء: المغرب: ط٢: ٢٠٠٦.
- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: محمد خطابي: المركز الثقافي العربي: الدار البيضاء - المغرب: ط٣: ٢٠١٢.
- اللسانيات الوظيفية مدخل نظري: د. أحمد المتوكل: دار الكتاب الجديدة المتحدة: بنغازي - ليبيا: ط٢: ٢٠١٠.
- لغة الشعر بين جيلين، د. إبراهيم السامرائي: دار الثقافة: بيروت - لبنان: د ط .
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسّان: عالم الكتب: القاهرة - مصر: ط٤: ٢٠٠٤.
- اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي: العمدة للطباعة: الدار البيضاء: المغرب: ط١: ٢٠٠٦.

- اللع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ): تح: د.سميح أبو مغلي: دار مجدلاوي: عمان - الأردن: ط: ١٩٨٨.

(الميم)

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ): تح: أحمد الحوفي و بدوي طبانة: دار نهضة مصر للطبع والنشر: القاهرة - مصر: ط: ٢.
- مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني (ت ٥١٨هـ): تح: محمد محيي الدين عبد الحميد: مطبعة السنة المحمدية: ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥.
- محاضرات في فلسفة اللغة: د. عادل فاخوري: دار الكتاب الجديد المتحدة: بنغازي - ليبيا: ط: ٢٠١٣..
- المحاوره مقاربه تداولية: د. حسن بدوح: عالم الكتب الحديث: إريد - الأردن: ط: ٢٠١٢.
- المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ): تح: خليل إبراهيم جفال: دار إحياء التراث العربي: بيروت - لبنان: ط: ١٩٩٦.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ): تح: محمد محي الدين عبد الحميد: دار الفكر: بيروت - لبنان: ط: ١٩٧٣.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ): تح: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون: مؤسسة الرسالة: ط: ٢: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومنيك مانغو: ترجمة محمد يحياتن: منشورات الاختلاف: الجزائر: ط: ٢٠٠٨.
- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ): تح: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت: ط: ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م.
- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي: دار الفكر: عمان - الأردن: ط: ٢: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ): تح: عبد السلام محمد هارون: دار الفكر: ١٩٧٩.
- المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ): تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط: ٢، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م.
- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: إبراهيم مصطفى: أحمد الزيات: حامد عبد القادر: محمد النجار: مكتبة الشروق الدولية: ط: ٤: ٢٠٠٤.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ):تح: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله: دار الفكر: بيروت- لبنان: ٢٠١٠.
- مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت ٦٢٦هـ): ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور: دار الكتب العلمية:بيروت: ط٢: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧.
- مقاتل الطالبين، لأبي الفرج الأصفهاني(ت٣٥٦هـ)،تح:السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت(د.ط).
- المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو:ترجمة: سعيد علوش : مركز الإنماء القومي: ١٩٨٦.
- المقتضب،أبو العباس محمد بن يزيد بالمبرد (ت ٢٨٥هـ):تح: محمد عبد الخالق عضيمة: مطابع الأهرام: قليوب- مصر: ط٣: ١٩٩٤.
- مناهج الدراسات الأدبية الحديثة من التاريخية إلى الحجاج ،د. حسن مسكين :مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر: بيروت- لبنان : ط١: ٢٠١٠ .
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) :تح:محمد الحبيب بن الخوجة: دار الغرب الاسلامي: بيروت- لبنان: ط٣: ١٩٨٦.
- المنهاج الواضح للبلاغة،حامد عوني: المكتبة الأزهرية للتراث:دط.
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم،محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي :تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم:تح: د. علي دحروج: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت: ط١: ١٩٩٦م.

(النون)

- نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت ٨١٥هـ):تح:عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض: دار الكتب العلمية: بيروت -لبنان: ط١: ١٩٩٢.
- النص والخطاب والاتصال،د.محمد العبد: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي:القاهرة مصر: ط١: ٢٠٠٥.
- نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الاشياء بالكلام،أوستين: ترجمة عبد القادر قنيني :أفريقيا الشرق: ١٩٩١ .
- نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: طالب سيد هاشم الطبطبائي: مطبوعات جامعة الكويت : ١٩٩٤ :دط.

- النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة في المفاهيم والنشأة والمبادئ: د.محمود عكاشة: مكتبة الآداب: القاهرة- مصر: ط ١: ٢٠١٣.
- نظرية البيان العربي خصائص النشأة ومعطيات النزوع التعليمي، د. رحمن غركان: دار الرأي: دمشق-سوريا: ط ١: ٢٠٠٨.
- نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، د.الحسين بنو هاشم : دار الكتاب الجديد المتحدة: بنغازي- ليبيا: ط ١: ٢٠١٤.
- نظرية السياق دراسة أصولية ،د نجم الدين قادر كريم الزنكي: دار الكتب العلمية : بيروت - لبنان: ط ١: ٢٠٠٦.
- نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والاسلامي، هشام عبد الله الخليفة :مكتبة لبنان ناشرون: بيروت - لبنان: ط ١: ٢٠٠٧.
- نظرية نسقية في الحجاج المقاربة الذريعية الجدلية،فرانز فان إيمن، روب غروتندورست: ترجمة عبد المجيد جحفة: دار الكتاب الجديد المتحدة: بنغازي- ليبيا: ط ١: ٢٠١٦.
- نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية: ط: ٢: ١٩٦٥.

(الهاء)

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي(ت ٩١١هـ): تح: د. عبد العال سالم مكرم و الأستاذ عبد السلام هارون: مؤسسة الرسالة:بيروت-لبنان: ١٩٩٢.

(الواو)

- وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي: حياة جاسم: دار الحرية للطباعة: بغداد- العراق: د ط: ١٩٧٢ .

(الرسائل والأطاريح)

- أحمد الوائلي سيرته ودوره في الحياة الفكرية والاجتماعية في العراق:(اطروحة دكتوراه):غانم نجيب عباس، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا: ٢٠٠٥.
- الأداء البياني في شعر الشيخ أحمد الوائلي: (رسالة ماجستير): كاظم عبد الله عبد النبي عنوز: كلية الآداب جامعة الكوفة: ٢٠٠٥.

- البنيات الأسلوبية في شعر أحمد الوائلي: رسالة ماجستير: علي يونس عودة: كلية التربية جامعة البصرة: ٢٠١١ .
- الحجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام): (أطروحة دكتوراه) :عايد جدوع حنون: كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة البصرة: ٢٠١٣.

(المجلات والبحوث)

- مجلة عالم الفكر :العدد ١ : المجلد : ٣٤: الكويت: يوليو ٢٠٠٥.
- مجلة عالم الفكر : العدد ٢ : المجلد: ٤٠: الكويت: ديسمبر ٢٠١١.
- مجلة عالم الفكر: العدد ١ : المجلد: ٤٢: الكويت: يوليو ٢٠١٣.
- مجلة عالم الفكر: العدد ٤ : المجلد: ٤٤: الكويت: أبريل ٢٠١٦.
- مجلة علامات: العدد ٢٣:المغرب: ٢٠٠٥.
- مجلة مقاليد: العدد ٥: ديسمبر ٢٠١٣.
- مجلة المناظرة:العدد ٤: الرباط- المغرب: لسنة ١٩٩١.
- مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية:ع ٦ :لسنة: ٢٠١٠ :الجزائر.

(المواقع الالكترونية وشبكة الانترنت)

- المقاربة التداولية في الأدب والنقد
<http://almothaqaf.com/index.php/qadaya2009/58914.html>
- تعلم فن الإقناع والتأثير في الآخرين ..
<http://kenanaonline.com/users/ahmedkordy/posts/127046>



University of Al-Muthanna
College of Education for Humanities
Department of Arabic

The Argumentation in the Poetry of Ahmed Al-Wa'ili

A Thesis

Submitted to the Council of the College of Education for
Humanities - Department of Arabic - University of Al-
Muthanna in Partial Fulfillment of the Requirements for the
Degree of Master in Arabic

By:
Salah Jibary Shnawa
Supervisor:
Prof. Dr. Aid Jadu'a Hanoon

Abstract

The argumentation is usually dedicated to some recipient whether actual or imaginative, near or faraway. Each argument takes patterns which are different from the patterns of the other arguments. The argumentation is considered as one of the modern linguistic theories which is widely used in this field. The present study is an application of this theory on the poetry of Sheikh Ahmed Al-Wa'ili whose ideological attitudes were highly reflected in his poems. Also, this study is conducted to immortalize such great persona who defended Islam and the Islamic peoples.

The present study composed of a preface, three chapters, and some conclusions. The preface contains two sections in which the former talks about the biography of Sheikh Ahmed Al-Wa'ili, while the later one treated the definition of argument linguistically and terminologically as well as explaining Oswald Ducrot's theory of argumentation which is adopted in this study.

Chapter one is concerned with the forms and tools of the argumentation. It is divided into three sections: the first section is concerned with the argumentative links showing their semantic and functional effect in discourse. The second section talks about the argumentative elements showing their function in what the speaker means. The third section is concerned with the strategies of the argumentative discourse and the surrounding environment of the argumentative discourse.

Chapter two is concerned with the relationship between argumentation and speech acts. It consists of three sections: the first one talks about the direct speech acts and their role in the argumentative achievement, while the second one sheds light on the indirect speech acts and the hidden meaning of a discourse which is performed in an indirect way. The third section is concerned with the conversational Implicature.

Chapter three is interested in showing the relationship between argumentation and rhetorics. It also contains three sections showing the

applications of argumentation which are the rhetorical devices: simile, metaphor, and euphemism.

The current study has concluded the following:

- The argumentation in the poetry of Al-Wa'ili was highly related to an event or an important issue.
- Al-Wa'ili was very successful in his choice for the argumentative links in which he used each one in its suitable way.
- The statistics shows that the poetry of Al-Wa'ili was filled of the poetic images in which he employed the elements of argumentation, the Conversational Implicature, and the speech acts.